ALI SHARIATI

الأثار الكاملة (٧)

علي شريعتي





دين ضد الدين



إسم الكتاب : دين ضد الدين

إسم المؤلف : د. علي شريعتي

إسم المترجم : حيدر مجيد

تنضيه وإخراج: حوراء محمود البدري

تصميم الغلاف : بشير محمد

الترقيم الدولي: 1-1-988-9953 ISBN 978-9953

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٣م

الطبعة الثانية : ١٤٢٨ هـ _ ٢٠٠٧ م (بعد تدمير الدار خلال حرب تموز ٢٠٠٦ م)

الناشــــر : دار الأمير للثقافة والعلوم ش.م.م

كافة الحقوق محفوظة ومُسجّلة قانونياً للناشر بالإتفاق مع ورثة المُؤلف

التوزيع في العراق:

دار الباقر _ النجف الاشرف هـ :07801263579



مؤسسة نشر اتار الدكتور علي شريعتي

نلفاكس: 2232729 21 98+ ص.ب: 6516-19395 طهران www.shariati.com



الأصير للثقافة والعلوم:

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر _ بيروت _ لبناق

تلفاكس: 49 64 1 27 1 961 + 961 ص.ب: 113/5551 الحمراء بيروت لبنائ

Website: //http:/www.daralameer.com E-mail: daralameer@daralameer.com

سلسلة الآثار الكاملة ـ ٨-

دين ضد الدين

الشهيد الدكتور علي شريعتي

ترجمة: حيدر مجيد

دار الأمير

وتستمر دار الأمير ...

إذا كانت مسؤولية المثقف تجاه أمته وتحديات لحظتها التاريخية هي الهم والرسالة التي حملها علي شريعتي، فإن نشر فكر الوعي الحضاري بدوره مسؤولية، إذ كيف يصل هذا الفكر للناس دون ناشر مسؤول؛ يعطيه العناية ويكفل أن يظل هذا الزاد الثقافي حاضراً في الوعي؛ متاحاً للأجيال لتنهل منه في صياغتها لرؤى التجديد والنهضة وتستثمره في حركة التغيير وصناعة المستقبل.

وقد وعت دار الأمير هذه المسؤولية منذ تأسيسها عام ١٩٩١م، وحملتها بأمانة، وتحملت تبعاتها المادية والمعنوية في مواجهة حسابات السوق وفكر الجمود، ورغم الدمار الكُلّي الذي لحق بالدار في حرب تموز ٢٠٠٦م، والذي كان أول ضحاياها كتب علي شريعتي التي أحرقتها صواريخ الهمجية الصهيونية؛ حين دكت مقر دار الأمير في بيروت ومعرض الدار في بنت جبيل، فإن إرادة البقاء وعزيمة الإنتصار بقيت متوهجة، وها هي دار الأمير تستأنف دورها ونضالها بعد أشهر معدودة من العدوان، وتقدم من جديد فكر شريعتي في إخراج متميز، وتنهض من بين الركام مستعيدة دورها المسؤول في نشر ثقافة العودة إلى الذات، والنهضة، والمقاومة في مسيرة الفلاح التي شعارها: إلهي علمني كيف أحيا..، أمّا كيف أموت، فإني سأعرفه. والحمد لله الذي نصر عبده.

مقدمة الناشر

بِسبِاللهِ الرِّخْرِالِّجِيم

عندما تتكلم عن شريعتي، لا بد أن تتكلم عن الإسلام ـ الآيديولوجيا ـ بما يعنيه هذا المصطلح، من ثورة وفكر وحضارة وحاكمية، من هنا طرح شريعتي مفهومه المُوَحد والمُوَحَد هذا، من خلال ثلاث طرق:

١ ـ فهم الإسلام فهما متكاملاً، وعدم الإقتصار على فهم الأمور التي تتعلق بحياة الفرد فقط، بل فهم الإقتصاد والسياسة والمجتمع والتاريخ ومتطلبات العصر، من منطلق الإسلام ذاته، لأنه عقيدة متكاملة، لكل زمان ومكان.

٢ ـ أن يُطَهر الفكر الإسلامي من عناصر الجمود والركود،
 سواءاً التي لصقت به عبر عصور التخلف، أو التي أدخلها الإستعمار.

٣ ـ أن يصبح الإسلام ثقافة الجماهير، كل الجماهير، وأن يخرج من إحتكار بعض المتاجرين بالدين، والذين جعلوا من الدين دكاناً للإرتزاق، يروجون به أفكاراً حسبوها ديناً عن علم أو جهل،

ليُسقطوا الأهداف السامية للدين الحقيقي(١).

وتعبيراً عن هذه الأفكار جاء كتابه هذا _ دين ضد الدين _ أو «الدين ضد الدين» والذي يعتبر من أقوى كتبه _ وأخطرها _ ليكون حلقة رئيسية في منظومة شريعتي الفكرية، والتي نعمل على إبرازها من خلال مشروعنا القائم لـ: ترجمة ونشر الأعمال الكاملة للدكتور علي شريعتي، وذلك بالإتفاق مع مؤسسة نشر آثار الدكتور في إيران، بموجب عقد موقع حسب الأصول القانونية، والذي أصبح فيه دار الأمير للثقافة والعلوم _ بيروت يملك الحق الحصري بترجمة ونشر آثار الدكتور شريعتي باللغة العربية.

ونحن إذ نطرح هذا الكتاب للنشر، نتوجه بالشكر الجزيل للمترجم الأستاذ حيدر مجيد على ما بذله من جهد جهيد، في ترجمة هذا الكتاب، والذي يأتي بعد ترجمته للكتاب الأول التشيع العلوي والتشيع الصفوي ليضيف للمكتبة العربية منارة أخرى من منارات الدكتور شريعتي، ونحن والقراء الكرام بانتظار الإنتهاء من ترجمته للعمل الثالث وهو _ كتاب معرفة الإسلام _ بنصه الكامل، والذي سيصدر قريباً بعونه تعالى.

أخيراً ندعو الله سبحانه أن يوفقنا لآداء هذه الرسالة، معتمدين عليه توكلنا وإليه نُنيب.

محمد حسين بَزْي بيروت في ۲۲/۲/۲۲م

⁽۱) بتصرّف عن مجلة الشهيد العدد(۲۰) تاريخ ۲۷/٦/۹۷۹م ـ ص٣٤.

قالوا في شريعتي

الإمام الخميني(قده)

«لقد أثارت أفكار الدكتور شريعتي الخلاف والجدل أحياناً بين العلماء لكنه في نفس الوقت لعب دوراً كبيراً في هداية الشباب والمتعلمين إلى الإسلام»(١).

السيّد أحمد الخميني (٢)

إن ما قدّمه الدكتور شريعتي كان عظيماً، بحيث يتعذّر علي الآن الإحاطة به، لأنه في الواقع كان ولا يزال معلم الثورة الإسلامية.

⁽۱) من كلام للإمام الخميني(رض).راجع كتاب «شريعتي درجهان» صفحة ۱۹۶، تأليف حميد أحمدي، والصادر عام ١٣٦٥هـ. ش، عن شركت سهامي انتشار(الناشر).

⁽۲) مصدر فارسي: از کتاب کدامین راه سوم (مراسیم در منزل دکتر علي شریعتي، آذر ماه ۱۳۵۹هـ. ش/۱۹۸۰م).

الإمام السيّد علي الخامنئي (١)

في الحقيقة كان الدكتور شريعتي موالياً، صلب العقيدة وعاشقاً لكل ما هو مقدّس في الإسلام، وذلك ما لمسته منه عن قرب، وليس من خلال ما أشيع عنه، أو ما قالته عنه التيارات الفكرية في حقه، وهنا يمكن أن نستند في تقييمنا للدكتور شريعتي على نقطة مهمة، وهي من خلال مواجهته للتيارات الفكرية الأخرى في ساحتنا، وكانت هذه التيارات قد بدأت عملها من خلاق ثلاثة محاور؛ وهي: مواجهة الحس الوطني، ومواجهة كل ما هو إسلامي، ومحاولة تقيت الأمة. وكانت تلك التيارات تتقدم بحسب اتجاهاتها، ولكن الدكتور شريعتي لما ظهر على ساحة الفكر الملتزم اختلف مع تلك التيارات في عمله بمقدار ١٨٠ درجة، مما يعني أن الدكتور شريعتي كان له ارتباط قوي بالإسلام، وأنه كان على طرفي نقيض مع حثالة

⁽١) الولي الفقيه وقائد الجمهورية الإسلامية في إيران، وكان في أيام الثورة على معرفة وصلة بالدكتور شريعتي.

المستغربين والتابعين للأجنبي ولكل ما يأتي من الخارج، حيث كانت علاقته بالأمة قوية وكان متفاعلاً معها. . يستلهم منها ويخاطبها وكان ذلك دأبه وديدنه (١).

(۱) مصدر فارسي: ويزنامه هيجدهمين سالكرد هجرت وشهادت دكتر علي شريعتي، الناشر: كرد آورنده؛ محمد علي أمير كل، إيران، رشت، ص،، از روشنفكران وشريعتي، ص٥٥ ـ ٥٧، شخنراني رهبر معظم إنقلاب در مدرسه عالى شهيد مطهري.

الإمام السيّد موسى الصدر (١)

الذي صلى على جثمان شريعتى في دمشق ١٩٧٧م

كان لنا صديق، زميل ـ قائد من قادة الفكر الإسلامي، هو الدكتور شريعتي، توفي في هذه الفترة الأخيرة. وفي «الرسالة» التي ستطبع إن شاء الله بعد يومين أو ثلاثة، يوجد له نعي وصورة، والعدد القادم من الجريدة سيخصص له بإذن الله.

أحببت أن أنقل للإخوان، صورة عن هذا الرجل، وألقي بهذه المناسبة ضوءاً على البعد العالمي لحركتنا.

(۱) السيّد موسى الصدر غني عن التعريف، أسس حركة المحرومين في لبنان، والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الذي ترأسه، وكان له الدور الأهم في إطلاق وتشريع المقاومة المسلحة ضد "إسرائيل"، ورفع شعار "إن شرف القدس يأبى أن

يتحرّر إلا على أيدي المؤمنين " فمن هذا المبدأ عمل الإمام الصدر على بناء القاعدة الإيمانية العريضة على المستوى اللبناني، وناضل إلى جانب الإمام الخميني الذي كان يعتبره إبناً من أبنائه.

هذا النص أعلاه جاء في الإحتفال التأبيني الحاشد، الذي أقامه الإمام الصدر تأبيناً للدكتور علي شريعتي في الكلية العاملية في بيروت، وعلى أثره سحب الشاه المقبور الجنسية الإيرانية من السيّد الصدر. الدكتور شريعتي، أبوه رجل دين غير معمم، إسمه الشيخ محمد تقي شريعتي. وهو رجل فاضل أسس مؤسسة في خراسان اسمها «مجمع الأبحاث القرآنية». وأنا ألقيت محاضرات هناك، قبل عشر سنوات تقريباً.

الدكتور شريعتي، هو إيراني قروي من قرية "مازينان" في إيران، قرب "كوير" يعني الصحراء في إيران. تخرّج من جامعة "السوربون"، واختصاصه "علم الإجتماع الديني". وعاد إلى إيران، وكان يعطي دروساً في جامعة خراسان، ثم في جامعة طهران، ثم تحوّل إلى داعية ديني.

له أكثر من مئة وخمسين كتاباً. كتبه، محاضراته، في الواقع، محاضراته أربع ساعات، خمس ساعات، ست ساعات، سبع ساعات إرتجال، تُسجل وتُطبع وهكذا.

أديب شامخ، فكره إسلامي نضالي منفتح. إسلاميته، وطبقيته، وموقف رجال الدين، لم تجعل من دعوة الدكتور شريعتي، دعوة محافظة، رجعية، يمينية كما هو التقليد، لأن الدعوة الإسلامية، تعتبر في كثير من الأوساط، دعوة محافظة على الأقل، لكن دعوة الدكتور شريعتي للإسلام، دعوة تقدمية، ثورية، نضالية، أو ما نسميه نحن دائماً في إجتماعياتنا، دعوة حركية، وليس دعوة مؤسساتية. يعني ليس الإسلام دكاناً يجب أن نحتفظ بمكاسبه، ونأخذ لأجله من الناس، ونسخّر الناس لخدمته، كما حصل بالنسبة للمؤسسات الدينية.

المؤسسات الدينية اليوم، لها أموالها، ولها أوقافها، ولها رجالها، ولها شؤونها وبروتوكولاتها، ولها خصوماتها، ولقاءاتها، ولها مكاسبها. تماماً مثل الإتحاد السوفياتي أو الصين، بعدما تحولوا إلى دول، ونسوا كونهم حركة إنقلابية عالمية. فبدأوا يفكرون بالإحتفاظ بمكاسبهم، ولأجل الإحتفاظ بهذه المكاسب، يجب التحالف حتى مع الشيطان، أو مع نصف الشيطان، أو مع ربع الشيطان بالتالي، فنرى أن الصين الشيوعية اليوم تلتقي مع القوى اليمينية في العالم للإحتفاظ بمكاسبها وللمنافسة مع الإتحاد السوفياتي، والإتحاد السوفياتي نفس الشيء.

إذا حركة إنسانية، في مرحلة من المراحل كثيراً ما تتحول إلى مؤسسة، متى؟ عندما تشيخ. الحركة في بدايتها شابة، ناشطة، متحركة، تُخيف، تقتحم، تتقدم، إلى أن تنتهي أنفاس المؤسسين، فتشيخ، وتفكر كيف تحفظ رأسها، ولا تصطدم مع الناس، تتحالف مع هنا، وهنا، تفكر بالإحتفاظ بالمكاسب.

الدكتور شريعتي، في أحد كتبه، يقول: في فرنسا، رحت أشتري مجلة «جون أفريك Jeune Afrique، فوجدت أن الأمن الفرنسي قد جمع نسخ هذه المجلة الفتية الإفريقية، قلت في نفسي: يا سبحان الله! فرنسا، معقل الحريات، مركز جميع أنواع الدعوات، من الشيوعية المتطرفة، إلى التروتسكية، إلى غير ذلك، إلى اليمين إلى الوجدانية، والوجودية، وكل أنواع الفكر؛ كيف فرنسا هذه تخاف من مجلة «جون أفريك» فتجمعها من السوق؟

السبب أن هذه مجلة شابة، حركة جديدة، تقتحم وتُخيف، بينما الحركات الأخرى كادت تتحول إلى مؤسسات لها وجودها.

طبعاً الدكتور شريعتي، كان أحد قادة الفكر الإسلامي في العالم. أفكاره قيمة جداً، وكان يحضر درسه الأسبوعي، حوالي ستة آلاف طالب وطالبة جامعيون أو متخرجون، في مؤسسة معينة باسم «النادي الحسيني للإرشاد».

طبعاً حُورب من قبل الحكم في إيران، وحُورب أيضاً من قبل مجموعة من رجال الدين، الذين يعتبرون الإسلام حكراً عليهم، وميراثه من حقهم، وهم وحدهم يفهمون الدين، ولا يحق لأحد أن يفهم غيرهم.

هذا الرجل بالفعل كان مصدر الإلهام، والتفكير والعطاء لكثير من الحركات الإسلامية، من جملتها حركتنا. ونحن سنحاول؛ بإذن الله، بالإضافة إلى العدد القادم من «أمل ورسالة»؛ أن نخصص عدداً نلخص فيه أفكاره، ثم نترجم ونطبع أفكاره وكتبه ومحاضراته، حسب التيسير وفي حدود الإمكان، في لبنان، بإذن الله (۱).

بدون شك، إن التيار الذي كان يحترم ويكرّم الدكتور شريعتي، كان تياراً ساحقاً، تقريباً الشبيبة المسلمة في إيران، وهو الذي جعل التيار الإسلامي في إيران أقوى من التيارات الحزبية

⁽۱) السيّد موسى الصدر كان أول من نقل كتب شريعتي ومحاضراته إلى اللغة العربية، وأول كتاب كان الشهادة والذي قمنا بإعادة نشره هذا العام ولكنه ـ السيّد موسى الصدر ـ رفض حينها وضع اسمه على الكتاب كمترجم أو مُعرّب. (الناشر).

العشق والفداء وطريقته، ليحترق كالشمع وينير لنا الدرب، وها نحن نقدمه لك كأفضل هدية ليستقر عندك ويبدأ حياته الخالدة في ملكوتك الأعلى.

قسماً بالعدل والعدالة، أنك - علي شريعتي - كالموج المتلاطم تغلي في نداءات المظلومين ضد الظالمين ما دام الظلم والإضطهاد يُثقل كاهل البشر(١١).

وقام بتأسيس قيادة حرب العصابات في مدينة الأهواز عند بدء الحرب مع العراق، جرح في ميدان الحرب عام ١٩٨٠م، ثم عاد الى الجبهات بعد شفائه.

استشهد في ٢١ حزيران عام ١٩٨١م عند إصابته بشظية قذيفة مدفعية في جبهة الحرب بمنطقة الدهلاوية. (الناشر).

الشهيد الدكتور مصطفى شمران(۱)

رفيق الإمام موسى الصدر في لبنان واول وزير دفاع بعد انتصار الثورة

. . . وأنت أيها الرب الكبير قد منحتنا (على) لتعلمنا طريق

(۱) بعد إنتفاضة الشعب الإيراني المسلم في (١/ ١٩٦٣/٦/٥)، ذهب الشهيد مصطفى شمران(ره) إلى مصر (في عهد الرئيس جمال عبد الناصر) لتلقي تدريبات على حرب العصابات، وبعد إنهائه لتلك الدورة التدريبية أخذ على عاتقه تدريب المجاهدين الإيرانيين خارج البلاد. ونظراً للموقع الاجتماعي الذي يتميز به لبنان، فقد وجد في جنوب لبنان منطقة مناسبة لنشاطاته والتي شارك فيها العديد من قادة ورجال الثورة ومنهم نجل الإمام الخميني(رض) السيّد أحمد الخميني(رحمه الله)، وتمكن مع الإمام الصدر (أعاده الله) من تأسيس "حركة المحرومين" والتي سميت فيما بعد بـ ٤- حركة أمل".

عاد إلى إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية، فوضع حجر الأساس لمؤسسة حرس الثورة الإسلامية من خلال تدريب أول مجموعة من الحرس. كما انبرى عن طريق تولي منصب مساعد رئيس الوزراء لشؤون الثورة، لحل المشاكل التي كانت تواجه النظام الإسلامي. عينه الإمام الخميني شخصياً وزيراً للدفاع.

إنتخب نائباً عن طهران في إنتخابات أول دولة لمجلس الشورى الإسلامي، ثم عينه الإمام الخميني ممثلاً عنه في مجلس الدفاع الأعلى. الأخرى. يعني الجامعة كانت بيدهم، والتأثير الإسلامي كان عميقاً في المجتمع الإيراني، حتى أن الشيوعيين استسلموا للحكم، وبقيت الحركة الإسلامية تقاوم وتدافع وتناضل.

الدكتور شريعتي، من خسائر الفكر الإسلامي، والفكر الدكتور شريعتي، من خسائر الفكر الإسلامي، والفكر الحركي، الفكر النضالي المعتمد على الإيمان بالله سبحانه، ولذلك نحن نعتبره فقيدنا وخسارتنا، ونكرّمه في هذا اليوم، يوم علي، مولاه ومولانا، ونبعث إلى روحه أيضاً، ثواب الفاتحة)(١).

⁽۱) مسيرة الإمام الصدر. الجزء ۱۱ ص۱۵۶ ـ ۱۵۵ إعداد وتوثيق يعقوب ضاهر ـ دار ملال ـ ط۱، سنة۲۰۰۰.

مقدّمة الطبعة الفارسية

بسم الله الرحس الرحيم

الهدف من نشر هذه السلسلة هو أن نقوم ـ بعون الله ـ بتحرير وطباعة كلّ نتاجات الاستاذ الشهيد الدكتور علي شريعتي، المسموعة فيها والمقروءة، سواء نشرت من قبل أم لم تنشر بعد، وذلك باسلوب يتوخى الدقة والأمانة ويأخذ بعين الاعتبار جميع التعديلات والآراء التي استحدثت لديه دون أدنى تصرف في ما هو المأثور عنه .

ومن هنا، فان جميع كتابات وخطابات الاستاذ الشهيد والتي طبعت بلا اشراف منه، سوف يصار إلى اعادة طبعها بعد مطابقتها مع الأشرطة والمذكرات الأصلية، مراعاة للأمانة العلمية وتفادياً لحصول سوء فهم أو توظيف.

نسعى إلى تبويب المطالب ونشر ما كان متوزعاً على كراسات صغيرة أو متوسطة، في كتاب واحد وتحت عنوان واحد، محققين بذلك أحد أماني استاذنا الشهيد «تراجع لهذا الغرض وصيته المنشورة في سلسلة الآثار ـ العدد ١».

كل كتاب أو مجلد سوف يتضمن في آخره فهارس شاملة للأعلام والأمكنة والمصطلحات والمفاهيم. ان مهارة وحنكة استاذنا

الشهيد في استخدام المفاهيم والمصطلحات الموجودة في تراثنا الاسلامي الايديولوجي وأيضاً في الثقافات والمدارس الفكرية الأخرى، هو احدى الباقيات الصالحات لاستاذنا الشهيد، وبالتالي فإن التمعن في هذا المجال يعد امراً ضرورياً لمن يريد أن يوفق الى التعرف على أفكار هذا الرجل الكبير واستشراف متبنياته الفكرية والعقائدية والثورية، والاستفادة من هذا الرصيد التربوي الغني.

يشار الى اننا قد نورد بعض الإشارات مدعومة بذكر مصادرها، فيما اذا اقتضت الضرورة، وذلك في قسم الملاحق.

جدير بالتأكيد والملاحظة ان الملاحق تم اعدادها من مكتب النشر، وعليه فهو يتحمّل مسؤولية كل الأخطاء والهفوات والقصور الذى يمكن ان يسجّل عليها.

على أمل أن يعثر طلاب الحق وأصحاب الفكر الحرّ الملتزم في هذه السلسلة على أسلم نتاجات الاستاذ الشهيد وأكثرها نقاء وأصالة.

ملاحظات الناشر

يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أقسام أصلية وقسم رابع خاص بالملاحق يتألف بدوره من أربعة مواضيع.

أما الأقسام فهي كالتالي وحسب الترتيب:

١ ـ الدين ضد الدين ـ وهو عبارة عن محاضرة في ليلتين

متواليتين ألقاهما الاستاذ الشهيد في صيف ١٩٧٠ م في حسينية الارشاد بطهران. وقد تم تحويل هذه المحاضرة الى نصّ مقروء في حينها وباشراف من الاستاذ نفسه. ومن هنا فقد أجرى المكتب مقارنة بين النصّ المحرّر والكلام الموجود على الشريط واكتفى باجراء بعض التعديلات الضرورية.

۲ ـ أبتاه، أماه، نحن متهمون ـ وهذا القسم هـ و فـ الأصـل محاضرة أيضاً ألقيت خريف عام ۱۹۷۱ م فى حسينية الارشاد أيضاً،
 بعدها اجرى الاستاذ بنفسه تعديلات وأضاف لها اموراً أخرى ونشرت سابقاً على هيئة كتاب.

٣ ـ نعم، هكذا كان يا أخي ! ـ هذا القسم محاضرة أخرى ألقاها الدكتور الشهيد خريف العام نفسه (١٩٧١ م) وفى نفس المكان (حسينية الارشاد بطهران)، ومن ثم أدخل عليها اضافات وتعديلات وجاءت توضيحاته على متن المحاضرة المحرّر.

٤ ـ الملاحق، وتتألف من الأمور التالية:

الف: توينبي، الحضارة والدين ـ وهي عبارة عن حوارية كتبها الاستاذ بنفسه، ويبدو انه أعدها في ضوء حوارات جرت بينه وبين توينبي في مشهد. ومما يلزم ذكره ان هذه المقالة تطبع لأوّل مرّة، وتاريخ كتابتها غير معلوم.

ب : وداعاً يا مدينة الشهادة ـ وهي مقالة كتبها الدكتور في أواخر

شتاء ۱۹۷۲ م بعد ان حرم من مواصلة التدريس في جامعة مشهد.

ج: لولا البابا وماركس ـ مقالة منه لا يعرف تاريخ تحريرها.

د: ندوة للإجابة عن الأسئلة والاشكالات: وهذه الندوة كما يظهر من اسمها عبارة عن مجموعة اجوبة عن اسئلة واستفسارات وانتقادات موجهة الى حسينية الارشاد بنحو عام والى شخص الاستاذ شريعتي على الخصوص، وتتألف من قسمين، الأولى انعقدت بتاريخ ١٩٧١ / ١٩٧١ م وتحدث فيها اشخاص آخرون ممن لهم نشاط في الحسينية، وحيث ان الحوارات مترابطة، آثرنا ايراد كلمات بقية المشاركين في الندوة الأولى مع ايراد اسمائهم.

في الختام ، يشار الى النقاط التالية:

۱ ـ في كل مورد نضطر فيه لإضافة عبارة ربط أو توضيح فاننا نضعها بين حاصرين من نوع [].

٢ - فى الموارد التي يتعذر علينا تشخيص كلمة (من مقال أو شريط) أو حتى حدسها يصار الى وضع العلامة التالية: "... * ".

مكتب تدوين وتصنيف سلسلة نتاجات الشهيد الدكتور علي شريعتي آذار / ١٩٨٢ م

كلمة بخصوص الترجمة

۱ _ بالنسبة للقسم الثاني من الكتاب أي محاضرة (أبتاه أماه نحن متهمون) فلم نقم بترجمته في هذا الكتاب لأنه مترجم ومنشور من قبل، وسيعدر عن دار الامير بكتاب مستقل.

٢ ـ عزفنا عن ترجمة القسم الأوّل من الندوة الواردة في الكتاب لاشتماله على أقوال وكلمات أفراد آخرين، ولم تكن هناك ضرورة ملحة لايراد كلام الاستاذ الشهيد فيها، وذلك ان الندوة الثانية التي خصصت للاستاذ وحده تكاد تكون مشتملة على كل ما أورده في الندوة الأولى فلم نر داعياً لتطويل المسافة على القارىء.

٣ ـ من المناسب التنويه الى انّ الكتاب يشتمل على أقسام متباينة من حيث الأصل فبعضها محاضرة وبعضها مقالة وبعضها حوار في ندوة ، الأمر الذي قد ينعكس على أسلوب الكلام وبالتالي الترجمة، لذا اقتضى التنويه .

الدين ضد الدين

موضوع حديثي لهاتين الليلتين هو (الدين ضد الدين).

وربما يبدو هذا العنوان غامضاً، وهذا الغموض ناجم عن قناعة عامة لدينا بأنّ الدين كان دائماً ضد الكفر، وان المعركة استمرت تاريخياً بين الدين واللادين، فيكون التعبير برالدين ضد الدين) منطوياً على قدر من الغموض والغرابة والاستنكار، بينما قد توصلت اخيراً وربما من قبل ولكن ليس بهذا المستوى من الوضوح الى ان الحقائق التاريخية تؤيد عكس التصور الآنف الذكر وان الدين لم يكن يواجه إلا بالدين، خلافاً للتصور الساذج الذي نحمله اليوم.

بدءً اشير الى ان الحديث عن التاريخ هنا لا يراد منه المعنى الاصطلاحي الشائع والذي يعبّر به عادة عن تاريخ ظهور الحضارة أو اختراع الكتابة. بل أقصد بداية الحياة الاجتماعية للنوع الانساني على وجه الأرض. وفي ضوء ذلك فان التاريخ الذي اتحدث عنه تعود بداياته الى ثلاثين أو أربعين وربما خمسين الف سنة، بينما التاريخ بمعنى بداية المدنية واختراع الخط لا يتعدى قدم ستة آلاف عام. والتاريخ بالمعنى المختار يشتمل على دراسة الآثار القديمة وعلم

الأرض والاجتماع والبحث في القصص والاساطير القديمة بما يوفر لنا علماً اجمالياً حول حياة الانسان بأجياله الأولى ومنهجه الحياتي والعقيدي.

فعلى مدى هذا التاريخ الذي قلنا ان بداياته وصلت الينا عبر الحكايات والأساطير وكلما اقترب الزمن نحونا أصبح في متناول أيدينا مستندات ووثائق بشأنه ، كان الدين هو العدو اللدود المناوي، للدين السائد، وذلك أن المجتمعات البشرية في جميع مراحلها لم تخل من دين ابدأ، اي ان التاريخ لم يحدّثنا عن مجتمع عاش بدون دين، في أي مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي، وفي أي نقطة على وجه الأرض.

صحيح، اننا ربما نصطدم في القرون المتأخرة _حيث نمت مظاهر المدنية والفكر والفلسفة _بأشخاص ينكرون وجود الخالق أو المعاد، غير ان هؤلاء الاشخاص لم يحدث في وقت من الأوقات ان يرتقوا الى مستوى طبقة او فئة اجتماعية معتد بها. وحسب قول كارل: (فإن التاريخ ضم بين دفّتيه مجتمعات عاشت وانقرضت ولكن هذه المجتمعات كانت ذات نظم دينى بشكل عام).

ان المحور الذي يـقوم عـليه مـجتمع مّـا، هـو ايـمانه الديـني ومعتقداته المذهبية، حتى ان المظهر الخارجي للمدن يـعكس حـقيقة الوضع الروحي للمجتمع الموجود فيها.

خلال القرون الوسطى، وقبل ظهور المسيح، كانت المدن فـى الغرب وفي الشرق تتألف من مجاسيع من الدور والمباني تـبني عــلي نسق معيّن وبالاستناد الى معايير طبقية أو قبليّة بحيث يكون لكلّ قبيلة أو طبقة، محلة محدّدة تقترب أو تبتعد عن مركز المدينة حسب المكانة الاجتماعية التي تتمتع بها تلك القبيلة أو الطبقة، وعلى أي حال فان قاسماً مشتركاً يمكن ملاحظته في المدن المتحضرة، شرقية كانت أو غربية، كونها تحمل طابعاً رمزياً، أي ان نظم المدينة لا يكون اعتباطياً بل ينطوى على دلالات معينة، وفي الغالب يتمّ ابراز هوية المدينة من خلال طريقة بناء معبدها. طبعاً هذه الحالة آخذة بالزوال والانقراض هذه الأيام. فمدينة طهران مثلاً ليس لها طابع رمزى، بمعنى ان طريقة تنظيم مبانيها وشوارعها لا تستند الى محورية معينة، لا دينية ولا غير ذلك. بينما روعى هذا الأمر في بناء مدينة مشهد، إذ لو اخذنا للمدينة صورة جوية، سوف يتجلى فيها بوضوح الطابع الرمزي للمدينة، حيث تظهر البنايات فيها وكأنها تتمحور حول شمعة في الوسط، وهذه الشمعة ترمز الى هوية المدينة وتمثل بطاقتها الشخصية.

والسؤال الذي يطرح الآن، لماذا كان بناء المدن يتم بهذه الطريقة الرمزية؟ والجواب واضح، فإنّ أي حضارة أو دولة أو مدينة لم تكن تقوم في السابق إلّا على أساس ومر تكز ديني. يمكنكم ملاحظة جميع الكتب الموجودة لدينا حول تاريخ نشوء المدن مثل: (تاريخ قم)

و(تاریخ یزد) و (فضائل بلخ) و(تاریخ بخاری) و(تاریخ نیسابور) وغيرها ... ستجدون ان جميع تلك الكتب تتفق عــلى ارجــاع ظــهور المدينة الى وازع ديني أو مناسبة مذهبية، كـأنّهم غـير قـادرين عـلى التصديق بأنّ مدناً كبيرة كهذه يمكن أن ترى النور دون ان يكون وراء ذلك عامل ديني أو معنوي، فلابدٌ من وجود نبي مدفون في المنطقة التي توجد فيها المدينة، أو شخصية دينية صالحة، أو حتى واقعة دينية من ظهور معجزة او غيرها. خلاصة الأمر انه لا بدّ من افتراض مبرر ديني وعقيدي لوجود مدينة أو نشوء كيان حضاري. وهذا يكشف عن حقيقة مفادها ان المجتمعات الانسانية القديمة، وعلى اختلاف انواعها وانماطها، كانت تأتلف على أساس عنصر مشترك هـو (روح الديـن) الموجودة في ضمير الانسان القديم مهما كان نوع المجتمع الذي ينتمي اليه، طبقياً أو قبلياً، حضرياً أو بدوياً.

وفي ضوء ذلك فان ما نفهمه اليوم من كلمة (الكفر) من عدم الاعتقاد بما وراء الطبيعة والله والمعاد والغيب والمقدسات، ليس له واقع موضوعي، وذلك أن جميع ابناء البشر متفقون على الايمان بهذه المباديء والأصول العامة. واما المعنى الذي نفهمه اليوم من (الكفر) بمعنى اللادين فهو معنى مستحدث وطاريء ، ويعود الى القرنين أو الثلاث قرون الأخيرة، أي فترة ما بعد القرون الوسطى. وهو معنى قام الغرب بتصديره الى الشرق كبضاعة فكرية، في ضوئها أصبح الكفر

بمعنى عدم الاعتقاد بالله وبكل ما وراء الطبيعة والعالم الآخر. بينما اذا ألقينا نظرة على تاريخ الاسلام ونصوصه القديمة بـل تـاريخ جـميع المذاهب والاديان يتضح لنا انه متى ما جرى الحديث عن الكفر فليس يغنون بذلك الحالة اللادينية، وذلك ان حالةً كتلك لم يكن لهـا وجـود أصلاً.

وعليه فالكفر هو نوع من الدين أيضاً، يطلقه أهل الأديان عادة على من لا ينتحل نحلتهم ولا يندين بنديانتهم. ولهذا قند تنتقابل الإطلاقات ما بين أهل ديانتين فيعتبر كلٌّ منهم الفريق الآخر كافراً.

والحاصل انه متى ما ظهرت دعوة دينية، سواء على صعيد تاريخ الأديان الابراهيمية أو على صعيد المذاهب الغربية والشرقية وبأي نحو كانت، فهناك قضيتان اساسيتان :

الأولى: ان هذه الدعوة الدينية تظهر على رغم وجود الديانة السابقة بل لمواجهتها.

والقضية الثانية: ان الديانة القديمة وأهلها سوف يكونون أول من يشنّ الحرب ويعلن المواجهة ضد القادم الجديد.

وحينئذ فنحن الآن بإزاء قضية في غاية الأهمية، من شأنها ان تحل أهم المشكلات المعاصرة على صعيد إصدار الأحكام بواسطة الشخصيات المستنيرة في عالمنا هذا، وتسهم في التحليل العلمي

والتاريخي لأخطر حكم أصدره المستنيرون حول الدين، والقاضي بأن الدين يتنافى مع الحضارة والتقدّم وارادة وحرية الشعوب، او هو فـي أحسن الأحوال غير قادر على مواكبة هذه الأمور.

وهو حكم لم يأت جزافاً بل على أساس مفردات واقعية وأرقام علمية وتجارب تاريخية متكررة. ان هذا الحكم ليس حكماً تعسفياً ناجماً عن حقد وكراهية أو جهل مطلق، وانما هو حكم مستند الى مبررات علمية ومشاهدات عينية ووقائع اجتماعية وتاريخية مدعومة بأدلة وأرقام.

ومع ذلك، فأنا اعتقد ان هذا الحكم غير صائب، وذلك لأن أصحابه وقعوا في الخطأ ذاته الذي وقعنا نحن _ أنصار الأديان _ فيه، وذلك في عدم الفرز بين الدينين، وتخيّل المواجهة بين الدين واللادين، فنميل اولاً الى اثبات الدين بشكل اجمالي عام ومن ثم ننتقل الى اثبات ديننا بشكل خاص، وهذه منهجية خاطئة في البحث. هذا الخطأ وقع فيه المناهضون للأديان في اوربا في القرنين الأخيرين خاصة القرن التاسع عشر حيث بلغت فيه موجة المناهضة للدين أوجها في اوربا. والسبب عدم قدرتهم على الفرز بين شكلين من الدين مع شدة الاختلاف بل والتناقض والتخاصم الدائر بينهما على الدوام، وبالتالي اصدروا حكمهم بناء على وقائع وأرقام حسّية وواقعية لمسوها من خلال النمط الآخر

عتموا الحكم على الدين بمطلق اشكاله دون ان يشعروا بأن الحكم الذي أصدروه ينطبق على نصف الحقيقة ويهمل نصفها الآخر، بل ويتجنّى عليه، وذلك لأنه ثمة نمط آخر من الدين يختلف اختلافاً جوهرياً عن النمط الذي اصطدموا به وبممارسات أتباعه، وهذا الاختلاف ينسحب على جميع خصائص وصفات كل نمط بحيث لو أردنا اثبات صفة لأحدهما تعيّن نفيها عن الآخر.

وأود الاشارة هنا الى نقطة في غاية الأهمية، وهي انني ربما ألجأ الى استخدام نفس المصطلحات المتداولة بيننا، ولكن اعني منها معنىً غير المعنى الرائج والشائع، لذا أرجو من الأخوة أن لا يسارعوا الى فهم المصطلحات وفق ما هو مرتكز في اذهانهم ومن ثم يصدروا أحكامهم على خلاف المعنى الخاص بي والذي أريده من الاصطلاح الوارد في كلامي، وسوف ألجأ الى تحديد المفاهيم التي أعنيها من المصطلحات التي اكثر استخدامها، تحسباً من وقوع لبس او خلط بين معنيين متغايرين تماماً، وهذه الاصطلاحات هي: الكفر والشرك وعبادة الأوثان.

الكفر

الكفر بمعنى الستر والتغطية، وهو من الزراعة حيث تزرع الحبة

ومن ثم تغطى بالتراب. ووجه الاقتباس ان الكافر يغطي على الحقيقة الناصعة في قلبه لأسباب وعلل كالجهل والانتهازية. والكفر ليس بمعنى تغطية الدين باللادين بل بمعنى تغطية الدين بواسطة دين آخر.

الشرك

هل يعني الشرك عدم وجود الإله؟ كلّا، اذ المشركون لهم آلهة أكثر منا! المشرك ليس هو الشخص الذي لا يؤمن بـالله اذ لا وجـود لشخص كهذا.

ومن المعلوم ان الذين وقفوا بوجه عيسى وموسى وابراهيم هم مشركون وليسوا ملحدين. فمن هم المشركون اذن؟ بالطبع ليسوا اشخاصاً لا يؤمنون بالرب، بل على العكس هم فئة يومن افرادها بأرباب كثيرين، وعليه لا يمكن من الناحية العلمية اطلاق وصف المشرك على افراد عديمي الاعتقاد الديني، وذلك لأن المشرك يعتقد بوجود معبود، بل اكثر من معبود، وهو يؤمن بعبوديته لهذا المعبود ويعتقد بتأثيره في مصيره ومصير العالم الذي يعيش فيه، وهو يمتلك نظرة الهية مثلما لدينا تلك النظرة.

وعليه فمن الناحية الحسّية يعدّ المشرك انساناً متديناً وان اخطأ الهدف من حيث المصداق وسلك طريقاً مغلوطاً. وواضح ان الدين

الغلط شيء واللادين شيء آخر يختلف عنه اختلافاً جوهرياً. وحينئذ يمكن القول ان الشرك دين، بل هو أقدم انواع الأديان في حياة المجتمعات البشرية.

عبادة الأوثان

ان عبادة الأوثان لون خاص من ألوان الشرك، وليس شيئاً مرادفاً للشرك، فالشرك عنوان لدين معروف على طول التاريخ، وعبادة الأوثان كان شكلاً من أشكال هذه الديانة في احدى مراحلها التاريخية. ولك ان تقول ان عبادة الأوثان هي فرقة من فرق الشرك يتميز اتباعها بأنهم يصنعون التماثيل والأصنام إمّا لكي يعبدوها أو لكي يتقربوا بها الى المعبود الأصلي ويعتبروها واسطة بينهم وبينه، وعلى اي حال فانهم يؤمنون بأنّ له قدرة تأثير على مجرى الحياة بشكل أو لرخي .

غير ان القرآن عندما يهاجم (المشركين وعبدة الأوثان) وينتقدهم، يستفيد من الفاظ عامة وذلك تحسّباً من ايقاع الناس بالخطأ الذي وقعنا الآن فيه، ولكي لا يُفهم من القرآن ان الاسلام قام لمواجهة خصوص هذا النمط من الشرك بالله _نمط عبادة الأوثان _بل ان النهضة الدينية التي قادها النبي تستهدف الاطاحة بكل مظاهر الشرك مهما كان

شكله ولونه. شأنه في ذلك شأن سائر الأديان والحركات التوحيدية.

اننا نقع في وهم كبير عندما نتصور ان الطرف المقابل لنا (دين الشرك) يتجسّد في شكل واحد هو عبادة الأصنام، في حال ان قوله تعالى : ﴿ أتعبدون ما تنحتون ﴾ يستبطن _ بنفسه _ الردّ على هذا التوهم الابتدائي، وذلك اننا لو راجعنا التاريخ بطوله والجغرافيا بعرضها نجد ان البشرية لم تقتصر على نحت الصخر ومن ثم عبادته، بـل نحتت لها مختلف الأمور، مادية أو غير مادية، ثم تعلّقت بها الى حـد العبادة، وهذه ظاهرة انسانية عامة عانت منها المجتمعات البشرية وتعاني الى الآن بصور مختلفة، يشكل عبادة الأوثان نموذجاً منها طُبِّق وما زال يطبق في بعض المجتمعات الجاهلية العربية والأفريقية.

﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ عبارة عن مبدأ عام يتضمن تعريفاً شمولياً لأسلوب العبادة في دين الشرك، ذلك الدين الذي ظل يواكب دين التوحيد خطوة بخطوة على مرّ التاريخ، ولم يتوقف او ينقرض لافي عصر النبي ابراهيم ولا بعد ظهور الإسلام، بـل مـا يـزال قـائماً وسيبقى.

خصائص دين الشرك

(هذا بحث في تاريخ الأديان، وسوف أبذل سعيي لاستخدام

مصطلحات مألوفة ومتداولة على صعيد الاسلام وتراثنا الأدبي).

في احد خندقي المواجهة يقف دين التوحيد وعبادة الله . الله بمعنى العلم والارادة والخالقية والتدبير، هذه هي صفات الرب في جميع الأديان الابراهيمية، الخالق لأنه خلق هذه العالم بأسره، والمدبر لأن حركة هذا العالم تجري بإرادته. وهو مريد له مطلق الحرية في الحكم على الوجود، وعالم لأنه يشرف اشرافاً تاماً على كل ما في الكون. في الوقت نفسه فان هذا الربّ حدّد هدف الخلقة وغاية وجود العالم، ولقد كانت عبادة هذه القوة المطلقة تمثل الشعار الأعلى الذي رفعته جميع الأديان الابراهيمية، وعرف به ابراهيم شخصياً، وهذا الشعار يعني دعوة جميع بني البشر الى عبادة قوة واحدة نافذة في الوجود، والسير نحو هدف واحد للخلقة، والايمان بوجود قدرة واحدة مؤثرة في كافة انحاء الوجود والاستناد اليها في جميع مناحى الحياة.

التوحيد

ان الدعوة المعروفة تاريخياً بدعوة التوحيد، لها بعد مادي يرتبط بهذا العالم، ويتمثّل بأن من يؤمن بأن هذا الكون بأسره مخلوق بواسطة قوة واحدة، وان هناك قدرة واحدة تتحكم بأطراف هذا الوجود من مجتمع انساني أو حيواني أو نباتي أو حتى الجمادات، دون أن يؤثر في هذا الوجود شيء آخر، آنذاك يكون من شأن هذه الرؤية التوحيدية

الالهية ان يكون لها انعكاس على صعيد الحياة الانسانية، لأن من يؤمن بأنّ الكون عبارة عن امبراطورية واحدة يحكمها مصدر قوة واحد، وان البشر خاضعون لإرادة واحدة وينتمون الى جنس واحد ولهم اله واحد تضمحل أمامه كل الوجودات والمظاهر والقوى الأخرى، ان من يؤمن بذلك سوف ينظر الى هذا العالم نظرة كلية يراه من خلالها كأنه جسد واحد تتحكم فيه روح واحدة، وحين ينظر الى البشر يراهم افراداً متساوين ومتماثلين لأنهم خلقوا بيد واحدة وعلى وتيرة واحدة.

هذا الدين التوحيدي هو أحد الديانتين اللتين اشرت لهما، وهو يقوم على اساس عبادة رب واحد والايمان بقوة واحدة متنفذة في مصير المجتمعات الانسانية على طول التاريخ. وكما قلت فإنّ من لوازم توحيد الإله توحيد العالم ومن لوازم توحيد العالم توحيد الانسان.

من جهة أخرى فان هذا الاعتقاد البشري يمثل ميلاً فطرياً نحو عبادة القوة الواحدة والايمان بالقداسة _بحسب تعبير دوركايم (١) _أو الايمان بالغيب بالتعبير القرآني. والدليل على فطرية هذا الاعتقاد

⁽۱) دوركايم (۱۸۵۸ ـ ۱۹۱۷)، عالم اجتماع فرنسي معروف، كان استاذاً في جامعة السوربون، كان دوركايم يعتقد أنّه يتعيّن على علم الاجتماع أن يدرس المجتمع كنوع خاص من الواقع الروحي، تختلف قوانينه عن قوانين علم النفس الفردي. له عدّة مؤلفات منها: «حول تقسيم العمل الاجتماعي»، «قواعد المنهج في علم الاجتماع»، «الأشكال الأولية للحياة الدينية». انظر: الموسوعة الفلسفية، ص ۲۰۰ (المترجم)

وفطرية كل اعتقاد آخر هو دوام هذا الشعور وشموليته لجميع الافراد لجميع الأزمان ما يدلّ على أنه امر غريزي. ولو أردنا ان نستقصي في اعماق التاريخ لما وجدنا أمة عاشت بلا دين ولا عبادة.

ان هذا الشعور والحسّ التعبّدي الملموس في هذا الدين يترجم الى معرفة بهذه القوة المشرفة على العالم، وبالتالي التعرف على العالم كموجود حيّ قادر حسّاس له ارادة وغاية وهدف. مضافاً الى ان هذا الشعور التعبدي التوحيدي سوف يتجلّى تاريخياً في واقع اعتقاد بوحدة البشرية بشتى ألوانها وأقوامها وطبقاتها وأعراقها. ومن ثم

وعلى الخط الآخر، سيقود دين الشرك أصحابه الى نتيجة معاكسة فيتحول الشرك في كل حقبة زمنية الى عدو لدود لأديان التوحيد يهاجمها او يقاومها ويحول دون اتساع الرقعة الجغرافية او السكانية التى تمتد عليها.

لا توجد فرصة للتطرق الى تاريخ الأديان بتفصيل يستعرض مفردات وحقائق هذا الموضوع بشكل تام، غير أن بمقدورنا بحث دين الشرك من خلال دعوات الأنبياء العظام، وفي هذا السياق توكد لنا القصص الواردة في التوراة والكتب المرتبطة بها وكذلك قصص القرآن والروايات ان أعتى قوة جابهت رسالة النبي موسى وألحقت بها أشد الضربات هي حركة (السامري) و(بلعم بن باعورا).

السيامري

بعد نجاح موسى في إقناع قومه بالتوجه لعبادة الله الأحد وهجر عبادة الأوثان والعجل والوجودات الأسطورية التي كانت تمثل جميعاً مظاهر لدين الشرك آنذاك، في ذلك الوقت ظهر السامري ليُحيي من جديد سنّة عبادة العجل بأن اغتنم فرصة غياب موسى عن قومه فصنع لهم عجلاً ودعاهم لعبادته.

ذلك الرجل الذي نحت عجلاً بغية ان يعبده بنو اسرائيل بدلاً من (يهوه) و (الله) لم يكن إنساناً لا دين له، بل عــلى العكس كــان مــبلّغاً للعقيدة وداعية للدين!

بلعم بن باعورا

هل كان هذا الرجل فيلسوفاً مادياً او ملحداً دهرياً أو شخصية مثل مترلينغ أو شوپنهاور (١)! كلا، بلعم بن باعوراكان صاحب اعلى مقام ديني في زمانه، وكان كعبة المتدينين وعموم الناس في ذلك الوقت، ومع ذلك فقد نهض لمعارضة دعوة موسى النبي مستغلاً ايمان الناس

⁽١) آرثر شوبنهاور، فيلسوف ألماني، ولد عام ١٧٨٨، وتوفي عــام ١٨٦٠، مـن أشهر كتاباته «العالم كإرادة وكتصور». (المترجم).

وثقتهم به، ما أدّى الى انزال ضربات مؤثرة بدين التوحيد ورسالة موسى.

الفريسيّون

انظروا الى عيسى! من كان سبب معاناته الطويلة والمصائب التي ظل يتعرض لها الى اللحظة الأخيرة، و بزعمهم الإبادة التي تعرض لها، وغير ذلك من الممارسات الخيانية والتهم والافتراءات التي وجهت اليه والى أمه؟ من كان وراء ذلك سوى الفريسيين؛ أتباع وانصار الدين القائم في ذلك الزمان، لم يكونوا ماديين ولا زنادقة ولا دهريين، بل هم أناس ظلوا يعتقدون بدين الشرك الذي جاء عيسى لاجتثاث جذوره.

مشىركو مكة

وانظروا الى نبي الاسلام، فهل كان الاشخاص الذين عقدوا لواء المعارضة والمناوءة له وسلّوا سيوفهم عليه في بدر وأحد وهوازن والطائف ومكة، هل كانوا بدون دين أو لم يكن لهم حسّ ديني؟ كلا! لا يمكن العثور على شخص بينهم كان بهذه المواصفات، كانوا جميعاً أصحاب عقيدة، حقيقةً أو ادعاءً، وكان شعارهم القضاء على النبي، على

محمد بن عبد الله وأتباعه، بذريعة انتهاكهم لحرمة بيت ابراهيم، ولأنهم صبأوا عن دين آبائهم وخرقوا الأصول والمقدسات، انهم يسريدون القضاء على هذه الأرض المقدسة (مكة) وتحطيم الأصنام التي هي الواسطة بين الله وعباده. وعليه فالشعار الذي رفعته قريش والعرب من ورائها ضد الاسلام والنبي هو شعار الدين ضد الدين.

ومن بعد النبي، استمر هذا الشعار يرفع ولكن بشكل مختلف، هذه المرّة بوجه عليّ واتجاهه الذي كان يحمل روح الاسلام الحقيقي ويسعى للحفاظ عليه. من الذي واجه عليّاً؟ هل هم الكفار ومن لم يكن لهم دين، وهل كان الشعار المرفوع يدعو الى انكار وجود الله، أو ان الاعتقاد بنمط آخر من الدين في مواجهة النمط الأصيل، هو الذي أدى الى نشوب المعركة _ تاريخياً _ بين آل النبي وآل أمية ومن بعدهم آل العباس.

ان عبادة الله هي أبرز خصائص هذا الدين الابراهيمي _ وانا اصطلح عليه بالابراهيمي كيما يتسنى لكم فهمه بوضوح _ . فعلى مر التاريخ كان ثمة دين توحيدي يدعو الى عبادة معبود واحد هو خالق كل الكون والمهيمن على كل شيء فيه وهو الذي يرسم الطريق للبشرية جمعاء ويحدد هدف التاريخ ويصوغ القيم الإنسانية على معيار محدد، وهذا الدين يقف بوجه كل الحركات الداعية لعبادة الطاغوت من أبينا آدم الى النبي الخاتم والى نهاية المطاف البشري. وبدورهم يقف عبدة

الطاغوت _على اختلاف أصنافهم _بمواجههة هذه الحركة الاعتقادية التي تدعو الانسان الى الانقياد لنواميس الكون الكبرى والتسليم بإزاء الإرادة الإلهية الحقة التي رسمت طريق الخلقة وحددت لها هدفها العظيم وغايتها القصوى متمثلة بالله! هؤلاء العبدة لا يألون جهداً بالوقوف بوجه دعوة كهذه اسمها (الاسلام)(١) ويتعمدون وضع العراقيل في طريق أهدافها.

بيد ان هذا الدين الذي يد الى الانقياد المطلق لإرادة الرب، هو _ في الوقت ذاته وللسبب ذاته _ يدعو الى الثورة والطغيان على كل ما سواه، وكل خطاب فيه الى عبادة الله ينجر تلقائياً الى نبذ عبادة الطاغوت. وعلى الجانب الآخر يحصل الشيء ذاته مع دين الشرك حيث يدعو اتباعه الى الطغيان بوجه ناموس الكون الاعظم والتمرد على الإرادة الالهية ورفض دعوة الاسلام، وذلك امتداداً لدعوته الى عبودية القوى والأقطاب الأخرى التي تجسد بنفسها مفهوم الآلهة المتعددة.

الشرك يعني الطغيان على العبودية لله، ولكنه في نفس الوقت يعني العبودية والتسليم للأصنام (بمعناها الشامل لكلّ ما يتخذه البشر آلهة زوراً وتزويراً بمعونة جهل الناس وظلم الحاكمين). ان عمل

⁽١) القرآن يصرّح بأنّ الاسلام هو اسم لجميع الأديان الحق: ﴿ان الدين عند الله الاسلام ﴾.

الطاغوت يتجلى في الطغيان بوجه القوة العظمى المهيمنة على عالم الكائنات، وأيضاً في التسليم بوجه (ما تنحتون). وهذه ال(ما تنحتون) شاملة لكل ما من شأنه ان يكون صنماً يعبد من لاتٍ وعزى أو ماكنة ورأسمال أو دم وعرق، ان هذه جميعاً نماذج تطبيقية لمفهوم الطاغوت الذي يقف في مواجهة الله.

ومن خصائص دين التوحيد أيضاً الطابع النقدي الهجومي الثوري الذي يتصف به، وذلك في مقابل الطابع التبريري الذي يشكل السمة الاكثر بروزاً من بين السمات الأخرى لدين الشرك بمفهومه الأوسع.

ماهية الدين الثوري

الدين الثوري، هو دين يغذّي اتباعه ومعتنقيه برؤية نقدية حيال كل ما يحيط بهم من بيئة مادية أو معنوية، ويكسبهم شعوراً بالمسؤولية تجاه الوضع القائم يجعلهم يفكرون بتغييره ويسعون لذلك فيما لم يكن مناسباً.

ان السمة الاساسية لهذا الدين _الدين التوحيدي _انه يـتفادى تبرير الوضع القائم تبريراً دينياً ولا يؤمن بمبدأ الرضوخ للأمر الواقع أو اتخاذ موقف اللامبالاة حيال ما يحيط به. لاحظوا حركة الأنـبياء،

سوف يتضح لكم ان الاديان التوحيدية، خاصة في مراحل ظهورها الأولى أي فترة نقائها عن الشوائب والتحريف، تستسم عادة بطابع رافض للوضع القائم ونزعة ثورة وتمرد على كل جور وفساد، وهذا التمرد والطغيان يأتي متصاحباً مع العبودية والخضوع لموجد الكون، والانقياد لقوانين الوجود التي تستجلّى فيها الارادة والقدرة الإلهيّتان.

أمعنوا النظر في جميع الأديان، موسى مثلاً نهض تأثراً بوجه الاقطاب الثلاثة: قارون اكبر رأسمالي في زمانه، وبلعم بن باعورا ممثلاً لأكبر شخصية دينية انحرافية، وفرعون الذي بيده القدرة السياسية لذلك العصر.

والآن ما هو ذلك الوضع الموجود؟ انه المذلّة التي طوّقت رقاب الأسباط بواسطة الأقباط، في واحدة من اجلى ممارسات التمييز العرقي حيث كان الأقباط يتصرفون مع الأسباط من منطق الشعور بالفوقية والاستعلاء.

انها حركة ثورية لمواجهة وضع اجتماعي طبقي ف اسد يسوّغ لبعض الطبقات استغلال الطبقات الأخرى . وتهدف هذه الحركة الى استبدال الوضع القائم بوضع آخر مثالي وتحقيق هدفٍ محدد للحياة وهو تحرير قومٍ من الأسر وارشادهم الى الارض الموعودة وتأسيس مجتمع يقوم على دعامة العقيدة والرسالة الاجتماعية الرافضة لعبادة

الطاغوت، والقضاء على الطواغيت الذين يبرّرون شتّى انواع العنصريّة والتمييز، ومن ثم اقرار مبدأ التوحيد لكي تتجلّى فيه الوحدة البشرية والعدالة الاجتماعية.

ماهية الدين التبريري

يسعى دين الشرك دائماً الى تبرير الوضع القائم عبر ترويج المعتقدات ذات الصلة بما وراء الطبيعة ويسعى الى تحريف الاعتقاد بالمعاد والمقدسات والقوى الغيبية ويشوه المباديء العقائدية والدينية ليقنع الناس بأن وضعهم الراهن هو الوضع الأمثل الذي يجب ان يرضوا به لأنه مظهر لإرادة الله تعالى وهو المصير المحتوم الذي كتبه الله عليهم.

ان القضاء والقدر بالمعنى الذي نفهمه اليوم هو من مخلفات معاوية وإرث منه. فالتاريخ يروي لنا ان الاعتقاد بالقدر والقول بالجبر أمور ابتدعها حكام بني امية ليسلبوا من المسلمين الشعور بالمسؤولية ويحرموهم من خلاله من كل انواع النقد ويقتلوا روح المبادرة فيهم لأن الجبر يعنى الانصياع الى كل ما هو موجود والخضوع لكل ما هو كائن. في حين كان اصحاب النبي (ص) يشعرون دائماً بالمسؤولية الاجتماعية ويأخذونها على عاتقهم كمهمة أساسية ودائمية.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين يتبادران الى اذهاننا بمعناهما المبتذل الذي لا يسعنا التحدث عنه في الأوساط الفكرية المثقفة، هما عبارة أخرى عما يسمّيه المفكر الاوربي اليوم برالمسؤولية الانسانية» أو «مسؤولية المبدع» أو «مسؤولية المثقف». ماذا تعني المسؤولية المبحوث عنها في الفلسفة والفن والأدب في عالمنا اليوم؟ انها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعينه، غير اننا مسخنا معنى هذين المبدأين بحيث اصبح العمل بهما عملاً مرفوضاً ومستهجناً.

استمرار دين الشرك

ان رسالة دين الشرك وهدفه كما ذكرت آنفاً هي تبرير الوضع الموجود. ما هو المقصود من تبرير الوضع الموجود؟ نحن نجد أن أبناء المجتمعات البشرية قد صنّفوا في التاريخ الى الشريف والوضيع والسيد والعبد والمستفيد، ونرى الشرائح والطبقات الانسانية قد قسّمت الى فئات ذات ماء وتراب وعرق مذهبي وفئات أخرى فاقدة لكل هذه المزايا، وشعوبٍ ذات افضليةٍ دائمة على الشعوب الأخرى وطبقات المتاعية مفضلة على الطبقات الأخرى وقبائل مرجّحة على القبائل الجتماعية مفضلة على الطبقات الأخرى وقبائل مرجّحة على القبائل

الأخرى. هذه المعتقدات السائدة في حياة الناس هي في حــد ذاتــها جاءت لتبرّر الوضع الموجود.

يجب ان يكون هنالك تعدّد في الآلهة وتعدد في أقاليم الالوهية لكي يتحقق ويستمر التعدّد الفئوي والطبقي والقبلي والعرقي في المجتمع وفي العالم.

قد يستطيع بعض الناس ان يحرموا البعض الآخر بالقوة ويحصلوا على امتيازات حقوقية واقتصادية واجتماعية غير انهم لا يستطيعون المحافظة على هذه الامتيازات بمنطق القوة. اننا نرى الأقوياء يحصلون دائماً على هذه الامتيازات في التاريخ ولكنهم يخفقون في المحافظة عليها.

وهنا يلعب الدين _أي دين الشرك _دوره الأساسي في حفظ هذا الوضع، وتتمثل مهمّته هنا في إخضاع الناس واقسناعهم بأنّ هذا الوضع هو تجسيد لمشيئة الله وارادته وانّ انتماء الفرد للطبقة الوضيعة لم يكن بسبب وضاعة ذاته فحسب بل لأنّ ربه وإلهه وخالقه هو أدنى مرتبة من إله العرق الآخر وأقل شأناً من ربّ الطبقة الأخرى.

قاعدة حماة دين الشرك الاجتماعية

عندما يعمّ التمييز والاختلاف الطبقي والعرقي في المجتمع يأخذ

دين الشرك على عاتقه رسالة تكريس هذا الوضع وتثبيته. ولذا نرى في التاريخ ان مؤسسي دين الشرك والمحافظين عليه، في زمرة الطبقات الاجتماعية العالية بل قد نراهم أسمى درجة وأغنى مالاً وأكثر هيمنة من الطبقة الحاكمة.

انظروا الى رجال الدين المجوس ابان الحكم الساساني ولاحظوا هيمنتهم على العائلة المالكة والعسكر.

لاحظوا القساوسة في اوربا والحاخامات في قوم بني اسرائيل والسحرة والكهنة وزعماء الديس في القبائل الوثنية في افريقيا واستراليا. انكم ترونهم جميعاً مع الهيئة الحاكمة يداً في يد وكتفاً الى كتف، وقد ترونهم احياناً يهيمنون على الهيئة الحاكمة أيضاً.

فقد تصل نسبة الاملاك التي كانت في حوزة القساوسة في اوربا الى أكثر من سبعين بالمئة، وفي العصر الساساني كانت أملاك علماء الدين المجوس والأراضي الموقوفة على المعابد والأماكن المقدسة تزيد أحياناً على أراضى الاقطاعيين والمالكين الكبار.

وخلافاً لما نتصور، نرى الانبياء _الانبياء الذين نعتقد نحن بهم _ نراهم يقفون بحزم بوجه الاديان التي برّرت _ عبر التاريخ _الوضع الظالم المهيمن على حياة المجتمعات في القرون الخالية من الناحية الاقتصادية والاخلاقية والفكرية.

العامل الرئيسي في دين الشرك

ان العامل الجذري الذي يبتني عليه دين الشرك هـ و الاقـ تصاد الذي يقوم على أساس تملّك فئة قليلة من الناس وحرمان الأكـثرية . وهذا العامل يحتاج الى الدين لحفظ نفسه وإدامة وجوده و تبرير بقائه وديمومته. فإنّ الدين هو العامل الذي يتمتع بقدرة عالية على اخضاع الفرد واقناعه بالذلّ والهوان. انّ هذا الدين _أي دين الشرك _هو الذي اخذ على عاتقه دائماً مهمة تبرير الوضع الموجود .كيف ؟

أولاً: بترويج الاعتقاد بتعدد الآلهة ليـصدّق النـاس بـأنّ تـعدّد الشعوب والقبائل والطبقات هو أمر يـرتبط بـالمشيئة الالهـية وعـالم الغيب.

ثانياً: ولكي يحافظ دعاة هـذا الديـن عـلى الامـتيازات التـي امتازوا بها على الطبقات الاخرى فانّهم كانوا دائماً من دعـاة الأثـرة والاحتكار.

الدين الافيوني

العوامل الاساسية لدين الشرك _كما يعدّدها الإلحاديون بحق _ هي الجهل والخوف والمالكيّة والتمييز الطبقي. انّ هذه الامور

التي يذكرها الإلحاديون هي حقائق لا يمكن انكارها وان قولهم: «الدين أفيون للشعوب جاء ليخضع الناس للذل والهوان والجهل والتخلّف والمصير المجهول» هو قول صحيح لا يمكن انكاره والنيل منه.

المرجئة في التاريخ

المرجئة في التاريخ يبرّرون جريمة كل مجرم في المجتمع الاسلامي. انهم يتساءلون اولاً: لماذا يضع الله الميزان يوم الحساب؟ ويجيبون على هذا السؤال: بأنّ الله يضع الميزان للتدقيق في حساب على ومعاوية.

أي لوكان الله تعالى هو الحاكم والمدقق يوم القيامة، فما شأنك انت؟ وهل يعنيك من سيكون على حق ومن سيكون على باطل؟ اذن عليك ان تعيش حياتك كيفما تشاء ولا تشغل بالك بهذه الأمور التي لا تعنيك.

حركة دين الشرك

ان المسار التاريخي الذي ينتهجه دين الشرك يتم بأحد النحوين أدناه:

الأوّل: الشكل المباشر الذي نلاحظه في تاريخ الأديان: أي عبادة الغرزة ثم عبادة العلّمة أو الراية الخاصّة ثم عبادة القوّة الغيبيّة الخفية (مانا)(۱) ثم عبادة ارباب النوع ثم الاعتقاد بتعدد الآلهة فالاعتقاد بالأرواح وأخيراً الاعتقاد بالله وعبادته. هذه هي سلسلة دين الشرك في تاريخ الأديان، وهي في الوقت نفسه تجسّد جوهر الاشكال الواضح الذي يرد على هذا الدين.

الثاني: الشكل الخفي الذي انتهجه دين الشرك وهو أخطر وأسوء من الشكل الأوّل. وهذا الشكل من الدين هو الذي ألحق أفدح الخسائر بكيان الانسانية ووجه الحقيقة على مرّ التاريخ.

ففي هذا الشكل يختفي الشرك وراء نقاب من التوحيد.

عندما يبعث الانبياء الداعون الى التوحيد، ترى دين الشرك يتصدى لهم ويقف في وجههم وعندما ينتصر الانبياء في هذه المواجهة، تستمرّ حياة دين الشرك وانصاره وخلفائهم بشكل خفي. فاننا نرى بلعم بن باعورا الذي هزم في مواجهة موسى يظهر على شكل الحاخامات في دين موسى وعلى شكل الفريسيين الذي قتلوا عيسى (ع). فالطبقة التي جابهت عيسى (ع) وتواطأت مع قيصر ملك الروم الوثني للقضاء على دين التوحيد واتباعه هي نفسها التي كانت تقف في وجه

⁽١) المانا: قوة تأثير غيبي في أدبيات الديانة المانوية وهي ديانة قريبة من الزردشتية.

موسى (ع)، السامري وبلعم بن باعورا ظهرا في التاريخ مرّة أخرى غير انهما ظهرا هذه المرّة بزي القساوسة الذين ارتكبوا باسم الدين في القرون الوسطى جرائم بيّضت وجه المغول والتر. لقد سجلوا تلك الجرائم باسم الدين _الدين الذي يبتني على الحب والولاء والوفاء والصبر والعفو والمحبّة _وباسم عيسى _مظهر السلام والعفو والشفقة في التاريخ _. هل كان هؤلاء انصاراً لدين عيسى (ع) حقاً؟ هل هؤلاء هم الحواريون؟ أم انهم أنصار دين الشرك والفريسيون بعينهم ظهروا هذه المرة بزي القساوسة لكي يتسللوا إلى دين موسى من الداخل ويعيدوه الى حظيرة الشرك؟! وقد فعلوا!

اذن فالكلام الذي اطلق في القرن التاسع عشر بأنّ الدين هو أفيون للشعوب وأنه جاء ليروّض الناس على الحرمان والشقاء في هذه الدنيا باسم الاعتقاد بما بعد الموت ويقنعهم بأنّ كل شيء يحدث هو من عند الله وبمشيئته وانّ كل محاولة لتغيير هذا الوضع هي مخالفة لإرادة الربّ ومشيئته وعصياناً لأمره، هو كلام صحيح بحدّ ذاته، وكذلك قول علماء القرن الثامن عشر والتاسع عشر بان الدين هو وليد جهل الناس وعدم اطلاعهم على الحقائق والعلوم أو قولهم: «ان الدين هيو وليد مخاوف الناس، أو قولهم: «ان الدين وليد التمييز والحرمان في عهد مخاوف الناس، أو قولهم: «انّ الدين وليد التمييز والحرمان في عهد الاقطاع».

ولكنّ أي دين هذا ؟ انّه الدين الذي هيمن دائماً على التاريخ ـ

سوى حقب زمنية قصيرة لمعت كالبرق ثم انطفأت ... انه دين الشرك مهما كانت اسماؤه ومسمّياته، حتى لو سمّي بدين التوحيد أو دين موسى أو دين عيسى أو اصطلح عليه بخلافة النبي أو خلافة بني العباس أو خلافة اهل البيت أو غير ذلك من الاسماء والمسميات. انه دين شرك ودعاة هذا الدين مشركون جاؤوا بلباس الدين وباسم الدين والجهاد والقرآن . ألم يرفع اتباع هذا الدين القرآن على رؤوس الرماح؟ ان الذين رفعوا القرآن على الرماح هم القريشيون انفسهم الذي جابهوا نبي الاسلام للبقاء على عبادة اللات والعزى . إلّا انهم لم يقدروا على حفظ ذلك الوضع فتسلّلوا بين صفوف المسلمين ليرفعوا القرآن على الرماح ويضربوا علياً تلك الضربة القاضية، تلك الضربة التي ضربوا بها الله والرسول.

لقد حكم دين الشرك باسم الاسلام وباسم خلافة الرسول وآله وباسم القرآن كما حكم في القرون الوسطى باسم عيسى وموسى اللذين ارسيا دعائم دين التوحيد في التاريخ.

ان الدين التبريري والدين التخديري والدين الرجعي والدين الذي لا يهتم بأمور الناس هو الذي حكم المجتمعات البشرية عبر التاريخ. اذن لابد أن تصدق الذين قالوا ان الدين هو وليد المخاوف والاقطاع وانه تخديري ورجعي لأنهم استنبطوا ذلك من التاريخ، غير انهم لم يعرفوا الدين حق معرفته لأنهم لم يكونوا متخصصين بمعرفة

الدين بل كان حقل تخصصهم التاريخ وكل من يراجع التاريخ يرى هذه الحقيقة متجليةً في الأديان جميعاً، سواءاً تلك التي حكمت باسم دين التوحيد او تلك التي حكمت بصراحةً باسم دين الشرك.

لقد قارنت جميع الصفات والاسماء المرادفة للفظ الجلالة «الله» في الاديان الابراهيمية وفي اديان الشرك أيضاً ورأيت ان هذا الدين _ اى دين الشرك _ هو حقّاً وليد خوف الناس وجهلهم. لماذا؟ لأنّ اتباع هذا الدين (اي اولئك الذين يروّجون دين الشرك) يخشون دائماً يقظة الناس ووعيهم. انّهم يريدون ان تكون العلوم والمعارف مقتصرة على الأشياء الثابتة والدائمة ويكون هذا أيضاً خاصًاً بهم ولا يبيحوا بسـرّه لغيرهم. وذلك أنّ دين الشرك سيتلاشى بتطور العلم واتساع رقعته لأنه يقوم على اساس الجهل والاميّة. فاذا وعنى الناس ونشطت روح الانتقاد فيهم وطالبوا بالعدالة والقسط وانبعث الامل فى نـفوسهم ستتزلزل أركان هذا الدين. هذا الدين كان على مرّ التاريخ محافظاً على الوضع الموجود، وكانت هذه مهمته قبل عهد الاقطاع وبعده، في شرق العالم وغربه.

ان الصفات والأسماء الالهية كالهيبة والهيمنة والجبروت تترجم وتفسر في اديان الشرك دائماً بمعناها الاستبدادي في حين نجد جميع الاسماء والصفات القديمة في الاديان الابراهيمية حتى تلك التي يرجع تاريخها الى أكثر من ألفين أو ثلاثة آلاف سنة تنبثق من أحد أمرين:

الأوّل: العشق والجمال وعبادة الجلال والجمال المطلق.

الثاني: الابوّة، السيادة، الكرم، الحكومة والحماية. وعليه، فمن يزعمون بأنّ الدين الذي حكم العالم عبر التاريخ هو وليد جهل الناس وخوفهم من الكوارث الطبيعية، كلامهم صحيح بحد ذاته.

لقد كانت الأديان الابراهيمية وليدة رغبة الانسان وحاجته الى هدف معين وحكومة خاصة وميله الفطري الى الخضوع والخشوع امام الجمال والكمال والجلال المطلق. فقد كانت هذه الاديان تلبّي جميع حوائج الانسان _النفسية والفلسفية والاجتماعية _ وقد تصدى أنبياء هذه الأديان _الأديان الابراهيمية _لجميع القوى الحاكمة سواءً المادية منها او الاجتماعية او المعنوية وحطّموا جميع الأصنام سواءً الأصنام المنطقية _كما يسمّيها فرانسيس بيكون (١١) _أو الاصنام المجسّمة أو الاصنام الأخرى، الاقتصادية منها أو المادية، وقد تصدّى هؤلاء الانبياء لجميع مظاهر دين الشرك _الدين التبريري _ونهضوا بمسؤولية تغيير الوضع الموجود داعين أتباعهم الى استبدال هذا الوضع بالعدالة تغيير الوضع الموجود داعين أتباعهم الى استبدال هذا الوضع بالعدالة

⁽۱) ولد في ستراند، على مقربة من لندن عام ١٥٦١ وتوفي في لندن عام ١٦٢٦، وضع دائرة معارف واسعة بنيت على أساس الملاحظة التجريبية والمنهج الاستقرائي، ورمت في التحليل الأخير إلى وضع الطبيعة في خدمة الانسان. له العديد من المؤلفات منها: «في حكمة الأقدمين»، «مقدمات للتاريخ الطبيعي والتجريبي». انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٢٦. (المترجم)

والقسط. وقد أكّد القرآن هذا الأمر مشيراً الى انه الهدف الاسمى من بعثة الانبياء والرسل. فالمقصود من إقرار العدالة والميزان والقسط هو تغيير الوضع الموجود لامداهنته. واريد ان استنتج هنا ان الدين لم يقف بوجه الالحاد بقدر وقوفه بوجه الدين. بلي، كان الدين على مرّ العصور في صراع دائم مع الدين نفسه، لقد وقف دين التوحيد الذي يرتكز على وعى الانسان وبصيرته وعشقه وحاجته الفلسفية الفطرية بوجه ديسن الشرك المنبثق من جهل الناس وخوفهم، ولهذا نرى دين التوحيد ديناً ثورياً على مرّ التاريخ فكلّما نجح دين الشرك التبريري في تـحريف الدين الأصلى والتلاعب بعقائد الناس ظهر نبي ابراهيمي جديد ليدعو الناس الى اتباع القوانين الالهية العامة التي تعكس ارادة الله تعالى، ولذلك نرى أن دين التوحيد يتّسم دائماً بنزعة التمرد والانكار والرفض والمواجهة.

الله والناس

في التوراة والانجيل (في بعض الأجزاء التي سلمت من التحريف) وفي القرآن أيضاً، نرى الله تعالى والناس في جبهة واحدة. أي اننا نستطيع استبدال كلمة الله بكلمة الناس أو كلمة الناس بكلمة الله في جميع الآيات القرآنية التي تعالج المسائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ـ لا المسائل الفلسفية والعلمية ـ مثال ذلك الآية الكريمة:

﴿أَن تقرضوا الله قرضاً حسناً ... ﴾ فهل تعني هذه الآية ان الله يحتاج الى من يقرضه قرضاً حسناً وهو الغني عن العالمين ! كلا، بل ان المقصود من الله في هذه الآية هم الناس، وهذا التقارن مشهود في جميع الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تعالج المسائل والاتجاهات الاجتماعية، والمراد اثبات ان الله تعالى والناس يقفون في صف واحد وجبهة واحدة.

اتباع الطاغوت

وفي الجبهة المقابلة يقف اتباع الطاغوت. من هم اتباع الطاغوت؟ انهم اولئك الذين يعبّر عنهم القرآن بدالملاً» وهم المترفون الذين يملأون العين ويشغلون المناصب والمواقع المهمّة في مجتمعاتهم ولا يلتزمون بمسؤولياتهم وواجباتهم.

الدين الذي حكم التاريخ هو دين الملأ والمترفين، وكانت حكومة هذا الدين تتراوح بين الحكم المباشر والصريح، والحكم تحت غطاء «دين الله والناس».

اما دين التوحيد فانه لم يتحقق في اي برهة من التاريخ، ويكفي الشيعة فخراً انهم رفضوا الحكومات المستستّرة باسم الاسلام والتسي حكمت في القرون الوسطى اعتقاداً منهم بأنّ عمل هذه الحكومات هو

نهب امبريالي وان هذا الحكم هو اقرب الى حكم كسرى وقيصر منه الى خلافة رسول الله (ص).

اذن فالدين الابراهيمي هو الدين الذي ظل يواجه دائماً دين الطاغوت والملأ والمترفين ويدعو الناس الى النهوض والتمرّد على جبهة (الملأ) ويبشّرهم بأن الله تعالى معهم وفي صفوفهم.

خطاب هذا الدين موجّه للناس وهدفه اقرار العدالة ونشرها.

هذا الدين وليد وعي الناس وحاجتهم الماسة الى العشق والعبادة والوعي، غير انّه لم يتحقق عينياً في التاريخ، بل ظلّ على شكل نهضة انتقادية عارمة نقدت التاريخ ولم تتحقق فيه بشكل كامل قط. وانّ الدين الذي هيمن على التاريخ هو دين الشرك دين الطاغوت والملأ والمترفين الدين الأفيوني الذي أخذ على عاتقه مسؤولية تبرير الوضع الموجود.

أود ان أقول لأولئك المفكرين الذيبن يسألونني دائماً: «انت بصفتك مفكراً كيف ترتكز على الدين الى هذا الحد؟» انني عندما اتحدث عن الدين الذي كان مهيمناً على المجتمعات في الماضي بل اتحدث عن دين كان هدفه الوقوف بوجه الدين المهيمن على المجتمعات عبر التاريخ. اني اتحدث عن دين بعث انبياؤه لمقارعة دين الشرك بجميع اشكاله، بيد ان هذا الدين لم يتحقق في الماضي بشكل كامل وان المسؤولية التي تقع على عاتقنا اليوم هي الماضي بشكل كامل وان المسؤولية التي تقع على عاتقنا اليوم هي

السعي لتحقيق هذا الدين في المستقبل، وهذه المسؤولية هي مسؤولية الانسانية جمعاء. فاهتمامنا بالدين ليس رجوعاً الى الوراء بل هو مواكبة لحركة التاريخ.



بيّنت في بداية هذا البحث مقصودي من عنوان هذا المقال «الدين ضد الدين» واستعرضت في حديثي الفكرة التي توصلت اليها اخيراً (وان لم يكن هذا الاكتشاف اكتشافاً علمياً او فلسفياً معقداً بل هو شيء بسيط غير ان الكثير من الامور البسيطة التي لا ننتبه اليها تعود علينا بنتائج سيئة جداً).

ذكرت في حديثي ان الدين لم يصارع الكفر والالحاد ـبالمعنى الذي يتبادر في ذهننا ـ وذلك أنه لم يكن في الماضي اي مجتمع الحادي أو طبقة الحادية غير دينيّة، والتاريخ يشهد لنا بانّ الناس على مرّ العصور كانوا متديّنين دائماً في مسارهم الاجتماعي التاريخي. وقلت ايضاً انّ المجتمعات البشرية بكلّ اصنافها وبدون استثناء كانت مجتمعات متدينة في جميع مراحل التاريخ، أي ان الدين كان الأساس الفكري والثقافي لكلّ المجتمعات في طول التاريخ، بحيث لو اردنا اعداد تحقيق عن التاريخ الحضاري والثقافي لمجتمع مّا نجد انّ تحقيقا قد تبدّل بشكل عفوي الى تحقيق عن الحضارة الدينية أو تحقيقنا قد تبدّل بشكل عفوي الى تحقيق عن الحضارة الدينية أو

الثقافة الدينية لذلك المجتمع.

فهل يمكن التحدث عن الحضارة الهندية بدون التطرق الى الدين الودائي والبوذي والاذعان بان هذه الاديان هي المحور الرئيسي والجوهر الأساس في هذه الحضارة المعطاء؟ وهل يمكن التحدث عن الحضارة الصينية بدون التطرق الى لائتسه وكنفشيوس واعتبارهما المحور والجوهر لهذه الحضارة العريقة؟

اذن نحن نعلم ان البشر كانوا متدينين على مر التاريخ (١) وان البشر لم يكونوا معتقدين بالدين فحسب، بل كانت حياتهم ترتكز على قاعدة دينية، ولم يكن الدين مهما في مضامير الثقافة والاخلاق والمعنوية والفلسفة فحسب بل كانت الهيئة المادية والاقتصادية وحتى الطابع المعماري في المدن القديمة دينيا أيضاً.

وقلت أيضاً: ان العمران في أغلب المدن القديمة هو عمران رمزي فاننا نجد ابنية المدينة تحيط بمعبدها، كون المعبد رمزاً لتلك المدينة. فكما نرى اليوم برج ايفل رمزاً لمدينة باريس ، كانت المعابد رمزاً للمدن في الماضي فقد كان معبد «دلفي» مثلاً رمزاً لمدينة اثينا في الحضارة اليونانية.

ولنا أن نتساءل: ما هو الفكر والواقع الاجــتماعي الذي وقــف

⁽١) التاريخ بمعنى قصة حياة الانسان الاجتماعية لا بالمعنى المصطلح.

بوجهه انبياؤنا المؤسسون لهذه النهضة التاريخية الممتدة من آدم (ع) الى خاتم الانبياء (ص)؟ ومن هم الذين وقفوا في وجه هؤلاء الأنبياء وهذه الاديان الابراهيمية الحقّة ؟

نعلم انّ «الكفر» هو جواب جاهز لهذه الأسئلة، لكينّ الكيفر لا يعنى عدم التديّن بدين خاص. بعبارة أخرى ان الأنبياء لم يأتوا ليدعوا الناس الى أصل التدين والشعور الدينى ولم يأتوا لتبليغ العبادة فسي المجتمعات البشرية لأن العبادة والشعور الديـنى والاعــتقاد بــالغيب والايمان بالله او الآلهة كان سائداً في جميع الأقوام والمجتمعات التاريخية. واذا لاحظنا بعض «الزنادقة» أو «الدهريين» يقفون بـوجه الأنبياء _وقلَّما نجد ذلك لأنَّ هؤلاء وقفوا في الغالب بوجه الفلاسفة وزعماء الدين _فانّنا نراهم يعتنقون مبدأ دينياً بشكل آخر أو باعتبار آخر أي أنهم كانوا يؤمنون بالقوى الغيبية وبــما وراء الطــبيعة. ثــم انّ الدهرية والزندقة هي ظاهرة متأخرة جداً من حيث الزمن اي انها تتعلق بمراحل التطوّر الفكري والفلسفي والعقلي في تاريخ البشر، وان الذين كانوا يشكُّكون في الدين والعقائد الدينية هم من النوادر ، ولم تدخل الزندقة في مجرى التاريخ ولم تصنع كياناً يختص بها في أيّ من حقب التاريخ.

ان تاريخ البشر هو عبارة عن تاريخ المجتمعات الانسانية في جميع المراحل الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والثقافية

والحضارية التي كانت دينية دائماً. وانّ انبياءنا بدأوا هذه النهضة الدينية على ضوء حاجة مجتمعاتهم ومقتضى ظروفها الخاصة. وانّ الذي وقف دائماً في وجه هؤلاء الانبياء وسعى دائماً الى تحريف مبادئهم هو «الكفر» لا الزندقة والالحاد.

صفوة القول، ان الدين _بالمعنى الذي نفهمه نحن _كان في صراع دائم مع الدين وان رسالة الانبياء ومحور دعواتهم يتمثل في الصراع مع الكفر، لا الصراع مع الزندقة والالحاد. إذ الزندقة لم تكن سائدة في تلك المجتمعات. وهنا لابد لي ان اشير الى ان هذا الاستنتاج هو استنتاج قرآنى لحسن الحظ:

دين الكفر ودين الاسلام

يأمر الله تعالى النبي (ص) ان يقول للكافرين الذين ناهضوا الاسلام بمعناه الأعمّ وحاربوا ابراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام): ﴿قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون﴾ لاحظوا التكرار والدقّة في هذه السورة كل ما اريد أن أقوله، موجود فيها: ﴿لا اعبد ما تعبدون﴾، اذن الخطاب موجه للكافرين لا الزنادقة. المسألة ليست مسألة صراع بين العبودية والعبودية وانّ الذين بين العبودية والعبودية وانّ الذين ناوؤوا نبي الاسلام لم يكونوا من الزنادقة (الذين لا يؤمنون بوجود إله)

بل كان عدد آلهتهم اكثر بكثير من اله الاسلام الواحد، ﴿ولا انتم عابدون ما اعبد﴾ وهذه الآية لا تختلف في المعنى عن الآية السابقة إلا ان القرآن يكرّر هذا المعنى لائه يريد ترسيخ هذا المبدأ في أدمغتنا وعقولنا، ﴿ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد﴾ انه يعيد ويكرر المفهوم نفسه. وفي آخر السورة يعلن النص التالي شعاراً لهذه النهضة: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾، ومعنى هذا ان الصراع على طول التاريخ هو صراع بين الدين والدين وليس بين الدين والزندقة.

هيمنة دين الكفر على التاريخ

ذكرنا في القسم الاول من حديثنا ان دين التوحيد ودين الكفر كانا في صراع دائم في التاريخ ونتساءل الآن: «من كان المنتصر في هذا النزاع؟» في الحقيقة ان النصر كان حليفاً لدين الكفر دائماً. ويكفي لاثبات ذلك نظرة عابرة الى تاريخ المجتمع البشري.

انّ انبياءنا _الانبياء الذين نـعتقد بـحقانيّتهم _لم يسـتطيعوا ان يطّبقوا دينهم بشكل كامل ومنشود في أي مجتمع وفي اي بـرهة مـن التاريخ.

لقد كان هؤلاء الانبياء يظهرون على شكل نهضة وثورة وتمرّد على الدين الحاكم، إلّا انّ جبر التاريخ _الذي كان في ايدي الكافرين _

ودينهم - الذي كان يبرر الوضع الموجود - كانا يفرضان استمرار حكومة الكفر وبقاءها ، وبما ان السلطة سواءً الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية - كانت بأيديهم دائماً ، لذا لم يستطع دين الحق ان يتجسد بشكل واقعى في اي مجتمع منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا .

ما هو هذا الدين ومن هم هؤلاء ؟ من أجل أن نضع اسماً لهذا الدين ولكي يكون كلامنا أكثر بساطة وشفافية يمكننا أن نقتبس من النصوص الدينية اسماءاً وصفاتٍ عديدة. الاان هذه الاسماء قد تكون اكثر مناسبة من غيرها:

هو «دين الناس» من زاوية المخاطب وهو «دين الله» من حيث محور الدعوة وروحها وجهتها. الدين الذي وقف دائماً بـوجه الدين الموجود وحمل راية الصراع في كل زمان ومكان هو الدين الذي كان محور خطابه «الناس» وكانت دعوته دعوة الى «الله». ان هذا الدين اذن ـهو دين «الله والناس».

المال مال الناس

لو راجعنا القرآن لرأينا في اول نظرة انّ القرآن يسبتدىء بكسلمة «الله» ويختتم بكلمة الناس. ونرى ايضاً انّ مخاطبي هذا الكتاب همم الناس دائماً.

ان دين «الله والناس» _اي الدين التوحيدي _ يفصل وجود الله وذاته عمّا سواه وهما الانسان والطبيعة _ خلافاً لما تراه نظرية وحدة الوجود الهندسية _ ولكنّ «الله» و «الناس» في هذا الدين يـقفون فـي صف واحد وجبهة واحدة من حيث المكانة والجهة الاجتماعية، بحيث اننا نستطيع استبدال كلمة «الله» بكلمة «الناس» وبالعكس فـي جـميع الآيات التي تـتعلق بـالمسائل الاجـتماعية والاقـتصادية والمسائل الاجـتماعية والاقـتصادية والمسائل معناها الوثني القائل بحاجة الله الى التملك والثروة والذي يفرض على معناها الوثني القائل بحاجة الله الى التملك والثروة والذي يفرض على الناس ان يدفعوا مبلغاً من امـوالهـم _ نـذراً او هـدية _الى المعبد أو صاحبه!

ان معنى هذه العبارة هو ان «المال للناس»، وهذا التفسير ليس تفسيراً خاصاً بي فأكون قد فسّرته برأيي متأثّراً بالعوامل الفكرية السائدة في عالم اليوم، بل هو ذات التفسير الذي أفحم به أبو ذر معاوية بقوله: «انك تريد ان تأكل مال الناس بدعوى ان المال مال الله وانك خليفة الله في ارضه ويحق لك ان تأكله او تهبه لمن شئت». يريد أبو ذر أن يقول لمعاوية ان مال الله هو مال الناس وليس مال الملاً.

ان «مالكية الله» تعني «مالكية الناس» لأنّ الله والناس في صف واحد: «الناس عيال الله» ومن المسلّم ان يكون المعيل والعيال في صف واحد.

عيال الله

ويقف مقابل عيال الله الملأ والمترفون واولئك الذيبن تسلّطوا على رقاب الناس وسيطروا على ثرواتهم وسلبوا منهم حق تقرير مصيرهم الاجتماعي والاقتصادي. وقد كان هؤلاء الملأ والمترفون اصحاب دين ولم يكونوا ماديين ووجوديين أو زنادقة ، كانوا يعبدون الله (أو الآلهة).

دعم التمييز الطبقي والعرقي

ذكرت في القسم الأول انّ الشرك لا يحمل معنى فلسفياً فحسب بل انه يعني «تبرير الوضع الموجود». فما هـو الوضع المـوجود فـي التاريخ؟ انه الشرك الاجتماعي.

والآن ما هو الشرك الاجتماعي؟ انه يعني وجود اصنام متعددة بعدد الطبقات والفئات والأعراق والقبائل في المجتمع. فقد كان لكل شعب وعرق وقبيلة صنم أو إله خاص، وكانت عبادة هذه الاصنام تعني الاعتقاد باصالة هذه الشعوب والطبقات والفئات المتنوعة وضمان حقوقها وامتيازاتها الخاصة، بينما يصرّح دين التوحيد انه لا اله إلا الله ولا خالق ولا معبود سواه وان الربّ والخالق هما مفهوم واحد.

الربّ والخالق

تعتقد الأديان جميعاً بان الله هو خالق الكون. غير اننا نجد الاصنام تتعدد عندما نتطرق الى مفهوم الربوبية. فجبابرة التاريخ كفرعون ونمرود لم يدّعوا الخلق وانما كانوا يدّعون أنهم ارباب للناس، فالرب هو الصاحب والمالك ولا يعني الخالق.

كان فرعون يقول: «انا ربكم الاعلى» اي انا صاحبكم ومالككم ولم يقل انا خالقكم وبارئكم.

لقد كانت اديان الشرك جميعاً حتى الاديان اليونانية تعتقد بالله في مسألة الخلق الا اننا نجد آلهة متعددة أخرى تظهر فيما بعد تحت عنوان «ارباب الناس». لماذا؟ لتحقيق مختلف انواع واشكال الهيمنة وزرع بذور الاختلاف والفرقة بين أفراد البشر أو بين فئات المجتمع الواحد بغية تصنيف المجتمع الى طبقات عديدة وفئات متضاربة بين حاكم ومحكوم ومتخم ومحروم.

المدينة المنورة رمز المجتمع المثالي

ذكرت في القسم الأوّل من هذا البحث ان «دين الله والناس» كان على مرّ التاريخ على شكل نهضة كفاح ونضال ضد الواقع المهيمن ولم

يكن على شكل دين يبني المجتمع على اساس مبادئه. فاننا لا نجد في التاريخ البشري مجتمعاً قد بني على اساس هذا الدين سوى مجتمع المدينة المنورة في حياة رسول الله (ص) ولم يكن هذا المجتمع حقيقة تاريخية في مرحلة معينة بل كان على شكل رمز مثالي _كما ذكرت آنفاً_.

ان عمر هذا المجتمع لا يتجاوز العشر سنوات مقابل خمسين ألف سنة من التاريخ، فقد حكم دين الشرك في المدينة على مرّ التاريخ تارة باسم دين الشرك ولكنّ الفرصة لم تسنح باسم دين الشرك ولكنّ الفرصة لم تسنح لدين «الله والناس» الا في هذه السنوات العشر ليبني نظاماً اقتصادياً واجتماعياً وتربوياً وينظم العلاقات الفردية والاجتماعية والفئوية والطبقية والعرقية وكذلك العلاقات بين الاقلية والاغلبية على اساس دين «الله والناس».

لقد استطاع هذا الدين ان يبني هيكلية هذا النظام غير انه لم يتمكن من تطبيقه بشكل كامل، لان الانسان لا يستطيع ان يطبّق نظاماً يبتني على اساس رسالة تتغلب على التاريخ في عشر سنوات فقط . وقد لمسنا ذلك تاريخياً، فان سكان المدينة لم يقدروا على تغيير تربيتهم الفطرية والاجتماعية التي تبتني على اساس الجاهلية في مدة عشر سنوات ولم يستطيعوا المحافظة على ذلك النظام العظيم. ورأينا ايضاً عدو هذا النظام وهو يسيطر على كل شيء مرة اخرى

بعد مرور عشرين سنة فقط .

اذن نستنتج هنا ان النظر الى التاريخ بهذا الشكل وان امعان النظر فيه بهذه الطريقة سينتهي بنا الى العدول عن كثير من التصورات التي رسمت في اذهاننا عن التاريخ والدين والزندقة وعن المفكرين والالحاديين والمتدينين في الماضي والحاضر، وهكذا بالنسبة للعلاقة بين العلم والحضارة والعلاقة بين العاديين والدينيين.

وعلينا ان نعطي الحق لمفكّري القرنين السابع عشر والثامن عشر وكذلك القرن التاسع عشر حيث قالوا: «ان الدين كان أفيوناً للشعوب على مرّ التاريخ» لأن هؤلاء وضعوا الدين الذي كان مهيمناً على التاريخ وعلينا ان نؤيد مزاعم من قالوا: «انّ الدين هو عامل لتبرير السلطة الاقتصادية والاجتماعية التي تتمتع بها الاقلية ضد الاغلبية في التاريخ» انهم على حق لأنّ الدين كان يبرّر الوضع الموجود في عهد الاقطاع. ونرى هذه الحالة في كل المجتمعات وفي كل المراحل التاريخية التي نجد فيها شكلاً من اشكال الحكومة والاقتصاد، فلقد الناس عهمّة الدين تبرير الوضع الموجود عبر استغلال العقائد الدينية الراسخة في فطرة الناس.

وما أكثر النماذج التي تؤيد هذا الكلام، فما عليكم إلّا ان تختاروا حقبة من التاريخ لتلاحظوا الطريقة التي كان ينتهجها الدين في تلك الحقبة التاريخية. ولندرس هذه الحالة في ايران مثلاً:

الدين في ايران

حكم الدين على المجتمع الايراني في العهد الساساني بشكل مباشر، فقد كان الملوك والامراء في هذا العهد يخضعون بشكل كامل لعلماء الدين والمعابد وكان النظام الطبقي سائداً في هذا المجتمع على النحو الذي لا يستطيع فيه أي شخص من الطبقة السفلى الارتقاء الى طبقة أعلى بأيّ حيلة أو معجزة.

الطبقة الأولى والطبقة الثانية

تقع العائلة المالكة والنبلاء في الطبقة الأولى في العهد الساساني والى جانبهم رجال الدين _موبدان _ في الطبقة الثانية، وكانت السلطة في هذا العهد تتراوح بين هاتين الطبقتين فتارة تسيطر الأولى على الثانية وأخرى بالعكس.

بيد أنهم كانوا جميعاً من الملأ والمترفين الذين لا هم لهم سوى استثمار الناس واستغلالهم فلا فرق بين هاتين الطبقتين سوى ان الأولى العائلة المالكة والاشراف تستثمر الناس بالقوة، والشانية رجال الدين - تنهب ثروات الناس بالتبرير الديني، ولذا نرى ثروات الناس دائماً في أيدي هاتين الطبقتين ونرى القسم الأكبر منها أحياناً في يد دائماً في أيدي هاتين الطبقتين ونرى القسم الأكبر منها أحياناً في يد رجال الدين كما يقول آلبر ماله: «كان سهم رجال الدين المجوس ثمانية عشر سهماً من اصل عشرين سهماً».

الدين ضد الدين

الطبقة الثالثة

تشتمل هذه الطبقة على الصنّاع وأصحاب الحرف والعسكر والمزارعين وهي طبقة محرومة من كل مفخرة وليس لها أي حق اجتماعي لانّها تنتمي الى عرق نجس! كما هو متعارف في الهند ...

ينقل الفردوسي^(۱) عن «رستم فرخزاد»^(۲) قوله: لو أتى الاسلام لَساوى بين السيد والعبد ولخلط الاعراق ولَضَيَّعَ فضيلة الحسب والنسب، لأنَّ الحسب والنسب لا يمكن أن يكونا ملاكاً للفضيلة في الاسلام ويحقّ للعبد والسيد على حد سواء أن يتصدّى لمسؤولية القيادة والحكم في المجتمع الاسلامي».

ان هذه الألفاظ التي أراد الفردوسي أن يعيّر بها الاسلام تعدّ من أكبر المفاخر وأبهى الشعارات المرفوعة في عالمنا اليوم.

كان الدين يبرّر وجود التمييز الطبقي في العهد الساساني. وذلك ان الجبابرة لم يكونوا قادرين على ذلك لأنهم لا يجيدون الفلسفة والتبرير ولا يعلمون شيئاً عن ما وراء الطبيعة ويلجأون الى القوة فقط.

انّ ابن الاسكافي في العهد الساساني يحرم من الدراسة . لماذا؟!

⁽١) شاعر ايراني كبير عاش في القرن الرابع الهجري وكتب ملحمة «الشاهنامة».

⁽٢) قائد القوات الايرانية في معركة القادسية.

لانه لو أكمل دراسته سينتمي الى طبقة الكتّاب وهي طبقة أخرى أسمى من طبقته الوضيعة. اذن يجب ان يبقى ابن الحدّاء هذا حدّاءاً هو وابناؤه واحفاده الى ابد الدّهر حتى لو كان من النّوابخ. إن عليه حينئذ ان يستخدم نبوغه في صناعة الأحذية فقط.

رجال الدين المجوس وتبرير التمييز الطبقى

دأب رجال الدين المجوس على تبرير التمييز الطبقي والفوارق الطبقيه في العهد الساساني. كان هنالك ثلاثة أنواع من النار المقدسة وتعد كل واحدة من هذه النيران الثلاثة مظهراً من مظاهر (آهورا مزدا)(۱):

۱ _نار «كشنسب» في آذربايجان.

۲_نار «برزین مهر» بالقرب من مدینة سبزوار.

۳_نار «استخر^(۲)» في فارس (بالقرب من مدينة شيراز).

هذه النيران الثلاثة من مظاهر آهورا مزدا إلّا ان آهورا مزدا نفسه

⁽۱) مركبة من (آهورا) خالق الروح والحياة و (مزدا): صفة آهورا، كما ان (مزدا) مركبة من (مه) وتعني عظيم و (زدا) وتعني العالم المطلق، وهو إله الخير عند المجوس.

⁽٢) اسم حصن في فارس ، وسمّي بذلك لأنّ فيه مسبحاً عظيماً .

يتبع النظام الطبقي أيضاً. فالنار الموجودة في آذربايجان هي للملوك والاسرة المالكة، والنار الموجودة في فارس خاصة برجال الديس، والنار الموجودة في القلعة القريبة من سبزوار _برزين مهر _هي للمزارعين والفلاحين وأصحاب الحرف.

ان آهورا مزدا لا يحمل وجها واحداً وناراً واحدة حتى في دين المجوس الذي تتحد فيه آلهة الجمال والخير ويعبد الناس الها واحداً (آهورا مزدا) ويصارعون عدواً واحداً (آهريمن)، فالنار المقدسة تبرر وجود الاختلاف بين هذه الطبقات الثلاثة وتوحي بعدم امكانية اندماج هذه الطبقات لأنها متباينة وليست متشابهة، وهذا الاختلاف والتباين من وجهة نظرهم هو انعكاس لإرادة آهورا مزدا لأنه هو الذي شاء ان يكون ذلك مثلما شاء ان تكون النار مقدسة.

وهكذا نرى آهورا مزدا يثبّت هذا الثالوث الطبقي في المجتمع لكي يوحي للفلاح ان إلهه الخاص وناره المقدسة هي الموجودة في مدينة سبزوار وليست في فارس أو آذربايجان وانّ النيران الأخرى لا تنفعه ولا تضره، بل لا تخصّه ولا تعنيه أصلاً.

وفي الهند أيضاً عندما يريد بوذا التحدث عن الإله او الآلهة أو عندما يريد الافصاح عن شعور عظيم أو الكشف عن فكرة سامية، يقول: هذه طريقة آريّة أو هذه فكرة آريّة ويقصد بذلك انها تختص بالعنصر الآري أي العنصر النجيب الأصيل وانها لا تتعلق بالطبقات

النجسة الأخرى التي حكم عليها بالنجاسة لأنّها لا تنتمي لهذا العنصر.

لقد كانت الانظمة الطبقية والعنصرية والعرقية تستولي على كل شيء حتى على مقدسات الانسان وأفكاره الدينية وكان الدين يـبرر دائماً هذه الفـوارق الطـبقية مسـتغلاً بـذلك تـخلف النـاس الفكـري والفلسفى.

وعندما نلاحظ تصريحات بعض الفلاسفة كأرسطو وافلاطون بأنّ العبد يولد عبداً وان السيد يولد سيّداً وانّ الأسر الشريفة تتمتّع بعرق شريف وانّها محصورة مثلاً في مدينة (أثينا) في عشرين اسرة فقط (لاأكثر ولا أقلّ)، فانّنا نرى ذلك يحصل في زمن كان الناس يعيشون فيه تحت هيمنة الدين.

لقد كان دين «الملأ» ينتج الأفيون للمجتمع بإنتاجه لمواعظ من هذا القبيل: «أنتم لستم مسؤولين لأنّ كلّ ما يحصل هو حاصل بارادة الله ومشيئته!»...«لا تشكوا من الحرمان ولا تتألّموا فانّكم ستجزون في مكان آخر!»... «اصبروا على كل شيء لكي يضاعف الله لكم الأجر!».

هكذا كانوا يخمدون احتجاج الفرد ويجمدون حركته الإرادية .

كان الجبابرة يستخدمون العنف في مواجهة الناس واخماد ثوراتهم. لكنّ الدين كان ينتهج طريقة أخرى في وأد النهضة وردّ الانتقاد واخماد ثائرة الغضب والاحتجاج وهي تبرير الموقف بطريقةٍ كهذه: «انّ كل ما حصل قد حصل بمشيئة الله، فأي احتجاج واعتراض

سيكون بمنزلة الاحتجاج على الله ومشيئته».

وعلى الضفة الأخرى يقف دين الحق في مقابل هذا الدين التخديري التبريري الماكر الذي سلب من الناس شعورهم بالمسؤولية وبرّر التمييز الطبقي والعرقي في المجتمعات عبر التاريخ.

أنبياء دين التوحيد

دين التوحيد هو دين الانبياء الرعاة، الانبياء العمّال، الانبياء الذين عجن الحرمان والجوع في طينتهم ، اولئك الذين وصفهم نبيّنا (ص) بأنهم كانوا جميعاً من الرعاة، وقد وقف دين هؤلاء الانبياء دائماً بوجه دين الطبقة الحاكمة، دين القساوسة والرهبان والسحرة.

إن دين عبادة الطاغوت الذي كان يتمتع بكل شيء طوال التاريخ كان بدوره آلةً في يد الطبقة الحاكمة لاستثمار الطبقات السحيقة وقمعها واقناعها، ولقد ظهر هذا الدين بشكليه الجلي والخفي في كل حقبة من حقب التاريخ..

دين الشرك الجلى والخفي

الشكل الأوّل هو الشكل البدائي والواضح والصريح الذي يسمّي

«دين الشرك الجلّي» والذي لا يزال موجوداً بين بعض القبائل في افريقيا. ويعتقد اتباع هذا الدين بتمدد الآلهة ويقدسون بعض الحيوانات أو الأوثان أو العلائم والرموز الخاصّة.

انّ محاربة هذا الدين «دين الشرك» عندما يكون جليّاً وعارياً ومكشوفاً يعدّ امراً سهلاً لكنّ محاربته ستزداد صعوبة عـندما يـختفي وراء ستار من «دين التوحيد» ويكون آلة في يد الملأ والمترفين. وذلك هو الشكل الآخر من دين الشرك، الذي يظهر فيه دين الطاغوت باسم دين التوحيد ليقضى على دين «التوحيد» ويظهر اتباع الطاغوت باسم عباد الله ليبسطوا سلطتهم على قادة نهضة التوحيد والمجاهدين في سبيله. طالما كرّرت هذا السؤال على طلبتي في درس «تاريخ الاسلام» في كل عام واقوله لهم مسبقاً لأنني اعلم ويعلم الجميع ايضاً انه لو اجيب على هذا السؤال جواباً صحيحاً فانّ الكثير من المشاكل سوف تحل ـ حتى المشاكل الاجتماعية _، والسؤال يقول ان شخصين احدهما رسول الله (ص) والآخر الامام على (ع) أرادا ان ينشرا الدين في مجتمع واحد، فلماذا خرج رسول الله (ص) منتصراً ولم يخرج الامام على (ع) منتصراً من هذه المهمّة؟ كلاهما كانا من عرب القرن السابع الميلادي والدين الذي كانا يدعوان اليه هو دين واحد والقرآن قرآن واحد والمعبود معبود واحد واللغة لغة واحدة والزمن واحد والمجتمع واحد... لكننا نرى النبي (ص) ينتصر في هذه المهمة والامام على (ع)

يخفق فيها. لماذا؟!

البعض يجيب على هذا السؤال باجابات مروّعة فيقول مثلاً: حصل ذلك لانّ عليّاً (ع) لم يكن مساوماً ولم يساوم الباطل ولم يقبل بالظلم والجور، بل كان حازماً في رأيه وعمله. انها اجابة محيّرة فهل يقصد هؤلاء _ والعياذ بالله _ انّ رسول الله (ص) لم يكن يتصف بهذه الصفات؟!

صحيح ان كل هذه العوامل _عدم مساومة علي وعدم قبوله للظلم والجور و... _كانت مؤثّرة في (إخفاقه) إلّا ان هنالك عاملاً آخر يجب ان نعثر عليه وهو العامل الاساسي الذي سبب هذا (الاخفاق).

بعبارة أخرى علينا ان نبحث عن عامل لم يكن موجوداً في زمن الرسول (ص) وكان موجوداً في زمن الامام علي (ع)، واضح ان هذا العامل هو «دين الطاغوت»، الدين العرقي والقبلي والطبقي، دين عبادة الاوثان، دين الشرك الذي كان آلةً في يد «الملأ والمترفين» الذين كانوا يتمثّلون في قبيلة قريش آنذاك.

لقد كان هذا الدين _ دين الشرك _ سافراً وواضحاً وصريحاً في زمن الرسول (ص)، فقد كان أبو سفيان وأبو جهل وأبو لهب يـ قولون بصراحة: يجب ان نحافظ على الاصنام وعلى الكعبة لكي تبقى تجارة قريش قائمة لأن تجارتنا وعظمتنا و مقامنا وشرفنا وعلونا على قبائل العرب منوط بالأصنام وبالكعبة ولا يمكننا ان نقبل بشيء آخر بل يجب

علينا أن ندافع عن الأصنام والكعبة وسنن الاولين . كانوا يقولون هذه الكلمات بصراحة ولذلك كان الصراع معهم أمراً سهلاً وكان الانتصار عليهم ممكناً وهذا العامل هو السبب في انتصار رسول الله (ص).

أما على (ع) فانه لم يشهر سيفه على قريش المشركة التي تدافع عن الكعبة... عن الاصنام بل شهره بوجه قريش المسلمة التي تدافع عن الكعبة... قريش لم ترفع المعلقات السبع في وجه القرآن بل رفعت القرآن على الرماح. لاحظوا ماذا سيصنع دين الشرك؟ انه يجاهد ويفتح البلدان ويبني مساجد عظيمة ليقيم فيها الجماعة ويقرأ القرآن ويجعل جميع العلماء والقضاة تابعين ومدافعين عن شعائر هذا الدين ويتخذ دين النبي (ص) شعاراً له الا انه في حقيقة الأمر وباطنه يمارس الشرك بعينه.

ان محاربة هذا الشكل من دين الشرك الذي يتستّر بلباس التقوى والتوحيد أصعب بكثير من محاربة الشكل الآخر، ولن يستطيع احد حتى عليّ ـ الانتصار عليه.

في تاريخ المجتمعات والاصلاحات الاجتماعية نرى قادة وقفوا بوجه العدو الاجنبي الذي بسط سلطانه على بلادهم بشكل سافر فهزموه وطردوه من تلك البلاد بسهولة رغم قوة العدو وعظمته وجبروته لكننا نرى في الوقت ذاته هؤلاء الابطال _الابطال الذين هزموا أعظم الجيوش في العالم _نراهم يخفقون في مواجهة الاعداء في

الداخل اولئك الذين تسلّطوا على رقاب النـاس وكـانوا السـبب فـي محنتهم وشقائهم.

يقول رادها كريشنان: «اذا ارتدى الزور والمكر لباس التقوى. ستقع أكبر فاجعة في التاريخ».

اذن عندما اتحدث عن الشرك فاني لا اتحدث عن الدين الذي كان سائداً في الماضي والذي يتجلّى في عبادة بعض الحيوانات او الاشجار او الاصنام بل ان المقصود من دين الشرك في كلامي هو: الشعور الديني لدى الناس والذي كان لعبةً في يد الملأ والمترفين الذين حكموا المجتمعات عبر التاريخ الطويل.

ونستنتج ان المفكرين في القرن السابع عشر والشامن عشر والعصر الحاضر الذين قالوا ان الدين كان عاملاً رئيسياً في شتات الناس وشقائهم وتثبيت القيد والذلة والضعف والهوان كانوا محقين في الإدلاء بهذا الرأي لأنهم كانوا يرون الدين عائقاً عن السطور والرقي والحرية والمساواة بين البشر.

وقد اثبتت التطوّرات المذهلة التي حققها البشر بعد اقصاء الدين عن ميدان الحياة صحة هذه الآراء والتصورات بشكل علمي.

غير ان هؤلاء المفكرين الأحرار الذين سعوا الى تخليص الناس وتحريرهم من هذه الخرافات والسموم المخدرة أخطأوا في تـقييمهم واننا _نحن المتدينين _نرتكب اليوم الخطأ نفسه.

خطأ المفكرين

الخطأ الذي ارتكبه المفكرون يكمن في انهم كانوا يـنسبون إلى الدين كل شيء يرونه في التاريخ كالمعابد والجهاد والحروب المقدسة والحروب الصليبية والجهاد الاسلامي و... واننا _نحن المتدينين _كنا وما زلنا نعانى من نفس الخطأ.

ذكرت آنفاً ان للاسلام رأياً ثورياً في هذا المجال وانه لا يقبل آياً من هذه الآراء بل يعتقد ان دين الحق سيتحقق في نهاية المطاف وان الاديان التي حكمت عبر التاريخ في شرق العالم وغربه كانت جميعاً من اديان الشرك حتى لو كانت تحكم باسم دين التوحيد، وان الانبياء إنما بعثوا لمحاربة هذه الأديان وان دينهم الحق يمنح الإنسان المفكر الحرّ شعوراً بالمسؤولية هو استمرار للمسؤولية التي كان يشعر بها الانبياء انفسهم. يقول النبي (ص): «علماء امتي أفضل من انبياء بني اسرائيل» ويقصد بذلك ان المسؤولية التي كانت تقع على عاتق الانبياء ستقع على عاتق الانبياء ستقع على عاتق الانبياء ستقع على عاتق الوسل (ص).

رسالة العلماء والمفكرين

ما هو الشيء الذي يجب على العلماء ان يستمرّوا عليه؟ انّه محاربة الدين من اجل احياء الدين وتثبيته. انّ رسالة العلماء

والمفكرين هي احياء الدين _الدين الذي لم يتحقق في التاريخ _. اذن يجب ان ينضج الناس ويكون لهم وجدان ديني يقظ واع ويفهموا معنى التوحيد ويدركوا مدى تناقض «دين التوحيد» ودين «عبادة الطاغوت» كي يقدروا على تمييز دين الشرك المتشح بوشاح التوحيد ويرفعوا نقاب الريّاء _بكلّ اشكاله وفي كل ارجاء المعمورة لكي يصلوا الى دين ليس وليداً للجهل وليس وليداً للخوف، كما يقول الماديون ويصدقون القول!

لقد شجب القرآن مراراً موقف اناس يتعرضون الى عاصفةٍ في البحر فيبكون ويتوسّلون الى الله خشية تحطّم سفينتهم الا انهم ينسون كل ذلك بعد الوصول الى البرّ وبعد ان ينقذهم الله مما كانوا فيه. انّ هذا الدين هو دين ناجم عن الخوف وهو الدين نفسه الذي يتّهمه الماديون في القرن التاسع عشر بأنّه وليد الخوف.

لقد تهجّم القرآن قبل هؤلاء الماديين على اتباع هذا الدين وعلى عبادة الجبناء والعبيد والتّجار وعلى كلّ عبادة تثبّت اركان هذا الدين الذي هو وليد النظام الطبقي ... من هم الذي اسّسوا نظام هذا الدين والى اي طبقة ينتمون؟ الذين اسسوا نظام هذا الدين هم اولئك الذين كانوا يقولون للناس: ان كنتم تعانون الجوع وتفتقدون لقمة العيش فاصبروا حتى يجزيكم الله من موائد الجنّة! هذا هو الدين الطبقي الذي ينتشر كالوباء في جسد اديان الحق _حتى في دين نبينا (ص) _. هذا هو

الدين الذي يسمّيه علي (ع) بدين العبيد والتّجار ويسمّي العبادة في الدين الآخر الذي يقف بازاء هذا الدين بأنها «عبادة الاحـرار» وهـي العبادة التي تنبثق عن الحـرية والحـاجة السـامية والعشـق والقـضية الانسانية المقدسة والعدل والمساواة والقسـط ونـفي جـميع الرذائـل والارجاس.

ان الدين الذي يبرر الفقر ويحرص على بقائه كان يبرر العبوديّة ايضاً وكان يخدّر الناس ويخدعهم لصالح الملأ والمترفين. الدين القائل (انَّ الله لا يهتمّ بكظّة ظالم وسغب مظلوم) يجعل من الشعور الديني مادة تخدير تعزل الناس عن المجتمع وتزهّدهم في الامور المادية لصالح اولئك الملأ الذين يستأثرون بها دون غيرهم. انّ الدين الذي انكر دائماً مسؤولية الناس وحقهم في تقرير مصيرهم وبرّر الوضع الظالم عبر التاريخ مستغلاً بذلك معنوية الناس وشعورهم الديني القوي، هو الذي كان يوحى للناس بان الجوع والحرمان والمرض هو علامة على رضا الله ودليل على وجود الأهليّة اللازمة للتكامل والكمال وهو الذي يفتح لكل شخص حساباً خاصًاً بالنسبة للاعتقاد بما وراء الطبيعة ليبدّل الجمع الى افراد والحضور الى انزواء، وهو الذي يسلب من الناس حق الحياة و التمتّع والتملك والتحكّم ويقوم بكل هـذا مـن اجــل الطـبقة الحاكمة مستخدماً بذلك الوعد والوعيد والتبرير.

انّ القرآن لم يخاطب عدوّاً بشدّة مخاطبته لأتباع هـذا الديـن،

فعندما يتطرق القرآن الى بلعم بن باعوراء وهو مثال لاولئك الذين حرّفوا الشعور الديني والايمان الفطري لصالح الفئة الحاكمة، نراه يخرج عن سياقه ويقول: ﴿فمثله كمثل الكلب﴾، ما معنى هذه الحدّة في الكلام؟ انها تعني انّ هؤلاء هم الذين ثبّتوا وجود الملأ والمترفين وأبقوا على الظلم والاستثمار والتمييز وانّهم هم السبب في عقر ثمار جهود الانبياء، وهذه العبارات انّما تدلّ على شدة الاستياء من ممارسات وأعمال دين الشرك اللّعينة.

أريد أن أستنتج هنا وأقول (وان كان هذا القول يثقل عليكم لكنّي سوف أشرح أبعاده بتفصيل في فرصة أخرى ان أتسيح لي ذلك لأنسني اعتقد ان هذا الكلام سيغيّر نظرتنا وحكمنا على الدين والتاريخ).

أريد أن أقول: ان الرسالة التي حملها المفكرون الأحرار في أوربا في صراعهم مع دين القرون الوسطى والتي انقذوا من خلالها اوربا من التخلّف والرجعيّة هي الرسالة نفسها التي أخذها أنبياؤنا على عاتقهم عبر التاريخ. أنا لا أقول ان تصوّر هؤلاء كان تصوّراً صحيحاً ولكن اريد القول ان رسالة هؤلاء المفكرين في الصراع مع التحجّر والانحراف والدين المخالف للناس وحقوقهم هي الرسالة نفسها التي كان الانبياء يحملونها على عاتقهم وحطّموا من خلالها جميع الاصنام واستهدفوا بها جميع ممارسات دين الشرك (دين التبرير والتخدير) وستبقى هذه الرسالة على عاتق كل انصار دين

الحق في المستقبل وعلى مدى التاريخ.

عندما نقول ان دين الشرك كان مهيمناً على التاريخ وان الانبياء بدأوا حركة تاريخية تصحيحية ضد هذا الدين فاننا سنكون مسؤولين تجاه هذه الحركة وبقائها واستمرارها لانها حركة تقدميّة تريد ان تغيّر مجرى التاريخ الذي كان ولا يزال تحت هيمنة الملأ والمترفين.

ان رسالتنا هذه لا تتعلق بالماضي وليست رسالة رجعية بل هي استمرار لحركة انبياء دين الحق، الأنبياء الذين نهضوا من بين الناس . الأنبياء الاميّون _أي المنسوبون للامّة _الانبياء الذين وقفوا بوجه وعَاظ السلاطين واتباع الملأ والمترفين، اولئك الذين كانوا إمّا من طبقة الملوك او من طبقة الاقطاعيين، اي انهم كانوا بدون استثناء اقطاعيين من ناحية وينتمون الى العائلة المالكة من ناحية اخرى.

امّا الشيء الذي لم يدركه المفكرون في اوربا (والذي لا ندركه نحن ايضاً) هو انّهم عمّموا استنباطهم الصحيح عن دين الشرك (الدين الطبقي الحاكم على التاريخ) على الدين بمعناه الأعم الأوسع وليس صحيحاً ان نقول: إن في التاريخ ديناً واحداً، إذ كان في التاريخ أديان عديدة، وهذا الكلام هو نفس كلام «غورويش» الذي يقول: «لا يوجد مجتمع عام واحد بل هنالك عدة مجتمعات».

اذن يجب أن نفصل كلّ مجتمع عن غيره ثم ندقق فيه ونحكم عليه بشكل خاص. في التاريخ كان هناك نوعان من الدين كما كان هنالك دائماً صفّان وفئتان متقابلتان على مرّ العصور: الفئة الظالمة وهي الفئة التي تكنّ العداء للحقيقة والعدالة والحرية والحضارة والرقّي وهي الفئة التي كانت مشغولةً بإشباع ولعها وغرائزها المنحرفة في التسلّط على رقاب الناس وحرمانهم من ابسط حقوقهم، وقد كان افراد هذه الفئة من المتديّنين ولم يكونوا من الزنادقة والكافرين.

لقد ايدت من خلال حديثي حكم المفكرين الاوربيين على الدين غير انّي اجد هذا الحكم ظالماً ومجحفاً من هذه الناحية. فانّه ليس من الانصاف ان نضع الدين المجوسي والدين المزدكي (۱) والدين المانوي والأديان اليونانية التي ولدت وترعرعت على يد الطبقات الاجتماعية الحاكمة وطبقات الاقطاع المترفة المرفهة، في خندق مع أديان الحق (اديان الانبياء الرّعاة) ثمّ نعمّم حكمنا على كلّ هذه الاديان وننظر اليها نظرة واحدة، وليس من الانصاف ان نضع دين الحق وانصاره الذين كانوا في جهاد دائم مع تلك الاديان (المنحرفة) والحكومات التابعة لها والذين قُتلوا وسجنوا وعذبوا على يد تلك الحكومات. في جبهة واحدة مع الأديان الأخرى التي حكمت التاريخ.

⁽١) ظهر «مزدك» في الطرف الشرقي من نهر دجلة في بلدة اسمها (ماذرايا) وذلك في زمان الملك (قباذ) والد (أنوشروان) الذي بدأ حكمه سنة ٤٨٨ م، وقد كان دينه إصلاحاً لدين (ماني). (المترجم).

اننا لو أصدرنا حكماً واحداً على كلّ هذه الأديان نكون قد حكمنا على فئتين متناقضتين بحكم واحد وبالطبع لن يكون هذا الحكم حكماً علمياً ولا منسجماً مع العقل والواقع والأخلاق أيضاً.

أيها المفكرون أين أنتم؟ هل يمكن الحكم على شيء بالترجمة؟ كيف حكم الاوربيون على دينهم؟ انهم ناضلوا وعملوا ودرسوا وحققوا ثلاثمئة عام من الزمن وادركوا في نهاية الامر ان النصرانية هي التي سببت كل هذه المصائب لبلادهم. حسناً انهم ترجموا ذلك ونحن ايضاً نردد نفس هذه الترجمة. الفكر لا يعني ذلك، وإذا حصلنا على مفكر بهذه الطريقة فانه سيكون مفكّراً ترجمانياً وليس مفكراً حقيقياً. سوف اتطرق فيما بعد الى طريقة صنع المفكر في المجتمعات الاسلامية (١).

كيف يمكن الحكم على الدين الذي صنع أبا ذر بنفس الحكم الذي نحكمه على الدين الآخر الذي جاء ليبقي على كظّة الظّالم وسغب المظلوم والذي كان مسبباً للفقر وحامياً له؟

أبو ذر، وجه الاسلام الطاهر الكامل المربّىٰ على يد النبيّ لم يكن يملك شيئاً _لا مالاً ولا منالاً ولا ثقافة _ولم يتأثر بشيء بل كان روحاً انسانية نقيّة خالية من كلّ شوب، فكلّ ما كان عند هذا الرجل هو من صنع هذا المعمل وهذا الكتاب وهذه الرسالة. يقول أبو ذر: «عجبت لِمَن

⁽١) راجع سلسلة النتاجات (الكراس رقم ٢٠)

لا يجد قوتاً في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه!».

عندما كنت اتحدث بهذا الحديث في اوربا ولم اذكر اسم صاحبه كان البعض يتصوّر ان هذا الكلام هو كلام «پرودن» لشدّة تطرّفه او كان البعض يتصوّر انه من كلام (داستايوفسكي).

يقول داستايوفسكي: «اذا حدثت جريمة قتل في مكان ما فإن اولئك الذين لم يكن لهم اي اشتراك في هذه الجريمة ستكون ايديهم ملطّخة بدم القتيل ايضاً» وهذا كلام صحيح. انظروا الآن الى كلام أبي ذر الذي لم يكن متديّناً فحسب بل كان الدين بعينه فقد كان أبو ذر ديناً مجسماً ولم يكن اي شيء آخر فَلَم يتأثّر بالمذاهب المختلفة ولم يعش بعد الثورة الفرنسيّة، بل عاش بين قبيلة غفار).

يقول أبو ذر: «عجبت لمن لا يجد قوتاً في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه» فلم يقل كيف لا يخرج على من سبّب له الفقر، ولم يقل كيف لا يخرج على ولم يقل كيف لا يخرج على الفئة المستغلّة بل يقول: كيف لا يخرج على الناس كلّ الناس! لماذا؟ لان كلّ من يعيش في هذا المجتمع وان لم يكن من المستثمرين فانه مسؤول عن الفقر والجوع لأنّه يعيش في مجتمع يوجد فيه الفقر والجوع. كم هو مسؤول الى درجة يكون فيها عدواً مهدوراً للدم. لانّه شريك للمستثمر الذي سبّب الجوع. أي أن الناس يعتبرون مسؤولين جميعاً وبشكل مباشر عن الجوع والفقر.

والأجمل من هذا هو ان كلام أبي ذر لا يشبه ميثاق الامم المتحدة الذي يقول: «يحق لكل شعب يقع تحت الضغط والغصب القيام لإحقاق حقوقه». فأبو ذر لا يقول: يحق لك ان تفعل هذا ولا يقول: يحق لك القيام ضد اولئك الذين سببوا لك الجوع، حتى انه لا يقول: يحق لك ان تشهر سيفك على كل الناس بل يقول: «عجبت كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه».

حينئذ أليس من الاجحاف والجهل المطلق ان نحكم على هذا الدين الذي ينظر الى الناس وحياة الناس هكذا نظرة بنفس الحكم الذي نحكم به على الدين المسبّب والمبرّر للجوع. انه لأمر مضحك ومبكٍ في الوقت ذاته.



اريد أن أتحدث اليوم عن نفسي، لا لشيء الا لأني أريد ان أتلو عليكم خاطرة! خاطرة ترتبط بحد ذاتها بي وبشخصيتي كممثل لطبقة ومجتمع ومدينة وتاريخ. أنا من جهة أنتهي الى شريحة مثقفة بثقافة معاصرة تعلمون طبيعة المناخ الذي تعيش فيه ومستوى ارتباطها بالدين، وطبيعة الأهداف التي تنشدها وماهية اللغة التي تتحدث بها. وانا من جهة اخرى، جئتكم من بلاد نائية، صحراء قاحلة لا أثر فيها

للعمران والرفاهية والعيش الرغيد ؛ حياة بؤس وشقاء وفقر وعوز. وانتمي من جهة ثالثة الى طبقة تتشرف بأن ليس فيها دم لشريف او نبيل من اولئك الذين صنعوا شرفهم بالسيف والذهب.

اشعر في قرارة فطرتي ان آبائي وامهاتي جيلاً بعد آخر ينحدرون من الفقر والبؤس الى ان يغيبوا في عمق التاريخ وما اسرع غيابهم اذ لا يذكرهم احد في التاريخ سوانا نحن ابناءهم، فالتاريخ عدق لدود لأجدادى وأجداد أمثالى.

ومع ذلك، فقد وقع اختياري على (الحضارة) كحقل علمي اواصل فيه دراستي وتحصيلي. وكنت على الدوام شغوفاً بآثار

الحضارة والتمدن البشري، معتبراً هذه الآثار من دواعي الفخر والاعتزاز بالنسبة للانسانية جمعاء، وحيثما وفدت على مدينة أو بلد سرعان ما أبادر بالذهاب الى الأماكن التي توجد فيها آثار قديمة لأهل ذلك البلد لأطّلع عن كثب على حجم الانجازات والدور الحضاري الذي لعبوه في بناء الحضارة الانسانية، وما هي الروائع التي أبدعوها في الماضي السحيق.

في اليونان، وحين ذهبت الى معبد دلفي وشاهدت أبنيته العظيمة، بهرتني كل تلك العظمة والجلال، وكنت اذا سافرت الى آسيا واوربا وافريقيا أعمد مباشرة الى الآثار العظيمة لتلك الأصقاع حيث تمثل بالنسبة لي مظهر قوة تلك الشعوب ومستوى نبوغها في مجالات الفن والعمران والصناعة، وتعكس مدى رقيها الحضاري، فكل واحدة من تلك الروائع العمرانية هي بمثابة كنز لا يقدر بثمن يمثل حصيلة كفاح النوع البشري على وجه البسيطة ويعكس مدى انتصار الانسانية في صراعها الدؤوب مع الطبيعة على مر التاريخ.

في روما، متاحف الفنون والإعمار، والمعابد الشاهقة والقصور الفخمة، وفي الشرق الأقصى كالصين وكمبوديا وفيتنام، جبال شامخة شيدتها أيادٍ بشرية ونحتها أنامل اناس سهروا عليها الليالي وأجهدوا انفسهم واعصابهم من أجل تحويلها الى معابد لآلهة السماء ومن يمثلها على وجه الأرض من الكهف ورجال الدين. كانت هذه الأمور في

نظري دواعي فخر واعتزاز بالتراث الانساني وكانت تمثل لي أعـز المشاهد والمناظر الخلابة التي أطير زهواً ودهشة لدى التـمعّن فـيها واجالة النظر في معالمها...

...الى ان قررت صيف هذا العام السفر الى افريقيا، يشدّني شوق عارم الى رؤية الاهرام الثلاثة في مصر. وعلى حين غرّة انهار كل ذلك الشوق و تبدّدت كل الأواصر التي كانت تربطني بآثار الماضي و تشدّني اليها بقوة. وجرفت مياه النيل معها كل التصورات التي كنت أحملها في رأسي واكتشفت ان كل ما كنت أؤمن بأنها مظاهر تمدّن و تحضر انساني ما هي إلّا سراب خادع دام آلاف السنين، وقد بات الآن في نظري هشيماً تذروه رياح مصر!

ما أن وطأت قدماي أرض مصر خلال ايام تموز، حتى عزمت على زيارة أثرها التاريخي العجيب، الأهرام، احدى عجائب الدنيا السبع، وكدت أطير فرحاً اذ سنحت مثل هذه الفرصة لي. استصحبت احد الأدلاء لأستفيد من توجيها ته وتوضيحا ته حول الاهرام وطريقة بنائها وتاريخها واسرارها وسائر جماليا تها وفنونها الخفيّة!

أشار الدليل الى تلك البناءات الشاهقة وبدأ يحكي قصتها: قبل زهاء خمسة آلاف عام حمل (العبيد) ثمانمئة مليون صخرة كبيرة تزن الواحدة منها طنين _كمعدّل _وجاؤوا بها من أسوان حيث السدّ العالي المعروف، الى القاهرة ليشيدوا بها تسعة أهرام، ستة منها صغيرة وثلاثة

كبيرة هي التي اكتسبت الشهرة العالمية الفريدة. قبل خمسة آلاف عام، حُملت ثمانمئة مليون صخرة على طول مسافة تبلغ (٩٨٠) كيلومتراً من أسوان الى القاهرة ورصفت على بعضها لتشيّد بواسطتها مبانٍ ضخمة لتصبح فيما بعد أضرحة لأجساد الفراعنة وزوجاتهم بعد تحنيطها بالمومياء المصرية!

لقد صممت الغرفة المركزية للأهرام من ستّ قطع صخرية كبيرة تنهض أربع منها كجدران للضريح والخامسة بمثابة قاعدة والسادسة ولك ان تتصور حجم ووزن الصخرة التي كان يتعين عليها ان تتحمل ملايين الصخور الاخرى المتراكمة الى اعلى الهرم وتصبر وتقاوم خمسة آلاف عام لحد الآن!

اخذتني الدهشة وأنا انظر الى هذا البناء الرهيب، وفجأة وقعت عيني على مجموعة صخور مركومة فوق بعضها على مسافة تبعد حوالي عيني على مجموعة صخور مركومة فوق بعضها على مسافة تبعد حوالي وأجابني: لا شيء انها مجرد صخور! قلت له: انها مركومة على بعضها، ولا تعني شيئاً؟ اريد أن أعرف سرّ هذه الصخور. كان يتفادى الاجابة عن سؤالي وشعرت انه يتحاشى أن أطلب منه الذهاب الى ذلك المكان، فالجو كان حاراً والهواء لافح والأرض صخريّة ذات تضاريس وكان من الواضح ان احداً لا تحدّثه نفسه بالذهاب الى ذلك المكان.

ولكن، ما ذنبي وأنا الذي علمتني التجارب ان اركّز دائـماً فـي

بحثي واستقصائي سواء في الكتب أو الآيات والروايات أو الآثار والأفكار، على كل ما هو مغيّب ومهجور، ولطالما عثرت على المطالب القيمة في أماكن وموارد مهملة لا يتمّ التعرض لها إلّا نادراً، ولا يحرّ عليها إلّا مرور الكرام. ذلك ان القِيَم اما ان تكتم اذا قُدِر على ذلك، وإلّا فيتمّ تشويهها!

عزفت عن الأهرام وتوضيحات الدليل التي بوسع الجميع ان يعثروا عليها في الكتب والمجلات، وأصررت عليه بأن يكتفي بالكشف عن ماهية تلك الصخور، فأحاب على مضض: انها أخاديد حفرت في بطن الأرض لعدة كيلومترات. قلت له: لماذا؟ قال: انها مقابر العبيد الذين شيّدوا هذه الاهرام، فعلى مدى مئة وثلاثين عاماً، وبشكل يومي كان العبيد يجرّون هذه الصخور لمسافة الف كيلومتر وكانت أرواحهم تزهق تحتها زرافات زرافات. غير ان نظام الرقيق الذي عطّل اختراع العجلة والعتلة على حد قول «شوارتز» لأن وجود العبيد بكثرة كان يغنيهم عن الحاجة الى اختراعها هذا النظام كان يلقى بأشلاء العبيد الممزقة في هذه الأخاديد، ويبادر الى استخدام غيرهم.

ويومياً ،كانت التقارير ترفع الى فرعون بموت مثات العبيد، ومن ثم يُؤتى بأيادٍ جديدة من أفريقيا السوداء لم تتعود بعد على قساوة الظروف والبيئة ، فترتفع معدلات الضحايا والوفيّات، وكان الخط البياني يرتفع وينخفض حسب فصول السنة وبحسب انتشار الأوبئة

والطاعون. ولكن على اي حال فقد كانت الاحصائيات مروعة وتكشف عن عملية ابادة جماعية لأولئك العبيد، يضاف الى ذلك عوامل اخرى من قبيل تقلّب مزاج فرعون الذي كان مبتلى بحالات نفسية خاصة وامراض خفية، وكذلك أمزجة ارباب العمل الذين كانوا يتسابقون في اضطهاد العبيد والتفنن في امتصاص اكبر مقدار ممكن من العمل من اولئك المساكين دون وازع من ضمير أو قانون.

ثم إن فرعون كان متديناً يؤمن بما وراء الطبيعة، وكان ذلك داعياً لرغبته في ان يدفن هؤلاء الى جواره وعلى مقربة من هرمه لكي يواصلوا خدمته في مماتهم كما كانوا يخدمونه في حياتهم.

قلت للدليل: اتركني وشأني، فاني لا اطيق بعد هذا تحمل وجودك ولا وجود هذه الاهرام الخبيثة، سأذهب بنفسي.

ذهبت... لم تكن ثمة مسافة طويلة بين اهرام الفراعنة وأخاديد العبيد، غير ان الطريق كان صعب العبور، والصخور تشدخ اقدام العابرين لتخلّف وراءهم خطوطاً من الدماء، لم تكن المسافة بأكثر من عدة اقدام، ولكن المسافة _ دائماً _ لا تتجاوز الأقدام بين الجلاد والشهيد (۱).

⁽١) لعلّها اشارة الى دفن الامام الرضا (ع) الى جوار هارون الرشيد في مشهد بايران. (المترجم)

جلست على مقربة من الأخاديد، وما لبثت قليلاً حتى شعرت وكأنّ رابطة قرابة وصلة رحم تربطني بهؤلاء التعساء، وان بيني وبين تلك الأهرام ومن فيها كراهية ونفرة! لقد عثرت على ذاتي وأنا أطلّ على قبور أرحامي وأقربائي، وكأنني أعرفهم فرداً فرداً، أو كانت لي صحبة مع كل واحد منهم أو شراكة في حياة ومصير، كنت واحداً من أعضاء هذه الأسرة البائسة، وما أزال!

صحيح انني جئت من بلاد وهم قدموا من أخرى، وانا من عرق وهم من آخر، لكنها تصنيفات شيطانية تهدف الى تقطيع الانسان ارباً ارباً والمثلة به، وجعل الاقرباء اجانب والاجانب أقرباء.

غير انني اليوم أمسيت سليلاً لهذه الطائفة من بني البشر بعيداً عن مقتضى تلك التصنيفات والتقسيمات المقيتة، هم اقربائي وانا الآن أواسيهم، وما أن التفتّ مرة أخرى صوب الأهرام اذا بي أسعر بهوة ومسافة شاسعة تفصل بيني وبين تلك العظمة والجلال والبهاء، بل كأن بينا عداوة وكراهية، وحقداً على ذلك الفن والتمدن والحضارة، لقد أدركت ان كل الآثار العظيمة على طول التاريخ والحضارات المجيدة لم تقم إلاّ على اشلاء أسلافى!

سور الصين العظيم، وجميع القلاع والأبراج العالية وما الى ذلك من الآثار الشامخة، هكذا رأت النور، صخرة صخرة ولبنة لبنة من دماء اجدادي ولحمهم وعظمهم.

لقد رأيت بأم عيني ان الحضارة والتمدن لا يعنيان سوى الحقد والقمع والتنكيل والاستغلال وأسر البؤساء ومص دمائهم... ليسفر عن ذلك بناء شاهق مؤلف من ثلاث طبقات هي عبارة عن عمارة الظلم والجور عبر آلاف السنين وقد أرسيت دعائمها على اكتاف اخواني واخواتي، مكثت جالساً بين تلك الصخور المتراكمة، ورأيت هؤلاء المدفونين في تلك الحفر وهم يخاطبونني انا خريج جامعات العلوم الانسانية في اوربا واستاذ تاريخ الحضارات في جامعات ايران ليعطوني درساً من اول صفحات كتاب العلوم الانسانية، كان ذلك أوّل درس في التاريخ وقد علموني فيه ماذا تعنى الحضارة...

اخواني علموني ان كل ما تعلمته باسم الحضارة والتمدن والاخلاق انما هو كذب محض، وان ما يدرس في الكتب والحصص ليس سوى الفرعونيات والقارونيات والبلعميات، وان التاريخ الحقيقي يمتد على المسافة ما بين الاهرام وهذا المكان، وان الحضارة والمدنية والاخلاق والتاريخ وجميع العلوم الانسانية لا تدرس لا في المدارس ولا في المعابد بل ها هنا تحت هذه الصخور، هاهنا تجدونها مدفونة مع اخوانى...

وتلك الاهرام الثلاثة التي لم تعد في نظري سوى الشالوث المشؤوم: الاستبداد والاستعمار والاستحمار، هي التي افتعلت هذه الفاجعة لتكون دليلاً على سيرة الانسان المظلوم وشاهداً على مصيره المحتوم.

اشكركم يا اخواني المدفونين هاهنا، لقد علمتموني أن كل ما تعلّمته في السابق من اخلاق وفنون وعلوم وتاريخ انما هو من صنع هذه الاهرام الثلاثة ومن يرقد فيها، من صنع فرعون والملأ والسحرة، ها أنذا الآن أدفنُ تحت هذه الأهرام كل ما تعلّمته منها، وأبدأ من جديد، وسوف اتجه فوراً من هنا الى (منى) ارض العشق والقتال، لأرمي الأبالسة الثلاثة أو قل الوجوه الثلاثة لإبليس، فنحن جميعاً يا اخواني ضحايا لهذه الأرباب الثلاثة التي تعلّمنا منها تاريخنا واخلاقنا وديننا، والواقع ان هذه الثلاثة هي التي دفنت التاريخ والاخلاق والدين تحت هذه الصخور.

عدت الى المدينة، وعزفت عن التجوال فيها خشية ان تنطبع في مخيلتي صورة أخرى غير صورة تلك الصخور المكدسة، لم اكن أرغب في أن أفكر بغير ما تعلمته من تلك الصخور مما وجدت فيه تمام وجودي. ذهبت مباشرة الى غرفتي وجلست فيها اتصفح وأستعرض وجوه اخواني الجدد، مئة وثلاثون عاماً بمعدل ثلاثين الف من اخواني، من اسوان الى القاهرة، ذهاباً واياباً، قبل خمسة آلاف عام.

نعم! خمسة آلاف عام مضت، كان فيها اخواني تحت نير سياط الجلادين وصخورهم، ولاشك انهم لا يعلمون ماذا حصل بعد خمسة آلاف سنة، ولا شك ايضاً انهم يريدون ان يعلموا... تناولت قصاصة ورق وكتبت رسالة الى واحد من مئات الآلاف المقبورين فى ذلك

الأخدود، وقدّمت له تقريراً موجزاً عما جرى علينا في غضون خمسة آلاف سنة، خمسة آلاف سنة لم يعد موجوداً فيها، ولكن الرقّ والعبودية استمرا خلالها بأنماط شتى...جلست وشرعت أكتب:

«رحت أنت، ونحن لم نزل نبني الحضارات العريقة ونتهيأ لأجل فتوح وافتخارات ومآثر».

كانوا يقدمون الى قرانا وضياعنا ويـجرونا كـالبهائم وراءهـم، وذلك لنصنع قبورهم، واذا ما انتهينا من بناء تلك القبور العظيمة كـان المجد والعزّ لهم وحدهم ومتى ما انطفأ بصيص رمقنا الأخير في هـذه الحياة خلال هذا العمل المهلك، غدونا احدى صخرات تلك المقبرة.

كانوا_تارة_يأخذوننا الى الحرب، حرب على اناس لم نعرفهم ولم نكرههم من قبل، حتى على رفاقنا ومواطنينا واقربائنا.

كانوا يدفعونا الى الحرب عنوة في حين ان آباءنا وامهاتنا الذين خط الدهر خطوطه السوداء على سيماهم _ ينتظروننا بـفارغ الصـبر، ولكن انتظارهم هذا ظلّ بلا جدوى.. ولا جواب..!!

هذه الحروب _ على حد قول أحد العلماء _كانت عبارة عـن: اشتباك بين فريقين لا يعرف احدهما الآخر(١).

كانوا يأخذوننا إما لنقتل، ان لم يكن النصر حليفنا فـالكوارث

⁽١) تفرسوا في هذا الحديث جيداً لأنه يوضّح مسار التاريخ كلّه _المؤلف.

والنكبات والخراب والمدن المتهدمة والمزارع الجرداء تصبح من نصيب آبائنا وامهاتنا، وان انتصرنا كان الفخر والعز والمباهاة يسجل للغير، ونحن العرائس المتحركة خلف الكواليس.. لم نحظ بشيء من هذا النصر.

اخي! نهضة وتحول عظيمان ظهرا بعدك، الفراعنة والجبابرة وطغاة التاريخ بدّلوا طريقة تفكيرهم، لهذا فرحنا!! حيث ان القدماء كانوا يعتقدون بأن ارواحهم خالدة وبعد موتهم ستظلّ تحوم حول مقابرهم، ومتى ما بقي الجسم سالماً ستظلّ رابطة الروح معه كما هي قائمة، ولأجل هذا الاعتقاد ارغموني وارغموك على رصف هذا الصخور الهائلة المميتة.

ولكن مع مرور الزمن أمسَوا أكثر تنوراً واصبحوا لا يـفكرون بالموت من بعد، لهذا تركوا تلك العقائد البالية وكانت لنا ـهذه ـبشرى سارة، بشرى النجاة من بناء تلك القبور وجلب ثمانمائة مليون صخرة من مسافات آلاف الكيلومترات ورصفها على بعض..!!

ولكن يا أخي!! لم تعمِّر هذه البشرى طويلاً، اذ تسربوا كالنمل الى قرانا وأجبرونا على العمل بعدك، ومرة أخرى تكررت نفس المأساة! ومرة اخرى حملوا على هاماتنا و اشلائنا الصخور ولكن لا لقبورهم هذه المرَّة، بل لقصورهم وأسوارهم العظيمة، تلك القصور التي امتزج بناؤها بدمنا ولحمنا.

أخي: مرة أخرى كنا نحوم كبقر الناعور في دوامة اليأس، متلهفين الى نافذة يطل منها النور، فكانت نهضة «أنبياء عظام» زرادشت العظيم، ماني (١) الكبير، بوذا الكبير، كنفشيوس الحكيم، لاور تسوا المتعمق ... كانوا آمالاً تبرعم في الطريق، لابد ان الآلهة بعثت هذه الشخصيات العظيمة لإنقاذنا نحن المحرومين والمستضعفين من الذل والعبودية والهوان وليحلوا الايمان والعبادة محل الظلم والرق.

ولكن يا اخي: هؤلاء المبعوثون من طرف الآلهة كانوا يقدمون دون ان يأبهوا بنا ولم يذكروا اسماً لنا، كانوا يذهبون الى قصور الحكام مباشرة، فكنفسيوس الحكيم مثلاً، الذي كان يتحدث عن المجتمع والانسان، وكنا نصدق ما يقول، لقد ذهب الى وزارة «نو» وأصبح نديماً لأمراء الصين.

⁽۱) ماني: اسم رسّام ظهر في زمان (أردشير) وبعضهم يقول بل في زمان الملك (بهرام)، ظهر بعد عيسى (ع)، وقد قتله (بهرام بن هرمز). اسم كتابه (أرزنك) وعقائده مزيج من عقائد الزردشتيين واليهود والمسيحيين. يقال ان أمه من نسل الملوك الأشكانيين، وأباه من رجالات (همدان)، هاجر إلى (بابل) وولد (ماني) في تلك البلاد عام ٢١٦ م، ادعى النبوة بعد ان اطلع على الأديان الموجودة وسمّى نفسه (فار قليط) الذي أخبر عنه المسيح. ومن أقوال ماني: «يبشّر الأنبياء بأوامر الأله أحياناً من الهند بواسطة (زردشت) والآن أرسلني الله لنشر دين الحق في بابل» و «أرسلني الله نبياً من بابل حتى تصل دعوتي العالم أجمع». (المترجم).

وبوذا حيث كان من كبار أمراء «بنارس» قد قاطع الجميع وغار في نفسه ليذهب الى «نيروانا» _التي لا أعلم أين هي _ ولهذا تراه معتكفاً ليخرج بأفكاره العظيمة الى الجياع ...!!

وزرادشت الذي كانت آذربيجان محل بعثته _وبدون أن يكلمنا نحن المحرومين والمعذبين _ذهب مباشرة الى بلخ فمكث في بـلاط كشتاسب.

و «ماني» الذي تحدث الينا عن النور وتهجم على الظلمة، ظل يهمس في آذاننا _ نحن المسجونين والمحقرين في الأرض _ عن الظلم والظلمة، وهكذا لم نزل نتحايل على انفسنا ونقول:.. اجل هذا هو المنجي الذي ظهر لإنقاذنا، ولكنه افصح عن لب كلامه ضمن كتاب اهداه الى الملك شابور الساساني، هذا وقد القى خطاباً اثناء حفل تتويجه وكان يفتخر بمرافقته الى سرنديب والهند وبلخ ومن ثم تراه يبرر هزيمتنا بهذه الأنشودة:

«كل من يهزم ويدحر فهو من ذات الظلمة».

«وكل من يفوق وينتصر فهو من ذات النور».

ولهذا ترانا _نحن المهزومين المستضعفين _نملاً طول وعـرض التاريخ دوماً.

اخي: ذهبت «أنت» ضحية لهذه الأبنية الشامخة و«أنا» منذ

رحت «أنت» صرت قرباناً لهذه القصور الشاهقة. وعلى حين غرة وجدت نفسي تحت قيود ونير من هم خلفاء فرعون وقارون ـ الذيل يبيعونني ويشترونني متى ما طاب لهم ذلك... اجل يا اخبي... لقد ظهرت بعدك طبقة رسمية تدعي «الكهنة»، ففي فلسطين وايران ومصر والصين، بل وفي كل مكان يوجد انسان محروم مثلي،... كان لابد لي أن أجر على ظهري الصخور لأبني بها تلك القصور الفخمة والمعابد والهياكل الرفيعة.

وبعد هذا وغير هذا، فان «خلفاء الاله» وهذا «النبي» كانوا يطوقون رقابنا بقلادات أخرى... فباسم الزكاة يسرقون وينهبون وتحت شعار الجهاد يبعثونا الى ميادين الحروب، حتى انهم كانوا يرغموننا على ان نقدم اطفالنا قرابين على مذبح المعابد والهياكل وتحت ارجل الاصنام.

أخي، أتدري ما أعانيه ... لا: فان الهياكل كلها عامرة بدم اولادنا الابرياء ... وهكذا أصبحنا _ مرة أخرى _ لعبة بـيد الآلهـة اضـافة الى وارثى فرعون وقارون.

اجل... اغتصبت الكهنة المجوس أغلب أراضينا وهكذا فعلت الكنائس حيث كنا عبيداً بل اداة كادحة لهم.

دفعونا لتشييد المعابد والقصور الضخمة في الروم والهياكل العظيمة في الصين ... وكان الهلاك من نصيبنا ... أما النصر والعزّ فللكهنة

والقسسة وتجار الدين ووارثي فرعون وقارون ...!!

و«أنا» الذي عشت بعدك آلاف السنين وشاهدت حتف رفاقي واخواني ولهذا انتابني شعور بأن الآلهة أيضاً تكره وتبغض العبيد. ورويداً رويداً احسست بأن الدين هو في حد ذاته قيد قيدونا به والكهنة والقسسة ورجال الدين هم أنفسهم وسائل أخرى لاستعبادنا واستحكام هذه القصور وتلك القبور.

ومرّت الأيام ... والحكماء والعلماء العظام _الذين كان تفكيرهم أفضل منا _كارسطو القائل بأن: بعض الناس ولدوا لأجل أن يكونوا عبيداً وبعضهم جاءوا الى هذه الحياة ليكونوا سادة ونبلاء اشرافاً ... لهذا أيقنت بأننا ما جئنا إلّا لنكون رقيقاً وليس لنا حظ غير هذا، وحظّنا ما عساه ان يكون سوى الظلم والجور والضرب والتحقير والعبودية، ولا شيء غير هذا ...!!

ولكن يا أخي: فجأة وعلى حين غرة علمت ان رجلاً هبط من جبل وركن الى معبد مزمجراً: «انّى رسول الله»...

ومرة أخرى، كادت ارتعاشة مهيبة تحبس انفاسي.. هـل ان خدعة اخرى تكمن وراء هذه الصيحة.. ولكن فتح فاه فقال _ وانـا لا أصدقه _:

اني بعثت من قبل الله القائل: ﴿ ونُسريدُ أَن سَمُنَّ عسلى الذيسن

استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمَّةً ونجعلهم الوارثين ﴾ (١).

يا للعجب ...!! كيف اصبح الاله يكلم العبيد والمستضعفين؟ ويبشرهم بالنجاة ويعدهم بالزعامة والقيادة، ويجعلهم وارثى الارض؟.. كدت لا اصدق، قلت: هو الآخر كباقي المبشرين والمصلحين و «الانبياء» في ايران والصين والهند ... لابد انه احد الامراء النبلاء المبعوثين لتنفيذ القدرة والسيطرة وتكديس القوى ضد الشعب. قالوا: لا، انه يتيم والكل قد شاهدوه مراراً وهو يرعى الاغنام وراء هذا الجبل، قلت: ماذا اسمع ...!! كيف هي مشيئة الاله هذه المرة ... يصطفي رسوله من بين الرعاة؟! قالوا: اجل، هو آخر حلقة من سلسلة الانبياء الرعاة، حيث ان أجداده كلهم كذلك، ذابت ابعادي في ظل رجفة ملؤها شوق صارخ وصيحة خرساء، إذ ان نبياً يبعث «منا» ولأول مرة ...!!

آمنت به وايقنت برسالته لأنه جمع شمل اخواني ورفاقي الفقراء حوله.

بلال، العبد الحبشي، سلمان، أسير من اسراء ايسران، أبو ذر، البائس المجهول وسالم، غلام زوجته خديجة ... الخ، كل هؤلاء البؤساء اليائسين، كل الاسراء والعبيد وكل المظلومين والمشردين اصبحوا قادة قومهم.

⁽١) القصص: ٤.

صدقته وآمنت به لأن قصره! كان ذا حجرتين أو ثلاثة صنعت من طين حيث اقام هو بنفسه البناء .. وبلاطه لم يتعدَّ حفنة من الاخشاب المتراصفة على بعض من سعف النخيل!! اجل، هذا كل ما كان يملكه ويؤثر به على معايش الناس من جراء بناء قصره هذا!! هكذا كان وهكذا رحل.

جئت... هارباً من الكهنة المجوس... من الظلمة الذين كانوا يسوقوننا كالبهائم الى حروبهم التافهة ونزعاتهم الطائشة...

فررت واعتصمت به ... قدمت الى مدينته وعشت معه ومن حولي رفاقي الرقيق والاسراء والمحرومون وجميع مستضعفي العالم ... قضيت أيامي معه حتى راح في غفوته السرمدية تاركاً وراءه شمسنا خلف ستار داكن .

أخي: وفجأة رأيت المعابد العظيمة تشق عنان السماء مرة اخرى وتعتلي باسم ذلك النبي الأمي في حين ان السيوف التي كتبت عــليها آيات «الجهاد» كانت تهدد وجودنا في كل آن...

ومرة أخرى امتلأت بيوت المال والخزائن بأموال نهبوها وسلبوها وانتزعوها عنوة منا... ومرة أخرى جاء خلفاء هذا الرسول ومسخوا القرآن واخذوا شبابنا عبيداً لقصورهم، باعوا امهاتنا في الأسواق البعيدة وقتلوا رجالنا باسم «الجهاد» في سبيل الله، واستولوا على كل ما نملك باسم «الزكاة».

يأسٌ قاتل دبّ في قلبي ... اجل يئست ... لا ادري ما افعل؟ لقد ظهرت سلطة جديدة تخفي خلف رداء التوحيد نفس الاصنام التي حطمها ذلك «الرجل» وتوقد في مساجد «الله» نار الكذب والخديعة ... ومرة اخرى تكررت نفس الوجوه الفرعونية القارونية التي تعرفها انت يا أخي جيداً ... اخذوا باسم الله وخلافة رسوله يضربون الناس بسوط الدين ... ونحن ـ مرة اخرى ـ مشينا في ازقة العبودية لنبني مسجد دمشق العظيم! ... ومرة أخرى دوّت هنا وهناك صيحات تدعو الى الحرية ... قصورنا درة في نوعها وطرازها ... مساجد محيرة للعقول ... كالقصر الأخضر في دمشق ودار خلافة الف ليلة وليلة في بغداد ... كل هذا كان بثمن دمنا وحياتنا ولكن هذه المرة ... باسم «الله».

ومرة أخرى صرت لا اصدق ان هناك خلاصاً ونجاة ...!! لان العبودية والموت الأسود كانا مقدوران لنا.

أجل... من كان ذلك الرجل؟! ترى هل كان يخفى خلف تـلك الرسالة اطروحة لخداعنا؟! كان مؤسس هذه الايدلوجية التي عـدّؤنا في دهاليزها وزنزاناتها كالخرق البالية... اجل كان هو الداعي لحرق مزارعنا وشنّ الغارات على ممتلكاتنا وقتلنا كالذباب... لا.. كـلّا... ف

لا أدري ... لم يكن هناك أمامي سبيل آخر أسلكه ... لمن

التجيء؟ الى الكهنة المجوس!!؟ كيف ذلك؟ الى المعابد والهياكل التي كانت ولا زالت قائمة على اساس الظلم والتزوير؟!! الى القادة.. الى كل الذين ينادون بالحرية والوطنية؟ لا... لأن هؤلاء كلهم فقدوا مكانتهم ومناصبهم وسطوتهم الغابرة بعد صيحة هذا «الرجل» لهذا تراهم يتكالبون لاجل احياء ذلك التراث البالي المتهرىء من جديد.. وبعد هذا وغير هذا... الى أين أقدر أن أذهب...؟!! الى المساجد؟ ولكن ما الفرق بين هذه المساجد وتلك المعابد..؟!

وبغتة _ يا أخي _ رأيت السيوف التي حفرت عليها آيات «الجهاد» ... والمساجد التي كانت طافحة باسم «الله» والمآذن الي كان يدوي فيها اذان «التوحيد» ... والوجوه المعروفة التي جلست على سرير الحكم باسم الخلافة وتحت شعار _ الامامة والاقتداء بنهج ذلك «الرسول» ... رأيت _ يا أخي _ كل هذا مرة واحدة وهي تلتقي في بؤرة واحدة وذلك لأجل جرنا في ازقة الاستعباد وساحات الحروب والهلاك والدمار والتكفير و...و...

لابد أن تعلم يا أخي أن واحداً آخر «منا» أصبح ضحية لهذه الجرداء القاتلة في مسجد يذكر فيه اسم «الله»، أجل إنه الامام علي، قريب وحبيب ذلك «الرسول» فقد اغتيل في محراب «الله» ... ولاقى الظلم والعدوان هو وآل بيته قبلي وقبلك وقبل جميع المعذبين والمحرومين على امتداد التأريخ، حاربوه وغاروا على بيته باسم

الجهاد والزكاة ...

وذلك «الكـتاب» الذي لا ريب فـيه، قـبل ان يـصبح اداة لاستعبادي ونهبي وقتلي، وضع فوق الرماح ليكون الفشـل ولتكون النكسة من نصيب ذلك الرجل.

يا للهول... هذا كل ما كان... اذ اني وجدت بعد انقضاء خمسة آلاف سنة كبيسة قاتلة، رجلاً يحكي لنا عن «الله» ولكنه لم يعرض حديثه للأمراء والنبلاء بل «لنا»... لم يكن كبوذا ليذهب الى «نيروانا» ولا كالرهبان ليخدع الناس ولا كالعرفاء الذين يبغون ـ الوصول الى «الله».

أجل فقد وجدته رجل جهاد وعدالة ... فان اخاه _عقيل _اصبح الضحية الاولى لهذه العدالة الجافة الصارمة ... رجل، كانت زوجته بنتأ لذلك «المبلغ» الكبير ... الخ. كانت تشتغل وتعمل ككل العاملات المحرومات، تتحمل الاذى وتتجرع القذى فتذوق الجوع والضنى بلحمها ودمها ...

اجل يا اخي ... وجدت رجلاكان اولاده وارثين لتلك الراية الحمراء التي ظلّت تفور دماً حاراً نحو السماء على استداد التاريخ، ولهذا تراني بعد مضي خمسة آلاف عام ومن هول تلك المعابد والابنية التي اعرفها «انا» وتعرفها «أنت» فذهبنا ضحاياها ... ومن خوف ذلك الاستبداد وتلك الفرعنة الى اعرفها «انا» وتعرفها «انت» ... اجل بعد

مضي كل هذه الاعوام تراني اعتصم بهذا «البيت» اللبني الوضيع ... المهجور ، الصامت .. كأنه بيت اموات ... ظل «هو» وحده .. ذهبوا كل رفاق ذلك «المبلغ» الكبير ... ارتحلت زوجته .. لا يدري علام يلوى .. كان يبكي لأجل ما ابتلينا به «انا» و «انت » ... وهو يجري بين نخيل بني النجار ... ويناجي ببكائه «الله».

أخي: كان «هو» والذين معه كلهم «منا».. من المحرومين.. تراه ولأول مرة يستخدم الفصاحة والبلاغة في بيانه وخطاباته الغراء لاجل انقاذنا وتوعيتنا، لا لأجل تبرير ونوجيه محروميتنا وتدعيم الانظمة الحاكمة.. كان حديثه أفضل من «دموستنس» ولكن لا، لإحقاق حقوقه الشخصية فقط ... كان كلامه أبلغ من «بوسويه» (۱) الخطيب ولكن لا للتملّق في بلاط لوى بل لأجل المظلومين ليصرخوا بـوجه الظملة... سيفه لم يشهر للذود عن نفسه وعائلته وقومه... ولا لحماية المقتدرين المغتصبين ... بل كان اسحن وأصدق من «سبار تاكوس» لأجل خلاصنا من الذل والعبودية ... كان يفكر أحسن من «سقراط» ولكن لا لأجل اثبات الفضائل والاخلاقيات التي عليها طابع النبلاء المتعجر فين، بـل

⁽۱) جاك بينيني بوسويه، لاهوتي وواعظ وكاتب فرنسي، ولد في ديبجون عام ١٦٢٧، اشتهر في باريس بمواعظه وبتآبينه التي ألقاها بين ١٦٦٧ و ١٦٨٧، تحول إلى فيلسوف ومؤرخ حرصاً منه على فائدة تلاميذه فكتب «المقال في التاريخ الكلي» الذي حاول فيه التركيب بين النظام الإلهي والفاعلية الانسانية. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٠٣

لإحقاق القيم الانسانية الأصيلة لأنه لم يكن من ورثة الفراعنة والكهنة، فهو لا يملك محراباً ولا مسجداً، انه شهيد المحراب.. «هو» اسوة حسنة للعدالة والتفكر البنّاء ولكن لا، لزوايا المكتبات والمدارس، وهو لا يعدّ من العلماء الارستقراطيين الذين يصلحون لأن يوضعوا في المعارض للبيع، في حين انهم من شدة التفكر العميق!! لا يفهمون مصائر الناس ولا يعانون شيئاً من عذابهم ولوعاتهم وجوعهم القاتل.

انه في ذات الوقت، حينما تجول روحه العظيمة في أرجاء السماوات، يسمع، انين الاطفال البتامي فتنتابه رعشة محرقة تستولى على كيانه كله.

انه يصرخ لأجل جور جرى على امرأة يهودية في حين انه نسي شدة ألم ضربة الخنجر القاتلة في المسجد، قائلاً: «فزت وربّ الكعبة»!

أجل يا أخي، انه ملك البلاغة والكلام العذب الساحر ولكن حديثه هذا لا يتشابه ابداً بالشاهنامة، تلك الملحمة الحماسية التي تحوى على ستين الف بيت، حيث انك خلال هذه الملحمة كلها لا تجد حديثاً «عنا» سوى مرة واحدة فقط .. أجل مرة واحدة تحدث الشاعر «فردوسي» عن واحد «منا» يدعي «كاوة»، الحداد الحر، المناضل من أجل الحرية والنهضة والخلاص والنجاة لرفاقه الكادحين، ولكن بطلنا الجسور هذا ضاع وظل مجهولاً قبل ان تثمر نهضته ويفتح طريقه الى الشاهنامة .. أجل لن تعرض شخصيته بشكل واضح بين، علام؟ لأن

شخصية «فريدون» النبيلة ونسبه العرقي طغيا على بطولة هذا الرجل الكادح ... ولذلك فإننا لا نرى اسمه في (الشاهنامة) إلّا خلال أبـيات معدودة فقط.

والآن يا أخي!! نعيش في عصر ومجتمع يحتاج «اليه» ... فهو لا يقارن بباقي الحكماء ولا يشابه العباقرة والعلماء، إذ أنهم كانوا عباقرة فهم ليسوا رجال أعمال ... وان كانوا رجال أعمال بل ومن الكادحين فهم ليسوا مفكرين وعباقرة، وان كانوا في ذات الوقت رجال أعمال كادحين وعباقرة مفكرين ايضاً فهم ليسوا رجال ميادين الحروب والجهاد وان اجتمعت بفرض المحال الثلاثة عندهم في آن واحد، فهم ليسوا اتقياء وازكياء وان توفرت لديهم كل هذه الخصال فهم لن يعرفوا الله حق معرفته بل تراهم يتخبطون في دوامة مظلمة عشواء.

انه رجل كل هذه الأبعاد الإنسانية كواحد من الكادحين مثلي ومثلك تماماً، يكد ويتعب، وبنفس الأناملالتي خطت تلك السطور الملكوتية في «نهج البلاغة» يدفع بمحراثه في الارض ليحفر بئراً أو ليحدث قناة ويفتح الماء على الاراضي البائرة اليابسة. كأحد العمال والزراع تماماً ولكن لا لهذا وذاك، بل لنفسه، يصرخ في قعر القناة: جروني الى الاعلى، وحينما يجرونه الى فوق وهو مغطى بالوحل، ينهمر الماء في تلك الارض العطشاء المحرقة نحو المدينة، فتفرح بنوهاشم، ولكنه قبل أن يتنفس الصعداء ويسترح قال: «طوبى للذين

سير ثوني، فإنهم لم يحصلوا على قطرة من هذا الماء» ...

أخي والآن.. وفي هذه الحالة حاجتي اليه ملحة ولابـدّ لزعـيم مثله يعينني في هذا الطريق الشاق المليء بالمصائب والويــلات، لأن الحضارات والثقافات والاديان والمذاهب تغيرت وأدبسرت وانـقلبت على عقبها وارغموا الانسان ليكون حيوانأ مستهلكأ اقتصاديأ أو حيوانأ لا يعرف سوى ذاته والاستغاثة فقط، صارفاً عمره في ازقة المعابد، وقد يكون انساناً فكوراً عاقلاً ذا بصيرة ولكن دونما عاطفة أو احساس، كأنهم لا يحملون بين جنبيهم قلب انسان، اناس قشريون، غلظاء، لا يدركون معنى للمحبة، وقد يكون رجل حب واحساس وعاطفة ولكن دونما تدبر وتعقل، عقلهم خالِ من التفكر السليم. دونما علم _جُهّال، دونما منطق واستدلال ... غير انه رجل كل هذه الخصال ... ربّ الكدح والتعب والعمل ... ربّ البلاغة والفصاحة ... ربّ الجهاد والحرب ... ربّ الاخللاص والوفاء ... ربّ العذاب والحرمان ... ربّ السكون والسكوت ... ربّ الصرخة المهيبة ... ربّ العدل والقسط.

والآن يا أخي ... نعيش في مجتمع تسيطر الأعداء على نصف أو بالأحرى على كل العالم، فيدفعون جيلنا هذا الى استعباد جديد لم يألفوه من قبل.

والآن إذا نظرت الى ظواهر الأمور، وبشكـل قشـري وسـريع خاطف ترانا اناساً احراراً، لسنا عبيداً لأحد أو فئة أو تكتل اجتماعي أو سياسي أو غير ذلك، لأن العبودية وقضية الرقيق أمست من القضايا الرجعية البالية!!... ولكننا _ يا أخي _ ابتلينا بعبودية جديدة افظع واتعس من عبوديتك «انت» ... نهبوا تفكيرنا ... قيدوا قلوبنا وسلبوا اردتنا ... انهم يجعلوننا ننمو في فضاء شاحن باستعباد متوج بشعارات الحرية وبقدرات العلم علم الاجتماع ، الثقافة ، الفن ، حرية الجنس ، حرية تقديس الشخصيات ، حرية الاستهلاك وحرية الاستيلاء والغصب ... اجل بقدرات هذه العلوم استأصلوا الغاية والايمان والاحساس بالمسؤولية والاعتقاد بمذهب «معين» من ادمغتنا ونفوسنا .

والآن يا اخي... فنحن امام هذه الانظمة الحاكمة نشبه الى حد بعيد، الاوعية الملونة الجميلة الجوفاء، نستوعب كلّما يصب في ادمغتنا ونفوسنا.

والآن... باسم الفرق والمذاهب... باسم السلالة والنسب... باسم الأوطان والحدود... وحتى باسمه «هو» وكذلك باسم منازعيه ومخاصميه... باسم هذه التعابير المصطنعة قطعونا ومزّقونا قطعاً صغيرة ليسهل عليهم بلعنا.. يا للتفرقة.. يا للشقاق و النفاق... يا للتشتت والتبعثر...!!

جعلوا مناصريه وشيعته ينقضّون على أنفسهم ويمزقون رفاقهم واخوانهم... أعداء ألدّاء مع بعض... لماذا؟ لأنه لا يسبل يـديه حـين الصلاة ... يعتلي دم الانتقام في وجوههم ... لأنّ ذاك يسجد على تـربة وهذا لا يسجد عليها.

انبتوا في نفوسنا الاشتباك والنزاع والمشاجرة بشكل فظيع .. نفوا رواد الفكر الاحرار وأبعدوهم الى اقطار بعيدة عنا في حين انهم بدأوا يمثلون دور الراعى المحافظ والذائد عن رعيته وقطيعه ..!!

أخي، يا أخي ... لقد كنت تعرف سيدك ومولاك وكذلك ألم الخيزران والسوط جيداً دونما تخبط أو ابهام ... كان يسيراً عليك ان تشعر به وتحسه ... اذ كنت عارفاً بعبوديتك ... وتعرف أيضاً سبب هذه العبودية ... وتدري متى اصبحت عبداً ومن هم الذين استعبدوك ؟ ولكنا الآن ابتلينا بنفس مأساتك هذه ولكن بدون أن نعرف الذين جعلونا عبيداً لهم في قرننا الحاضر هذا، ولا ندري من قبل أي فئة أو جهة نسلب وننهب وكيف وقعنا في شرك الذل والاستسلام والخضوع وانحراف الافكار والعقائد والعبودية المشؤومة السوداء الرهيبة.

أخيى، يا أخي: الآن، يجرّونا كالبهائم الى حظيرة الرق والاستعباد ليستنفذوا دماءنا ويستغلونا أكثر بكثير من عصرك وجيلك... ليس امامنا طريق سوى تشغيل هذه القوى ورؤوس الأموال والمصانع والثروات الفنية الهائلة والانتاج، يجب أن ندير عجلات هذه القوى بدمنا ولحمنا واضطهادنا واستضعافنا ولا يصيبنا سوى ما يسد رمقنا او لا يسد...

الحرمان والتمييز العنصري والظلم والجور في عصرنا اشد واكثر من عصرك ولكن بنقاب جديد وطريقة اجدد.

أخي، يا أخي... هذا عليٌّ تراه يقدم حياته كلها لأجل هذه الكلمات الثلاث...

خمسة وعشرون عاماً كلها تضحية وفداء ونضال من اجل غرس الايمان والعقيدة في قلوب اناس غلاظ متوحشين متفرقين، خمسة وعشرون عاماً آخر قضاها في صمت مرير وصبر قاتل كان في عينه شجى وفي حلقه قذى من اجل وحدة المسلمين اتجاه الامبراط ورية الرومانية والامبراطورية الايرانية، كذلك خمسة وعشرون عاماً آخـر من بقية حياته كانت مفعمة بالجد والجود ومملوءة بالعذاب واللوعة من اجل استقرار العدالة الاجتماعية ومحوكل آثار العقد والضغائن بسيفه الجبار ذي الفقار لنكون احراراً نملك مصائرنا ولا نعبد إلّا الهاً واحداً مقتدراً عزيزاً، ولكن يا للاسف لم يقدر ... لن يقدر ... مع هذا فقد علمنا بمنهجه ومدرسته وطريقه وكذلك الزعامة والسيادة دوماً ... منهج العدالة وزعامة الناس وعلى هذا فهو تارك وراءه ثلاثة شعارات وعلى اثرها فقد قدم نفسه وعائلته وكل ما يملكه على منصة الاستشهاد والفداء وذلك لأجل هذه الكلمات الثلاث الخالدة في مجرى التأريخ:

المبدأ ... الوحدة ... العدالة الاجتماعية ...



حوار مع توینبی(۱)

قال لي: دعني اطرح هذه المسألة الشخصية قبل ان نبدأ حوارنا. أنت تعرف انّي رجل مؤمن وانظر الى الدين من منظار كونه حقيقة وضرورة ماسّة إلّا انّي أعاني الشكّ والتردّد في أفكاري وميولي السياسيّة، فكثيراً ما اشعر بالحيرة في كيفية الجمع بين نزعتي الدينية التي لا تتلاءم بطبيعة الحال إلّا مع نظام اجتماعي ـسياسي مثاليّ، وبين افكاري السياسية المتأثّرة والمعجبة جداً بالنظام العلماني. فانّي بصفتي مسيحياً مؤمناً ادعو الى نظام حكم ديني وبصفتي نصيراً للديمقراطية اؤيّد نظام الحكم العلماني وهذه الازدواجية جعلتني أعاني دائماً من صراع واحترام عنيف في أفكاري.

قلت: انه صراع منطقي وضروري وليس بوسعك إلّا ان تـختار

⁽۱) أرنولد توينبي (Arnold Toynbee)، مؤرخ وفيلسوف انكليزي (۱۸۸۹ ـ ۱۸۸۹)، أكد في مؤلَّفه الرئيسي «دراسة في التاريخ» إرادته في بناء فلسفة التاريخ انطلاقاً من دراسة إحدى وعشرين حضارة. من مؤلفاته الأخرى: «الحرب والحضارة»، «الحضارة في محنة». انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ۲٤٦.

واحداً وتدع الآخر.

قال: اظنّ انك تعاني نفس هذا الصراع بشكل أكثر حدّة لأنّك مزجت الاسلام مع أفكارك السياسية، اللهمَّ إلّا أن نقول: انّك لا تـؤمن على الاطلاق بنظام الحكم العـلماني وهـذا مـا يسـتبعد تـصوّر، لأن منهجيتك في التفكير وحتى وجودك في هذا الحفل يـدلّان عـلى أنّك تؤمن ايماناً راسخاً بالحرية والديمقراطية. اذن انت تطالب بنظام حكم اسلامي من جهة ونظام حكم علماني من جهة أخرى، فكيف يكون ذلك؟!

في هذه الأثناء تحدّث شخص ثالث كان جالساً معنا وقال بمزاح: «انّ حلّ هذا التناقض هو أمر سهل بالنسبة إليه (وأشار اليّ). اظن انّه سيثبت لك الآن انّ نظام الخلافة الاسلامي هو نوع من الحكم العلماني!!

قلت: كلا، على الاطلاق، فالخلافة ليست نظاماً علمانياً بل حتى لا يمكن اعتبارها حكماً اسلامياً. انها حكومة عنصرية جاهلية مصبوغة بصبغة اسلامية. فلم تقم الخلافة على اساس اسلامي وانما اتخذت الاسلام وسيلة للدفاع عن نفسها وجعلت منه حارساً امنياً يدافع عنها.

قال توينبي: لا، هذا ليس صحيحاً، انّك تريد ان تنسب افكارك وعقائدك الخاصّة الى الاسلام، بتعبير آخر انّك لا تطرح الاسلام كما هو بل تطرح اسلاماً خيالياً يعجب المثقفين في وقتنا الراهن. انا اعتقد انّ

عليك أن تتقيّد بحقيقة الاسلام. فالاسلام هو الشيء الذي كان موجوداً لا الشيء الذي تتمنى ان يكون موجوداً. ثمّة فرق بين الاسلام الذي تتمنّاه انت كمثقّف متأثّر بالثقافة الاشتراكية والعقائد الديمقراطية وبين الاسلام الذي جاء به النبي محمد (ص) في القرن السابع الميلادى و آمن به العرب وعملوا بأحكامه منذ ذلك الحين.

قلت: ان سمحت لي بإكمال حديثي لعرفت انّ انتقادك الوارد هذا ليس وارداً عليّ.

قال: ماذا تعني؟ فان كان الانتقاد وارداً كـيف لا يكـون وارداً عليك؟!

قلت: انتقادك وارد لان هذا الكلام هو كلام صحيح فاننا يجب ان لا ندس عواطفنا وأمزجتنا الخاصة في الحقائق الاان هذا الانتقاد ليس وارداً علي لانك لو استمعت الى كلامى لرأيت اننى لم افعل ذلك.

قال: عذراً، انا استمع اليك.

قلت: انتي عندما اطرح فكرة الحكومة الاسلاميّة اقسد بذلك حكومة النبي محمد (ص) وبعض خلفائه الاوائل الذي كانوا يعملون بسنّته، في حين انت تنظر الى خلفاء الامبراطورية العثمانية أو الى حكومة الخلفاء في اسبانيا وبغداد وسوريا أي الى الحكومات التي ينفر منها المسلمون المثقفون أكثر من غيرهم.

في البداية، علينا أن نعرف ما هي الحكومة الدينية؟ الحكومة

الدينية هي الحكومة التي يحلّ فيها رجال الدين محلّ رجال السياسة، بتعبير آخر الحكومة الدينية هي حكومة رجال الدين على الشعب.

الاستبداد هو من المعالم الطبيعية التي تتسم بها هكذا حكومة. لأنّ رجل الدين سيشغل منصب خلافة الله وتنفيذ اوامره في الارض. وفي هذه الحالة سوف لا يكون للناس حـقّ لإبـداء الرأى والانـتقاد والاعتراض. فالزعيم الديني يعطى لنفسه حق الزّعامة والقيادة مرتكزأ على قيمته واعتباره الديني لا على قيمة آراء الناس وانتخابهم. اذن هو حاكم غير مسؤول وهذا النوع من الاستبداد هو أسوأ انواع الاستبداد والدكتاتورية الفردية. لأنّ الحاكم الديني يظنّ انــه خــليفة الله وظــلّه الممدود في الارض فهو يسيطر على رقاب الناس واموالهم ونواميسهم ولا يتردّد في اي نوع من الظلم والاسراف والاعتداء بل يعتقد انّ هذه الاعمال مقرونة برضا الله تعالى عزّ وجل، والأسوأ من ذلك انه يعتقد انّ معارضي حكومته واتباع الاديان الاخرى لا يستحقون حتى حق الحياة لأنَّهم هم الضالُّون الذين غضب الله عليهم وهم اعداء ديـن الله والحق وانّ الاعتداء على هؤلاء وسلب حقوقهم هو امر عادل بل هـو العدل الالهي بعينه!

لقد حكم القساوسة في القرون الوسطى بلاد اوربا باسم الحكومة الدينية وقد رسم فكتور هيجو تصويراً دقيقاً يجسد فيه مساوى، هذا النوع من الحكم.

امّا الاسلام، فلا يمكن اثارة هذا الأمر فيه لأنّ المجتمع الاسلامي لا يوجد فيه رجل دين بالمعنى الذي نراه في الأديان الأخرى. فلا توجد فئة خاصّة باسم (روحانية) «الكلمة التي تعادل كلمة Clerge» باللغة الانجليزية. الدين في الاسلام ليس مهنة والارتباط بين الفرد وربّه في هذا الدين هو ارتباط مباشر وانّ تحصيل علوم الدين في الاسلام لا يختص بفئة خاصّة بل فرض هذا الدين طلب العلم على كل مسلم ومسلمة ولم يسمح لأحد بالتّقليد في أصول ديـنه كـما فـرض التبليغ الديني والدّعوة الى المباديء الأخلاقية على جميع الشعوب المسلمة ولم يخصّ جماعة بهذه الدعوة الكريمة . فلا يوجد في الاسلام رجل دین رسمی او مبلّغ رسمی او مفسّر رسمی او مندوب دینی رسمي، فالجميع جنود مبلّغون يربطون الخلق بالخالق، وهم في الوقت ذاته مفكّرون مستقلون مسؤلون عن أعمالهم وعقائدهم وهذا هو البعد الفردي الليبرالي في الاسلام الذي تدّعي امريكا دجلاً انه ينتمي اليها وهو اساس الديمقراطية الانسانية التي تضمن حريّة الفرد وتحافظ على حقوقه حيال المجتمع وعلى قدرته ومركزيّته(١١).

⁽۱) صحيح ان هنالك جماعة خاصة باسم «علماء الدين» تبلورت بسبب تعقيد المسائل واتساع رقعة المجتمع الاسلامي الا ان هذه الجماعة هي جماعة من رجال الدين العاديين وليست جماعة رسمية. فهي جماعة قابلة للانتقاد والاعتراض وليست جماعة مقدسة غير مسؤولة، ومعصومة مصانة من الخطأ.

وداعاً. . . يا مدينة الشمادة

قبران في طوس: خير الناس كلهم وقبر شيرهم، هذا من العِبر ما ينفع الرجس من قرب الزكتي وما على الزكي بقربِ الرّجس من ضرر هيهات كلّ امرء رهن بما كسبت له يداه فخذ ما شئت او فذر لا اضحك الله سنّ الدهر إنْ ضحكت وآل احمد مظلومون قد قُهروا مشرّدون نُفوا عن عقر دارهم كأنّهم قد جَنوا ما ليس يُغتفر

ما أبلغ مزار سلطان أرض طوس وما أفصح قبّته الذهبيّة التي تعلو سطح الحرم، الحرم الذي يـرقد فـيه الخـليفة والامـام، الجـلاد والشهيد.

يرقد هارون في وسطه والامام في احدى زواياه لانهم دفنوا الامام الى جانب الخليفة تكريماً له.

ماذا أقول ؟

كان مدفن الامام في البداية داراً لحميد بن قحطبة وكان صحن حرم الامام بستاناً تابعاً لتلك الدار وهو البستان الذي سمّم الامام بعنبه.

يا للعجب كم يستطيع المعمار أن يكون معلّماً ومفهّماً!

العالم يتحدث اليوم عن «فلسفة العمران» ولكن في اي مكان من الارض يستطيع المعمار ان يكون فيلسوفاً عميقاً كهذا!

يتحدّث العالم اليوم عن «فلسفة التاريخ» ولكنّ في ايّ زمن استطاعت «فلسفة التاريخ» ان تتجسّم في شكل بناء كهذا البناء!

أربعة عشر قرناً مضت وهم يتحدثون عن «اسلام التّاريخ» و «تأريخ الاسلام» ويدرسون الحقيقة والايمان والتحريف والنفاق والحق والغصب والخلافة والامامة والظاهر والباطن والكفر والايمان والاسلام الحاكم والاسلام المحكوم و...

ولكن أيّ محقق ومبلّغ وكاتب ومؤرخ ومتكلم ومفسر وفقيه ومحدث.. استطاع ان يجسّد الحقيقة كما جسّدها هذا البناء؟

من منهم استطاع خلال هذه القرون الاربعة عشر ان يجمع كل هذه الرموز والاسرار والمفاهيم والعواطف والاجتهادات والبحوث والجدل الديني والصراع السياسي والمذاهب الفكرية والتضاد الطبقي والعلاقات الاجتماعية والصراعات التاريخية و...كلّ شيء في بناء واحد وقبة واحدة؟ بكلمات منقوشة على الحجر وعبارات مرسومة على الفضة والذهب والرخام وعبارات مكتوبة على «الابواب والجدر» ونقوش في «البيوت التابعة» وفي قوائم الانظمة والمنظومات...

تأمّلوا في اسم «البيوت التابعة» للحرم:

الخفر الأوّل، الخفر الثاني، الخفر الثالث، الخفر الرابع، الخفر الخامس، الخادم الرسمي، الخادم الفخري، البوّاب، الادارة، دائرة المراسيم، دائرة الاعلام، دائرة البساتين، دائرة الاملاك، دائرة الاراضى والموقوفات والاجارات والنذور و....

وامّا قائمة أسماء اولئك الذين خلّدوا اسمائهم في الكتب أو في النقوش الحجرية بواسطة ايجاد بناء أو تجديد بناء أو تذهيب ايوان أو منارة تكريماً لهذا المزار المقدس: السلطان محمود الغزنوي^(۱)، السلطان سنجر السلجوقي، شاهرخ الملك المغولي، جوهر شاد الملكة المغولية، بايسنقر الامير المغولي، السلطان ابو سعيد، السلطان باير شاه، الشاه عباس الصفوى، نادر شاه و...

وهناك قـائمة طـويلة بـأسماء الأعـيان والاشـراف والأمـراء الايرانيين والأتراك والتتر والمغول مذكورة فــي الكــتب وفــي عــقود الوقف.

وكل هذا يدلّ على انّ «صانعي حوادث التاريخ» قد لجأوا الي

⁽١) ظهر الغزنويّون في أواخر الدولة العباسية وتمركزوا في خراسان واتخذوا من مدينة (غزّين) عاصمة لهم، ومن أشهر سلاطينهم السلطان محمود الغزنوي.

هذا المكان المقدس في مساوي، حوادث الدهر. فقد كان ملوك الزمان وجبابرة الارض يتسارعون لتقبيل هذا التراب والخضوع امام هذه العظمة وكان هذا الضريح ميعاداً لرجال ثالوث السلطة في التاريخ. الامراء والملوك، الاقطاعيون، ورجال الدين الذيبن طالما استعبدوا الناس سياسياً واقتصادياً وعقائدياً، يتوجّهون وكأنّهم رعايا الى مزار السلطان علي بن موسى الرضا معبّرين بذلك عن انتساب سلطانهم وقدرتهم ونفوذهم السياسي والمادي والمعنوي الى هذا المزار السماوي المقدّس الذي منحهم هذه المكانة واعطاهم هذا المنصب في الأرض، فإنّ شموس حياة الناس (هؤلاء) ليسوا إلّا اقماراً صغيرة تدور حول «شمس الشموس»، سلطان أرض طوس.

ولذا نرى السلطان عباس الكبير يخلع نعليه ويعلقهما على رقبته ويمشي على قدميه الحافيتين من أصفهان _عاصمة الدنيا _الى مشهد «الرضا» ايماناً وارادة واخلاصاً رغم جلاله وجبروته وقدرته وسلطانه ورغم وجود صالة تختص بالموسيقى والشراب في قصره «عالي قابو» ورغم انه كان يقتل الذكور في عائلته ليقي نفسه خطر ظهور من ينافسه على السلطان.

وفي حرم الامام نرى هذا السلطان يقص رؤوس الشموع كالخدم فينشد العلامة الشيخ البهائي الذي كان أكثر رجال الدين قدسية في زمانه هذا البيت البديع في حضوره:

«قیچی تو به احتیاط زن ای خادم ترسم ببُری شهپر جبریل امین» و معناه:

«ايها الخادم خذ حذرك في استخدام المقص، فانّي اخشى ان تقص به جناح جبر تيل الامين»

ونرى الملك الشهيد ناصر الدين ينشد هذا البيت وهو يقبّل ثرى قدم الامام:

«در کفشکن حریم پور موسی موسای کلیم با عصا میبینم»

«في منزع احذية حرم ابن موسى ارى موسى الكليم متّكنًا على العصا».

لقد كان هذا المزار ملجاً للشاردين وملاذاً للهاربين ومأوى آمناً لمن كان يفرّ بنفسه من سيوف الطغاة والجلادين.

وهكذا أصبحت «مشهد» مدينة كبيرة. فبعد هجوم جنكيزخان وبعد أن أراق ابنه «تولي» دماء اهالي مدينة طوس، لجأ من استطاع الهروب بنفسه الى ضريح الامام وسرعان ما تحوّل هذا المزار الصغير الواقع في ضاحية مدينة طوس الى مدينة كبيرة وامست طوس مدينة خربة مهجورة تقع في ضاحية هذه المدينة.

بعدها حاول خلفاء جنكيز ارجاع الناس الى مدينتهم ولكن لم يرجع احد، فقد آثروا ان يبقوا إلى جوار امامهم غرباء كإمامهم الغريب ويتركوا ديارهم الى الأبد.

وهكذا اسست هذه المدينة!

وما زالت هذه المدينة على هذه «السنّة» التي كانت عليها من قبل.

إن هنا لك شيئاً خفياً في هذه المدينة يخاطب القلوب ويحكي عن عظمة هذه «الروح» فهي تضمّ الى صدرها الغزلان الجريحة الهاربة من مطاردة الصيادين في صحراء اللهيب و الهول هذه. الصحراء التي لا يعيش فيها سوى الذئاب والثعالب والفئران ولا تسكن فيها إلّا النعاج لأنّها ذلولة سمحة القياد.

اما الغزلان فهي طليةة تجوب كل مكان ولا ملجاً لها فــي هــذه الصحراء القاحلة لأنّها لا تمتلك أنياب الذئاب ولا رقاباً تطيق القيود.

فهي هاربة دائماً من فزع هذه الصحراء الجرداء.

الصحراء هي التاريخ بعينه قد تجسّد في قالب جغرافي، فهي عظمة مرموزة صامتة قانطة مسلمة قاحلة، لا ماء فيها ولا زرع ولا جبل شاهق مغرور ولا نهر جاري مسرور ولا اغنية نبع عاشق ولا بستان ولا سحابة ولا زهرة ولا منظر ولا مرتع ولا طريق ولا سفر ولا منزل ولا مقصد ولا حركة نهر ولا قاع بحر ولا صرخة رعد ولا لمعة برق.

انها مكان هاديء محروق حزين قانط. فهي مسكن للغيلان والجن والارواح الخبيثة والذئاب وملجأ للوسواس الخناس والغاسق

الواقب والنفاث الساحر والحاسد الخائن! _ انّها موطن الخيال والاسطورة. فهي سراب، لاماء فيها ولا شجر، يسودها السكون، لا بسبب الهدوء والسكينة بل من شدّة الخوف.

لهيب هوائها القاسي يغلي المخ في الدماغ وحرارة رمالها تفزع النبات عن الإنبات. والناس فيها وجوه مشويّة ونواصٍ مجمّدة وعظام متهرئة يكسوها الجلد.

التمعّن في الصحراء امر صعب ولهذا يضع الناس الايدي عــلى العيون لكى لا ترى الصحراء أنّهم يرون ولا تعرف انهم يعرفون.

وبين الحين والآخر تهبّ في الصحراء عاصفة فتقلب كل شيء وتحجب السماء عن الارض الا انها تهدأ بعد قليل ليبدو وجه الصحراء من جديد وكأنه لم يطرأ عليه اي تغير. فالصحراء تعصف وتهدأ ولكن دونما اي تغيير فهي كالبحر، غير انها ليست بحراً من الماء والمطر واللؤلؤ والسمك والمرجان بل من التراب والرمال والغبار والافاعي والوزغ واليرابيع...!

أغلب الكائنات التي تعيش فيها هي من الزواحف، غير انّك تجد بين الحين والآخر طيوراً خائفة لاموطن لها ولا ملاذ تذكّرك بقصّة ببغاء طاغور ولكن ليس في الهند بل في ارمينيا.

اما نبات الصحراء فهو «الخنشار والصبّار»، هذه الاشجار التي تتسم بالشجاعة والصبر تتحدّى الصحراء فتخرج شطأها من صدر

رمالها الملتهبة مستغنية عن الماء والمدح والثناء ثمّ تستوي على سوقها وتظهر بمظهر الآلهة في هذه الصّحراء: شجاعة وغرور ووحدة وغربة، كأنها سفيرة العالم الآخر في قلب الصّحراء!

هذه الأشجار الشجاعة التي تنبت في قلب جهنم ليس لها ورق ولا ثمر لأنّ شوق الأزهار والأثمار قد وئد في سيقانها وأغصانها. واما مصير هذه الاشجار: فانّها تجتثّ من جذورها بجريمة التجاسر على الصحراء فتوضع في التنور وتحرق ليخبز بها الرغيف، هذا هو مصيرها المحتوم.

واليوم...

جاء غزال خائف الى مزار حامى الغزلان.

ليلجأ الى حمى أمنه وايمانه.

لانه سمع ان عيناً نبعت من الغيب في هذا المكان.

وانّ بستاناً غطى التراب بغطائه الزمرّديّ.

إلا ان تلك العين لم ينبع منها إلا «المكر».

والبستان لم يزهر فيه الاالورد الاسود والعنب المسموم والرّمان القاتل.

فأصبحت قصّة هذا الغزال^(١) تذكّر بمصير قومه.

الذين خلَّصوا رقابهم قبل مئات السنين .

⁽١) المقصود بالغزال هنا هو الشاعر الفردوسي صاحب الشاهنامه.

من «قيود عدل انوشيروان(١١)»،

ولجأوا الى المدينة بحثاً عن «عدل بلا قيود»

إِلَّانَّ المطاف آل بهم الى بغداد .

ليجدوا انفسهم قيدوا به عدل القيود».

رحلوا ليبحثوا عن النبيّ .

غير انّهم وجدوا خليفته الغاصب .

واليوم...

لجأ الى الامام رجل وحيد .

من أحفاد هؤلاء القوم الخائبين .

إلّا انّه وجد في حرمه الطّاهر نائبه الغاصب .

ماذا أقول؟

وجد جلاداً يرقد في حرمه .

يا لها من دائرة مخيفة!

انّ اقرب الناس إليه.

هو أشدّ الناس عداءاً له .

وان الأقرب مداراً الى محور الصدق وشمس الغيب هو الأكثر كذباً وأشدّ مكراً.

* * *

⁽١) وهو الملك الفارسي العادل. (المترجم).

وهذا المهاجر الوحيد، الغزال الطُّليق

هو من أحفاد اولئك المهاجرين الخائبين، تلك الغزلان الجريحة الخائفة.

التي رحلت الى مهبط الوحي ملبيةً نداء النبوّة ،

هرباً من الثالوث المشؤوم: «كسرى، دهقان، موبد»(١).

بحثاً عن الثالوث الالهي المقدس: «الحرّية، المساواة، الوعي».

إلّا انّهم أصبحوا ضحيةً لثالوثٍ آخر اكثر شؤماً؛ ثالوث «الخليفة _ الشيخ _ الفقيه »، لقد ترك هذا المهاجر الوحيد، قطيع نعاج الصحراء الجائعة هرباً من ثالوث «الذئب _ الثعلب _ الفار ».

ملبيّاً نداء الوصي .

بجسم يكاد ان يكون نيلجيّ اللّون من شدّة ضرب السياط .

وشفاه تلتهب من شدة العطش .

واقدام مجدّرة من طول الطريق.

وقلب مفعم بالشوق والعشق.

لجأ الى حرم الامام:

ولكن ...

وامصيبتاه!

⁽١) دهقان: الملّاك والاقطاعي الكبير، موبد: رجل الدين المجوسي.

انّه حرم «هارون»!

والامام يرقد الى جانبه!

الى جانب هارون!

أيعنى هذا انّ الامامة هي في هامش الخلافة ؟

أيعني هذا انّ الايمان هو في خدمة الجور؟

أيعني هذا انّ لباس التقوى هو غطاء يغطّي هياكل الزور ؟ أيعني هذا تسترّ ثـالوث «السّـيف _الذّهب _السبحة» بسـتار

الدين؟

أيعني هذا اننا نطوف حول هارون باسم الامام؟ أيعني ..

هناك الخلافة والرسول وهنا النيّابة والامام؟

أيعني اختفاء رجس هارون في ضريح العصمة الطاهر؟

أيعني تطهير السلطة من جديد؟

وتقديس الذهب.

وتبرير الزور والتزوير؟

أيعني دعوة الخلق الى زيارة الخليفة باسم الدين ؟

لست أدري...

غير انّي أعلم انّ هذه الشجيرة الصغيرة.

سليلة شجيرات الخنشار والسّمر تلك .

ما ان أورقت وأزهرت حتى حلّ الشتاء .

فاجتثّها من الجذور .

تجّار الخشب وصنّاع الفحم وموقدو النّيران وخبّازو الرغيف لقد المسكوا بتلك الغزالة الهاربة.

في حمى حاميها .

وسلَّموها الى الصياد .

ففي هذا العصر هجمت الخلافة مرّة أخرى .

وأغار سعد بن أبي وقاص آخر في قادسية أخرى .

وزحف وحوش العرب من جهة الغرب هذه المرّة .

فنهبوا «مدائن» نا .

ودفنوا لغتنا وايماننا وثقافتنا وتاريخنا .

وجاؤوا بالعبودية والجهل بستار المدينة والعلم.

وهدموا الأسوار والبروج واسقطوا الجدر والسقوف.

واطفأوا نيران المعابد .

و...

«زتــرك وزايــران واز تــازيان نه ترك ونـه ايـران، نـه تــازى بـود نريان كســان از بـى ســود خـويش

⁽١) من الايرانيين والترك والعرب ظهر عرق وجيل جديد

وفي غضون ذلك:

نهض ابن الفلاح القروي الخراساني

برأسمال عمره

وقدرة عشقه

بدون مسند وملاذ

أهمَلَ الحياة ليجمع ويدوّن ويذكّر الناس بكل فخر وعشق وايمان وفنّ وحضارة وبطولة... قد اجتثّها خلفاء العرب وسلاطين الترك وباعة الوطن من آل برمك ونوبخت وطاهر وسامان وصفّار و... والعلماء من قبيل المقفّع وافشين و...

فكدح خمساً وثلاثين سنة بدون توقع اجرة لينشد «مذكرة» الايمان المنسيّ لهذا القوم. غير انّ اولئك الذين لم يطيقوا استماع اسم العظماء ولم يرغبوا في احياء الموتى وابصار العمي تآمروا عليه فشرّدوه من دياره وكفّروه وحرّضوا الرعاع على ايمانه بدعوى انه رجل رافضى معتزلى. فاستدلّوا بهذا البيت على اعتزاله:

«بسه بسینندگان آفسریننده را نبینی مرنجان دو بیننده را» (۱) و استدلوا بهذه الأبیات علی انه رافضی العقیدة:

ليس ايرانياً ولا تركياً ولا عربياً ، ينافي كلامه عمله اضروا الناس طلباً لمنافعهم وجعلوا الدين ستاراً هذه الأبيات هي للفردوسي شاعر الحماسة الايرانو, (١) لن ترى الخالق بالعين فلا تؤذى عيونك!

برانگیخته مروج از او تند باد هسمه بسادبانها بر افراخته بر آراسته همچو چشم خروس همه اهل بیت نبی و وصی به نزد نبی و وصی گیر جای چنین دان واین راه راه من است یقین دان که خاك پی حیدرم» «خردمند گیتی چو دریا نهاد چو هفتاد کشتی در او ساخته میانه، یکی خوب کشتی عروس پسیمبر بدو اندرون با علی اگر خلد خواهد به دیگر سرای گرت زین بد آید، گناه من است بر این زادم وهم بر این بگذرم و معناها:

«عندما خلق خالق الكون البحر، وتلاطمت فيه الامواج عند هبوب الرياح

صنع فيه سبعين سفينة، ورفع عليها الاشرعة

وكانت بين هذه السفن سفينة جميلة، كالعروس ومـزيّنة كـعين الديك

اجلس الله فيها النبي وعلي، وجميع اهل بيت النبي والوصي فإن اردت الخلد في الدار الآخـرة، خـذ مكـاناً بـقرب النـبي والوصي

فإن اصابك سوء من هذا فانا المسؤول، كن مـؤمناً بـهذا فـانّي مؤمن به

اني ولدت على هذا وسوف اموت عليه، كن واثقاً من انني تراب

قدم حيدر»

...حزن كثيراً وعندما عرف نيّة السلطان محمود، خرج من مدينة غزنين في سواد اللّيل و... ظلّ هارباً... لمدة ستة اشهر ... قيل له: انت رجل شيعى وكلّ من يتمسّك بآل النبى سيكون مصيره...

حملوا اجرة عمله الذي استغرق خمس وثلاثين سنة على بعير وأرسلوه الى طوس ... وبينما كان البعير يدخل من بوابة (رودبار) في مدينة طوس كان الناس يخرجون جنازته من بوابة «رزان»

وكان هنالك واعظ في محلة طبران طوس وهو فقيه المدينة الكبير اسمه الشيخ ابو القاسم الكرگاني اصرّ بتعصّب وقال: سوف لن اسمح بدفن هذه الجنازة في مقبرة المسلمين لانّه رجل رافضي. توسّل الناس اليه ولكن دون جدوى فاضطرّوا ان يدفنوه في بستان قريب من هذه البوابة كان من أملاكه...».

يقال انّه خلّف بنتاً في غاية الكرم، أرادوا ان يسلّموا اليها صلة السلطان ولكنّها أبّت عن ذلك وقالت: «انا لست بحاجة اليها» فكتب صاحب البريد الى السلطان فأمرَ بإخراج ذلك الفقيه من مدينة طوس». فاعتبروا يا اولى الأبصار



التاريخ على النحو الذي نراه اليوم او في بلورة نهضة جديدة تـطالب بالعدالة الاجتماعية وترفض النظام الطبقى الاستغلالي كما كان لهما الاثر الكبير في بلورة نزعة اجتماعية وخلق رأي عامٌ يدعو الى تسييد النظام الاشتراكي ونبذ النظام الرأسمالي في عصرنا الراهن. ففي اوربــا كان البابا الذي يعدّ رمزاً للسلطة الدينية ووارثاً لتاريخ الاديان يعمل على تحويل الدين الى نظام فكري رجعي تابع للطبقات الحاكمة، وكان الدّور الطبيعي الذي يلعبه الدين هو تبرير الوضع الموجود وامتصاص نقمة الشعوب المحرومة وتسكين غضبها بالوعد والوعيد وهكذا كان الوضع بالنسبة للطاقات الانسانية الأخرى كالفلسفة والمنطق والفن والأدب والعلوم. وبعد عصر النهضة حيث تحرّر العقل والعلم من قيود الكنائس وتخلُّصت شعوب اوربا من سطوة حكم البابا ونالت استقلالها الحقيقي، أخذت هذه الشعوب تتطور بسرعة مذهلة، وسرعان ما حــلّت الأمــم

القوية محل المقاطعات الصغيرة واحتلت الاكتشافات والاختراعات

مكان تقليد القدماء والعيش على فضلات موائدهم. بيد انّ المنطق

كان لكل من البابا وماركس دور رئيسي في تدوين فلسفة

العلمي والروح التحررية الجديدة والرؤية العلميّة الحديثة اتّخذت وبشكل عفوي موقفاً سلبياً تجاه القوى الدينية الرسمية التي تصدّت بدورها لهذا التيار الجارف. وقد ساهمت البرجوازية التي تتنافى مع روح الخير والجمال المعنوي والقيم الاخلاقية المتعالية في تقوية هذا التيار المناهض للدين، خصوصاً ان معظم ممثلي هذه النهضة الفكرية كانوا من افراد الطبقات الاجتماعية المتوسطة اي الطبقة البرجوازية الحديثة التي كانت تناويء الدين تارة من ناحية الروح الطبقية وأخرى من ناحية كونها تحاول اكتساح النظام الاقطاعي والقضاء عليه، ذلك أن الدين الرسمي كان يشكّل البنية الفوقية الفكريّة والثقافيّة لهذا النظام الاقراد.

وفي ظل هذه التحولات ظهرت الماكنة لتتحوّل الرأسمالية التجارية الى رأسمالية صناعية وتؤدي إلى التمركز في الرأسمال من جهة والتمركز في اليد العاملة من جهة أخرى، الأمر الذي ادّى بدوره الى اتساع الهوة الطبقية اكثر من ذي قبل لأنّ قدرات انتاج الماكنة التي كانت في خدمة اصحاب رؤوس الاموال ادّت الى ازدياد حجم رؤوس الاموال ادّت الى ازدياد حجم رؤوس الاموال في ايديهم واستثمار اليد العاملة بشكل بشع للغاية الأمر الذي ادى بدوره الى اتساع الهوّة الطبقية وتنامي معدل الاستثمار الطبقي عدة أضعاف وكان هذا هو السبب في بروز الصراع الطبقي الحديث وتعبئة الرأى الحرّ ضد الاستثمار والماكنة والرأسمال من اجل انقاذ الطبقة

العاملة التي كانت تفقد يوماً بعد يوم استقلالها وحريتها بــل وطــابعها الانساني وتظهر بمظهر الآلة المرتبطة بالماكنة العملاقة.

فلم تكن هذه الطبقة تملك ايّ شيء حتى انّها لم تكن تتمتّع بالحياة التي كان يتمتّع بها الفلاح القديم بل كانت تحصل لقاء عملها على اجرة لا تتجاوز القوة التي أخذتها منها الماكنة لكي تستطيع ان تستمر في عملها يوماً آخر كالفقير الذي يبيع دمه ازاء بطاقة تموينية تسدّ جوعه وتصنع له من الدّم ما يقدر أن يبيعه في اليوم التّالي ليبقى يعيش هذه الدوامة الرتيبة التي تسمّى بدالحياة».

وفي هذه الأثناء ظهر ماركس الفيلسوف الهيجلي الملحد الذي عاش بعد مرحلة النهضة في اوربا.

ماركس كان ينتمي الى طبقة برجوازية متوسطة وكان في الوقت ذاته ضحية التمييز العنصري والتعسف الديني بسبب انتمائه الى اسرة يهوديّة. وقد تزامن ظهور ماركس مع الحركات العمالية واسعة النطاق التي اجتاحت دول اوربا وخصوصاً المانيا وفرنسا وانجلترا ممهدة بذلك الظروف اللازمة لظهور المذاهب الاشتراكية والشيوعية والحركات النّقابية، وبالذات في فرنسا. عملت هذه المذاهب على تحذير الانسان من مغبة الانصهار في النظام البرجوازي السائد ووقايته من المسخ والانقياد لسلطة الماكنة ومناهضة ظاهرة التفريط برالعمل» الذي يعد الجوهر الحقيقي للانسان ومقاومة التوجه الاستغلالي الذي

كانت الماكنة تزيد في وحشيته يوماً بعد يوم والقضاء على الرأسمالية الفردية الداعية بشكل جنوني الى الحرص والطّمع والجشع...

وأيضاً القضاء على التضاد الطبقي الذي صنّف المجتمع الانساني الى فئات متخاصمة والعمل على انقاذ الطبقات الاجتماعية المحرومة خصوصاً عمّال المصانع من أغلال الماكنة وهيمنة رؤوس الاموال وايجاد مجتمع خالٍ من التضاد الطبقي والاستغلال والجشع واعطاء الأصالة «للعمل» لا لـ«رؤوس الأموال».

لقد دوّن ماركس في ظل هذه الظروف التاريخيّة والاجتماعية الحساسة، الاسس الأيديولوجية لنهضة انسانية ثورية مناوئة للنظام الطبقي الاستثماري معلناً ان انتصار هذه النهضة هو أمر حتمي وجبري زعماً منه بأن ذلك هو نتيجة حتمية للقوانين الاجتماعية والعوامل الماديّة الخارجة عن ارادة الناس ومشيئتهم. ومن ثم عمد الى قراءة التاريخ لكي يوحي بأنّ هذه القوانين هي قوانين علمية بحتة وانّ هذه الحركة هي المرحلة النهائية لسلسلة التحولات الجبرية التاريخية، مستنداً الى قانون الجبر المادي للتاريخ، وقام بتدوين فلسفة التاريخ مرتكزاً على هذا الاساس.

وامعاناً في اعطاء الأصالة والأهميّة للـنزاع الطـبقي الذي كـان نطاقه يتّسع بسبب ظهور الماكنة والرأسمالية الصناعية، ارجع ماركس أسباب جميع الحروب البشرية التي حدثت عبر التاريخ الى العوامـل الاقتصادية ونظر الى الحضارات والحركات الاجتماعية والمدارس الفكرية الانسانية وقصة الانسان من الزاوية التي كان ينظر منها هو في عصر الماكنة والرأسمالية واصالة الانتاج والاقتصاد (أي القرن التاسع عشر في اوربا الغربيّة). امّا بالنسبة الى الدّين فقد كان ماركس يرى في وجه المسيح نفس الملامح التي كان يراها في وجه البابا وهنا يكمن خطأه! فالبابا كان أشبه بقيصر الروم منه لى عيسى المسيح! الصياد الفلسطيني الحافي الذي كان تاج رأسه أكليلاً من الشوك وهو القائل: «لن يدخل خزّان الأموال الجنة حتى يلج حبل المرساة في سمّ الخياط».

ليس المقصود من البابا هو البابا في القرن التاسع عشر ولاحتى جهاز الكنيسة الكاثوليكية بل المقصود الطبقة الرسمية لرجال الدين الذين كانوا يتحكّمون بعقائد الناس على طول التاريخ وفي مختلف المجتمعات ويستخدمونها في تحكيم اسس نظامهم الظالم الذي يجعل من الاكثريّة ضحية لـ«نبل» الاقليّة الحاكمة. وهذا هو السبب الذي دفع بماركس الى اعتناق الماديّة كأساسٍ فكري للنظام الاشتراكي متوسلاً بذلك لنفي الدين الذي يشكل الاساس الفكري لهيمنة (النبلاء) وحكومة الاستبداد والتحجر، وليجتث بذلك جذور العبادة التي ترتكز عليها جميع الأديان.

إذا أراد الانسان ان يفكر بحرية ويشاهد الاشياء بوضوح

وبصيرة، فعليه ان يمارس بنفسه الكشف والتحليل والتحقيق ويبجتهد حتى يتوصّل الى حقائق الأمور ويحذر التقليد ويبجتنب اجترار قناعات الآخرين، وعليه ان لا يتأثّر بشخصية الأبطال والعظماء والقادة لأنّ الحق هو المعيار في تقييم الرجال وليس العكس، يقول أمير المؤمنين (ع): «اعرف الحق تعرف أهله».

اذن علينا نحن المثقفين المنتسبين الى مجتمع آخر وتاريخ آخر ووضع آخر ودين آخر وزمن آخر ان نحذر السقوط الى مستوى المؤمن العامي المقلد الذي يعمل برسالة مرجعه الديني العملية ويستفتيه في كل الامور. بيد ان هذا السقوط يبدو اليوم في عيون الكثير من اتباع «الموضة الفكرية» نوعاً من التجدد والتقدّم.

ان قيمة أفكار ماركس _ان كانت هنالك قيمة في افكاره _ تكمن في سعيه الى معرفة الحركة التي كان ينتسب اليها والهدف المقدس الذي كان يؤمن به وتحليلهما تحليلاً علمياً واعطائهما وجهة فكرية خاصة. فقد عمد ماركس الى كتابة التاريخ لصالح هذه الحركة وقام بتجهيزها بالفلسفة والمنطق وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم الانسان ومنح الطبقة العاملة التي كان يشعر بالمسؤولية تجاهها وعياً طبقياً وسلاحاً ايديولوجياً يمكنها من البقاء والاستمرار في طريقها.

اذن، فالتقليد العلمي والفكري لا يقتضي منا ان نكرّر اعمال ماركس بطريقة عمياء ونأخذ بما أملاه علينا بعيون معصّبة، لأنّ هذا

النوع من التقليد يشبه كثيراً تقليد المريض الامي للطبيب المتخصص ويختلف تماماً عن تقليد الانسان السليم الذي يسعى ان يكون طبيباً كالطبيب الذي يعالجه وشتّان ما بين هذين النوعين من التقليد. لقد كان ماركس يرى الدين في وجه البابا ومحيّاه ويعتقد انّ دور الدين في المجتمع ليس بأكثر من الدور الذي لعبته الكنائس في القرون الوسطى. والسرّ في ذلك انه لم يكن يرى سوى الأديان الحاكمة على التاريخ فقد كان يرى دين موسى في حكم «الحاخامات والاحبار» ورسالة عيسى في نظام الكنائس واسلام مجمد في سياسة الخلفاء والتشيع العلوي من خلال الحكم الصفوى.

فإن أردنا أن نقلد ماركس في رؤيته هذه لن نكون اشتراكيين ولا مفكرين أصحاب حق بل سنكون مقلدين أذلاء اغلقوا عيونهم وآذانهم وخسروا انفسهم وفقدوا الثقة بها وسُلب منهم حق الرَّأي والاستقلال والقدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، بـل سنكون قـد انكـرنا المسلّمات ومسخنا الحقائق ورفضنا الإيمان بكل شيء حتى بأعـيننا وآذاننا وإدراكنا وفهمنا.

ان معرفتنا بالتاريخ والدين هي اوسع واعمق بكثير مماكان يعرفه المفكر المادي في القرن التاسع عشر. فقد كان المفكر المادي أنذاك يرى الدين من منطلق كونه وليداً للجهل والخوف والنظام القبلي او النظام المادي والفكري الحاكم على المجتمع بينما نستطيع نحن اليوم

ان نفصل بين نظرتنا الى الدين كقابليّة انسانية وبعد انساني خاص وبين نظرتنا اليه بصورته العينية المتحققة في ظلّ النظام الاقـتصادي _ الاجتماعي ومرحلته التاريخية الخاصّة.

ان الدين هو شعور ينبثق عن وعي الانسان ومعرفته بنفسه ويدعو الانسان الى الكمال عن طريق تقديس القيم السامية من قبيل: الجمال والخير والبصيرة واللطف والابداع والارادة والحريّة والمعرفة والكمال والهداية والعزة والعدالة والحق ومناهضة الظلم والجهل والضعف والذلّ و... وتجتمع كل هذه القيم في اطار التوحيد الذي يعدّ أكثر الأطر الدينية شمولاً، في معبود واحد وهو الله تعالى عز وجلّ

اما اذا استغلّ الدين من قبل السلطات الحاكمة لحفظ مصالحها فستحصل أسوأ فاجعة يسحق فيها الانسان في الانظمة المعادية للانسانية ويصبح الدين شهيداً في سجّلات التاريخ.

ان رسالة المفكّر الحر تتجلى في العمل على انقاذ هذه الضحيّة واحياء شهيد التاريخ هذا لا نفيه وتكذيبه وتلويثه، فإن لم يقم المفكر الحر بذلك فانّه يكون شريكاً لأعداء البشرية من الجلادين والسحرة والكهنة والفراعنة الذين اغتالوا الدين وأردوه قتيلاً خدمة لمصالحهم الطبقية الضيقة.

نعم، لقد لعبت الاديان الرسميّة دائماً دوراً طبقياً قذراً ضد الناس والانسانية ولصالح الطبقات الحاكمة، ولكن ألم يكن للفلسفة والعلم

والفن والأدب والصناعة نفس هذا الدور عبر التاريخ؟

اذن ماذا على المفكر المسؤول ان يفعل؟ هل عليه ان يحرر هذه القيم من الاستئثار الطبقي ام عليه ان ينفيها من الاساس ويقف بوجهها بشكل مطلق ؟

لقد كان العلم والفن والصناعة والعمران في خدمة اصحاب القصور ولم يكن للطبقات المحرومة اى نصيب من العلوم والفنون ، ولكن ألا يدعو الى السخرية ان نقرر اليوم الوقوف بوجه العلوم والفنون كونها كانت تخدم الطبقات الحاكمة فقط؟!

ان علماء الاجتماع يعتقدون اليوم اكثر من المسلمين أنفسهم بأن الاسلام هو دين اجتماعي واقعي يؤمن بالطبيعة والاقتصاد والاجتماع بل هو دين سياسي بحت، فقد عد القرآن الكريم «القائمين بالقسط» في عداد «الانبياء» و «حزب الله الغالبين» ووعد المستضعفين الذين سحقتهم الانظمة اللا انسانية بإمامة الناس ووراثة الأرض مشيراً الى ان هذا الأمر سيتحقق لا محالة وانه امر جبري ومحتوم، وقد كان النبي (ص) يؤكد على الحياة المادية بصفتها مقدّمة جبرية للحياة المعنوية ويعلن رسميًا أن:

«من لا معاش له لا معاد له» وقد وقف (ص) حياته في سبيل تحطيم نظام الترف الفكري والاجتماعي والاخلاقي والاقتصادي. فكيف يمكن مقارنة هذا الدين مع الدين الصّوفي الذي يعتقد بأنّ فوز

الانسان وفلاحه لا يتحقق الا بالزهد والعبادة والرياضة والانزواء واعتزال المجتمع والمصير الاجتماعي بل حتى نسيان المجتمع والعالم؟! وكيف يمكن الحكم على هذين الشيئين المتناقضين والقطبين المتضادين بحكم واحد؟!

فهل يمكن ان يكون هنالك مفكّر عاش المجتمع الاسلامي وحصل على حد أدنى من المعرفة عن الاسلام ولم يستطع التمييز بين الاسلام (الدين الحاكم في التاريخ) والاسلام (الدين المحكومة والضحيّة والشهيد) وهل يصح له ان يصدّق بأن الخلافة الامويّة والعباسية والحكومات الوارثة لها هي اتسمرار حقيقي لرسالة نبي الاسلام (ص)؟!

ان هذا الاعتقاد هو بدرجة من السذاجة بحيث اننا لا نجده الا بين العوام الذين كانوا ضحية لأجهزة اعلام الجبابرة ومن المستحيل ان نراه بين المفكرين الواعين الذين يعرفون تاريخهم حق المعرفة.

ان الفكر والايديولوجيا يختلف تماماً عن الطب والتكنولوجيا ولا يمكن اقتباسه من نتاجات الآخرين ومن مخطوطات علماء اوربا، الفكر هو الوعي وامتلاك عينين بصيرتين قادرتين على رؤية الحقائق. والخطوة الاولى لكي يصبح الانسان مفكّراً هو التعرّف الدقيق والحقيقي على التاريخ والثقافة الذاتيّة.

فهل يصح لأي مفكر معتدل ان لا يرى الاسلام في حياة محمد

ورسالته ومسؤوليته ويتخذ اعمال وممارسات أجهزة الخلافة معيارأ في حكمه على الاسلام؟ وهل يصح له ان لا يسرى عمليّاً (ع) الذي لم يعش اي انسان ثوري في العالم مثل حياته ولم يقاتل اي انسان مثل قتاله ولم يحكم اي انسان مثل حكمه، ويتّخذ وعاظ السلاطين معايير في تقييمه وحكمه؟ وهل يسوغ له أن لا يعرف أباذر الذي راح ضحية للصراع مع الرأسمالية والطبقة الحاكمة المستجدة ويتخذ عشمان الذي قضى عليه، منطلقاً لفهم الاسلام ومعرفته؟ وهل يصحّ له ان لا يعدّ بلال الحبشى الذي كان يرى في الاسلام حريته من الرقّ كمصداق اجتماعي بارز لدين التوحيد، ويعدّ عبد الرحمن بن عوف الذي كان يمتلك الف غلام وجارية مصداقاً عينياً لهذا الدين الحنيف؟ وهل يصح ، له ان يتّخذ سلسلة الخلفاء والسلاطين الذين ورثوا الجاهلية وقلدوا الأكاسرة والقياصرة ويغض النظر عن سلسلة الشهداء من ابناء النهضة الاسلامية الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقضوا نحبهم في سبيل اعلاء كلمة الله في الارض؟ وهل هنالك مفكّر لا يعلم اليوم انّ جميع الاديان الكبيرة كانت في باديء الامر تمردًاً وعصياناً على القوى الحاكمة وثورة لانقاذ الناس من السلطة والعبودية؟ غير ان النظام الطبقي الحاكم يمسخ لصالحه دائماً ثمار الحركات الاجتماعية ويستخدمها من أجل تحكيم وجوده وتثبيت سلطانه ... ألم تصبح «الاشتراكية الديمقراطية» في اوربا اكبر مدافع ومحافظ على النظام الرأسمالي وأقوى مانع لحصول الثورة العمالية العارمة رغم انّ الاشتراكية والديمقراطية كانتا ثـمرتي ازكـى الدماء واعز الشهداء وأرقى الرسالات الفكرية التحرريّة البشريّة؟

فلو لم يكن البابا وماركس لأثمرت النهضة العارمة المعارضة للنظام الطبقي الرأسمالي الاستغلالي التي تطالب بإنقاذ الانسان وتحريره من قيود الماديّة العمياء والبرجوازية البشعة وتمكينه من تكوين فطرته الانسانية الحقّة وعرض قيمه الوجودية وابـراز صـوره الاستعدادية بواسطة تحريره من قيود الجشع والعمالة وتدوين فلسفة تاريخه لا على أساس نفى الدين بل على اساس ربط هذه النهضة الانسانية العارمة بنهضة الأنبياء الدين بعثوا من بين صفوف الناس وحطّموا بفؤوس التوحيد آلهة الشرك والأصـنام التــى كــانت رمــوزأ للتفرقة العرقية والقومية والطبقية والقبلية، ودعوا الناس الى الفلاح والحريّة والعدل والمساواة والتقوى ورفض الظلم والجور والجهل والخرافة والسحر والتعلُّق بالدنيا. وفي هذه الحالة ستنتصر الحقيقة وسترتكز الاشتراكية على الارادة والهدف المقدس الذي ينبثق عن عمق الفطرة الانسانية التي سعى الانسان الى تحقيقها طوال التاريخ بدلاً من ارتكازها على ألعوبة العوامل الماديّة الديالكتيكية العمياء التبي تعمل بشكل جبري ولا تتدخل فيها ارادة الانسان قط، وستكون الطاقة الدينية الهائلة في أنحاء العالم وخصوصاً فى العالم الثالث سنداً معنوياً وروحياً وفكرياً لهذه النهضة بدلاً من ان تكون سدًّا ومانعاً كبيراً تستغله

ايادي الاستعمار والرأسمالية.

فعلينا نحن المفكرين في هذا العصر وخصوصاً المفكرين في العالم الثالث وبالذات عالمنا الاسلامي ان نخلُّص أنفسنا من نتائج النزاع الفكري بين البابا وماركس ونربط الروح الثورية والهدف المقدس والنزعة الشعبية المطالبة بالعدالة والمناهضة للاستعمار والرأسمالية برسالة التوحيد التي طالما ناهضت الشرك بمختلف أشكاله الفكرية منها أو العرقية والقومية والطبقية، لنصل الى الغاية الكريمة المثلى وهي المساواة بين الناس في توزيع الثروة، ولكي ندوّن «فلسفة القدر التاريخي» بالشكل المطلوب ولكي نتبت للجميع انّ النظام الرأسمالي يجزَّء الانسان ويمسخه ويمثّل بــه وانّ الديــن الذي يــدعو الانسان الى التكامل والتحلّى بالقيم الاخلاقية المتعالية لا يمكن له ان يبقى في هكذا نظام بل سينعدم مع انعدام الماهيّة الانسانية ، فان لم يفعل فما هو بدين بل خرافة. وانّ الاشتراكية الحقيقيّة القادرة على صنع مجتمع عار من الطبقات لا يمكن لها ان تتحقق إلّا عن طريق الدين، لأنَّ الناس ما لم يتربُّوا تربية اخلاقية ومعنوية صحيحة تمكنُّهم من ايثار حقوقهم من اجل الوصول الى العدالة الاجتماعية سوف لا يكون بوسعهم صنع مجتمع تسوده العدالة الاجتماعية، إذ الحقوق ليست متساوية أبداً، وان النظام الماديّ (Materialism) يـؤول الى النظام الفردي (Indiridualism) لا محالة والعكس صحيح أيضاً. كما انّ الدين لا يمكن له أن يتحقق قبل ان يتخلّص المجتمع من قيود الطمع والاستغلال والاستثمار والفواصل الطبقية ففي هذا المجتمع وحده يستطيع الانسان ان يتخلّص من المسخ والاستحالة الى «شيء» في نظام الماكنة والرأسمال والذوبان في نظام المال والاستهلاك والتحوّل الى فريسة او حيوان مفترس في نظام العلاقات الطبقية، وفي هذا المجتمع فقط يستطيع الانسان أن يعرف نفسه ويتكىء على أصالة وجوده ويكوّن فطرة نوعه ويستعرض قيمه الانسانية المتعالية فتتكامل ذاته ويتخلّق بأخلاق الله ويصبح خليفته في الأرض وهذه هي دعوة الدين التي لا تتحقّق إلّا في مجتمع غير طبقي يرتكز على أساس «الكتاب والميزان والحديد» لا على أساس الجهل والتميييز والضعف وهذا هو معنى تحقق التوحيد في الحياة البشرية.



س: ان أغلب النصوص التي استندتم اليها في كتاب «معرد الاسلام »(١) في خصوص نقل وقائع تاريخ الاسلام هي من مصادر أهل السنة ، مع الأخذ بنظر الاعتبار ان تلك الوقائع لها تأثير اساسي في اصول عقائد الشيعة وان احتمال التحريف والتغيير في المصادر التاريخية لأهل السنة قوي جدّاً، لماذا لم تستندوا الى المصادر الشيعيّة في موارد الاختلاف أو تشيروا اليها في الهامش على الأقل؟ هل هناك دليل مقنع على اختيار هذه المنهجية؟

ج: نعم هناك أدلَّة عديدة:

ا _لقد قلت في مقدمة مقالة «من الهجرة الى الوفاة»، وهي جزء من كتاب (معرفة الاسلام) وفي كتاب «محمد خاتم الانبياء» أيضاً اني استندت في كتابة السيرة النبوية الشريفة غالباً على نصوص الاخوة أهل السنة وأتوقع من الاخوة أهل السنة أيضاً ان يستندوا على نصوص اخوتهم الشيعة في هذه المجالات (وخصوصاً في المجالات التي يوليها الشيعة اهتماماً خاصاً) فإنّه بهذه الطريقة فقط يمكن التقريب بين هذين

(۱) اسلام شناسی .

الأخوين اللذين تباعدا عبر القرون.

٢ ـ حاولت استخراج «ما يهتم به الشيعة» من مصادر اهل السنة، لأنّه لا يمكن الشك في اصالة العقائد المذهبيّة التي جاءت على لسان المذهب المخالف، وهذا ما دعاني لأرسم وجه الاسلام في كتاب «معرفة الاسلام» بخطوط شيعية اخذتها من علماء السنة، وانّها لعمري علامة بيّنة لأولى الألباب تدلّ على حقانية الشيعة واصالة مذهبهم. وقد عمل بهذه الطريقة الكثير من علماء الشيعة العظام من قبيل العلامة الأميني في كتابه «الغدير» والسيد شرف الدين في كتاب «المراجعات» وغيرهم من العلماء الأفاضل(١). وهذا هو سبب القيمة العلمية لنتاجاتهم، وهذه هي الطريقة الوحيدة لخدمة التشيّع واثبات أصالة هذا المذهب لأهل السنة ولكلّ من يرى التشيع مذهباً متأخراً أو يعتقد انّه من صنع العجم والايرانيين. إلّا ان هذا الأمر تحوّل اليّ «اتّهام» بالنسبة لى فقط ! لأنه انتشر بين الرعاع والمخادعين ومن ورائهم اولئك الذي يرتزقون على الجهل والتفرقة واستغفال الناس؛ الذين يسمون الخدمة خيانة والخيانة خدمة، ببساطة.

٣ ـ طبقاً للطريقة العلمية المتداولة فــي كــتابة التـــاريخ، يــجب

⁽١) حتى انّ آية الله محمد الصدر نقل جميع الروايات المتعلّقة بالامام المهدي (ع) في كتابه «موسوعة المهدي» عن النصوص والمصادر السنّية ولم يستند على كتب الشيعة ونصوصهم قط.

الاستناد على أقدم النصوص، أي أقربها الى زمن الواقعة من الناحية التاريخية. ان هذه الضابطة وان كانت غير دقيقة مئة بالمئة إلّا انّها تعدّ ملاكاً جيداً في تقييم النصوص التاريخيّة، وبما ان نصوص الشيعة في «التاريخ والسيرة» هي نصوص متأخرّة من الناحية التاريخيّة (بسبب الوضع السياسي المتأزّم الذي عاشه الشيعة عبر التاريخ) آثرنا اختيار نصوص اهل السنّة كونها أقدم تاريخاً من نصوص الشيعة.

٤ ـ ان اتهام جميع المؤرّخين والمفكّرين المسلمين الذي لا ينتمون الى المذهب الشيعي او لا تنطبق جميع عقائدهم مع هذا المذهب بتهمة المخالفة لأهل البيت هو أمر بعيد عن الأنصاف والدقة.

إلّا انّ تلقين العدوّ الأجنبي الذي لا ينتمي الى ايّ من المذهبين لا السنّي ولا الشيعي جعل أغلب الناس في بلدنا يحملون هذا التصور الخاطىء. علينا ان نعلم انّ مخالفي العترة الشريفة هم النواصب (كانوا أقلية صغيرة ولم يبق منهم إلّا الندر اليسير) وهناك بعض المغرضين وعدد يسير من أهل السنّة ممن تأثّروا بتلقين النواصب أو كانوا عملاء للأجانب والأعداء.

لقد حاول العدو طوال السنين الماضية ان يلقن الشيعة بأن جميع الأخوة أهل السنة هم من النواصب كما حاول ان يلقن السنة بان الشيعة هم من الغلاة القائلين بألوهية علي (ع) الفرقة التي يعتقد الشيعة انفسهم ببطلانها وشركها!

فإن قلنا انّ جميع المؤلّفين المسلمين وجميع الكتب الاسلامية المعتبرة هي كتب تخالف أهل البيت (ع) وزعمنا انّ فضائل على (ع) وحرمة الائمّة الأطهار (عليهم السلام) لم يعترف بها الا مؤلَّفو الاقليّة الشيعيّة وكتّابها، وانّ جميع المذاهب الاسلاميّة والعلماء والمؤرخين والمحدّثين المسلمين من غير الشيعة هم من المخالفين للامام على (ع) وأبنائه الميامين، فإننا نكون قد أصدرنا حكماً ظالماً لا أساس له من الصحّة، وقد يكون ناجماً عن عـدم اطـلاعنا أو قـلّة إنـصافنا وشـدّة عصبيّتنا، ومثل هذا الحكم ليس لصالح العقائد الشيعية وعلى خـلاف الحقائق الوثائقية المتّفق عليها والتي تشكل المباديء الأساسية لهـذا المذهب الحق، لأنّ كل من تمرّس على قراءة الكتب التاريخية وكتب الحديث الاسلامية الشهيرة يعلم ان جميع اصول العقائد الشيعية الهامة قد أوردت بدون استثناء في المصادر الرئيسية لأهل السنة وفي كـتب الحديث والسيرة والتاريخ والمنسوبة لغير الشيعة. وعندما نـرى ان جميع عقائد الشيعة موجودة في مصادر وكتب اهل السنة القديمة، أليس من التضعيف للشيعة ولمبادئهم ان نتهم جميع تلك الكتب والمصادر الاسلامية ونشكك في مصداقيتها جميعاً، زعماً بأنّ فضائل على (ع) والعترة الشريفة لم تذكر إلَّا في كتب الأقلَّية الشيعية ولم يُشَرُّ اليها في ايّ من المذاهب والكتب الاخرى سواءً العلمية منها أو التاريخية والروائيَّة والكلاميَّة والتفسيريَّة وان اشير اليها فــقد رُجِّــح فــيها مــثلاً

أبوبكر وعمر وعثمان على عليّ ورجّحت عائشة على فاطمة ورجّح الخلفاء على الائمة!

ان هذا الادّعاء ليس صحيحاً لأنّنا لا نجد في في وأهل البيت (ع) إلّا وقد وردت في هذه الكتب، وقد أشارت أكثر هذه الكتب الى أفضلية على وأهل البيت (ع) على مطلق الخلفاء والصحابة فيما وجّه الكثير منها ألذع الانتقادات الى الخلفاء ونقل الكثير منها عيوبهم وأشر على نقاط ضعفهم، وقد شمل هذا النقد كل الخلفاء حتى الشيخين وخصوصاً عثمان بن عفان.

0 ـ لقد انتقد بعض السادة ومنهم السيد الأنصاري القيمي أو (الآراكي؟) الذي كان يحاضر في جامع البزازين في ايام محرم في السنة الماضية، طريقتي في التحقيق والتي استندت فيها على الكتب التاريخية لأهل السنة وكان هذا النقد، النقد المنطقي الوحيد الذي تعرّضت له في التحقيق، إذ لم يراع أحد غير هذا الرجل المنطق والأدب في التحقيق، إذ لم يراع أحد غير هذا الرجل المنطق والأدب في التحقيق.

لقد عرض السيد الأنصاري في انتقاداته نقاط ضعف الكتب التي استندت اليها (حتى تلك التي ليس لها اي ارتباط بتحقيقاتي ككتاب صحيح البخاري...) وأثبت ان هذه الكتب تحتوي على احاديث ومضامين تاريخية ضعيفة (وحتى مزيّفة) متّبعاً بذلك الطريقة الرائعة التي اتّخذها العلامة الأميني في «الغدير» ثمّ قال مـتسائلاً: هـل مـن

الصحيح ان نجعل هذه الكتب مصادر لتحقيق؟

انّ هذا الرأي هو رأي صحيح بنسبة خمسين بالمئة، والصحيح فيه هو وجود المضامين الخاطئة والأحاديث الضعيفة او المـزيّنة فـي تلك المصادر، إلّا ان النتيجة التي خرج بها السيد الأنصاري تبدو غير صحيحة من وجهة نظري لأنّ اختيار المحقّق لبعض الكتب كمصادر في تحقيقه لا يعني بحال انه يؤيّد كلّ ما في تلك الكتب بدون استثناء بل انّه يؤيد الشيء الذي نقله من ذلك المصدر لا أكثر ولا أقل. ولو كان استنتاج السيد الأنصاري صحيحاً لما استطاع اي كاتب او محقق (في أي مجال) أن يجد كتاباً يستند إليه ويتّخذه مصدراً في تحقيقه لأنّنا لا نعرف كتاباً يتّصف بالعصمة من ناحية السند أو الدلالة سوى كتب الوحى التي لم يسلم منها من التحريف إلّا القرآن الكريم. وعندما يكون الحديث عن التاريخ يزداد الطين بلَّة لاننا لا نعرف كتاباً تاريخياً يمكن تصديق جمع منقولاته بدون استثناء.

ولكن عندما يصل الأمر التي يصبح الخطأ المطبعي ذنباً لا يغتفر ويلقن عوام الناس انه اذا ارتكب شخص من امثالي خطأً في احد كتبه او محاضراته فإن كتابه بل جميع كتبه وحتى وجوده سيكون جريمة وكفراً كما صرّح احدهم بقوله ان شاباً مسلماً مؤمناً اراد ان يذهب ويخلص الناس من وجوده _أي وجودي أنا _بطعنة خنجر، بينما نرى في منطق الدين العلمي انه اذا اخطأ المحقق في رأيه _حتى لو كان

مجتهداً وفقيهاً ومرجعاً لتقليد كلّ الناس وبسبب خطأه يخطى الملايين من الناس _ فإنّ له اجراً في عمله : «للمصيب أجران وللمخطىء أجر واحد»!

7 _ لقد ذكرت في مقدمة كتاب «معرفة الاسلام» اني اردت ان ارى النبي (ص) في المدينة المنورة من أقرب فـ اصل زمـني لأكـتب سيرته بطريقة كأنّي كتبتها قبل ألف سنة (معرفة الاسلام ص ٤٥١) فهل يوجد مصدر بهذا القدم والاعتبار سـوى سـيرة ابـن هشـام وتـاريخ الطبرى؟

٧ ـ لقد ذكرت في تلك المقدمة: «اني تصرّفت عن وعي في الاستناد على المصادر القديمة التي يرجع تاريخ بعضها الى أكثر من ألف سنة لأنني اعلم ان أقدم مصادرنا التاريخية دوّنت في زمن الحكم الأموي والعباسي وان الخلفاء والسلاطين في هاتين الحكومتين كانت لهم اليد الطولى في تحريف الحقيقة والعلم والدين لصالح حكمهم مستخدمين بذلك سياسة الترغيب والترهيب تارة، والخطط الماكرة أخرى كما كنت على حذر أيضاً من ان السياسة التي ترتكز على النظام القبلي و تجعل الدين آلة لها هي اسوء آفة تصيب «الدين والتاريخ». ولذلك سعيت قدر الامكان الى ان اصون نفسي من الألاعيب السياسية الاموية العباسية التي أرعبت كبار مؤرخينا تارة وجعلت منهم عملاءً لها أخرى.

٨ ـ لقد استندت في كتابة السيرة النبويّة الى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري، وقد ظنّ البعض انّ هذين الكتابين كانا المصدر الوحيد في كتابة كلّ السّيرة النبويّة، ولا عجب في ذلك لأنّهم قد لا يعرفون شيئاً عن فنّ كتابة التاريخ فانّ هذا المنهج في كتابة التاريخ يوول الى موضوع معقّد تختلف فيه الآراء وهو نفس المنهج الذي يستخدم في تصحيح الكتب ذات النسخ المتعدّدة والمشتتة لكي ينتضاءل احتمال الوقوع في الخطأ الى مستوىً معقول. (١)

ومن المثير للدهشة هو ان نص السيرة النبوية التي دونتها في ثلاثة فصول «من هو محمد ؟»، «تحليل شخصية محمد » و «ملامح محمد » تختلف تماماً من ناحية الروح والرؤية والحكم والتحليل عن سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري، وامّا من ناحية الأخبار ونقل الحوادث العادية او الحوادث المتفق عليها في حياة النبي (ص) (من قبيل شرح

⁽۱) كما يستند الفقهاء في المدهب الشيعي الى الكتب الاربعة: «الكافي» ، «التهذيب »، «الاستبصار » و «من لا يحضره الفقيه » في الوصول الى الحكم الشرعي ، غير ان هذا لا يعني انهم يقتبسون مضامين هذه الكتب او يترجمونها او ينقلون الفتاوى بل انهم يجتهدون في الوصول الى الفتوى ويرفضون بعض المضامين المنقولة في هذه المصادر بل ينكرونها بشدة من قبيل القول بتحريف القرآن الذي ورد في كتاب «الكافي»، (المقصود بتحريف القرآن هو حذف بعض الآيات القرآنية من القرآن الكريم حيث نقل كتاب «الكافي» وبعض الكتب الأخرى رواياتٍ في هذا المجال ، ولم ينزعم أحد إضافة شيء الى القرآن).

الحروب وتوقيع الاتفاقيات والحوادث والاوضاع العامة...) فــليس هناك خلاف بين المذهبين السّني والشيعي وان كان ثمة خلاف فهو نادر ولا يرتبط بالمذهب الشيعي أو السّني، وأما بالنسبة لموارد الاختلاف التي هي محل اهتمام السّنة والشيعة والتي ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بقضايا خاصّة تتعلّق بالمذهبين فقد اجتزت فيها حدود هـذين الكتابين بل جميع كتب اهل السّنة ولم أبحث في الكتب التاريخية الشيعية فحسب بل بحثت في كتب التفسير والحديث ونصوص كـتاب نهج البلاغة وحاولت العثور على الحقائق التاريخيّة كما هي. ولو ألقي القاريء المطلع نظرة عابرة على كتاب «معرفة الاسلام» ورأى مضامين من قبيل: على في معركة احد (ص ١٨٣)، على في حنين (ص ٣١٨)، غضب على (ص ٣٦٠)، مهمة على الخاصة في ابلاغ البراءة (ص ٣٨٠)، قدوم على من اليمن واستثناؤه (ص ١٩)، مصير الامّة بعد النبي (ص ٤٢٣)، الإمامة وعلى (ص ٤٢٧)، عصبة أبي بكر في وجه على (ص ٤٣١)، غدير خم ونزول آية تكميل الدين بعد خطبة الغدير (ص ٤٣٢)، المماطلة في ارسال جيش اسامة (ص ٤٣٣)، احتضار على للصلاة (ص ٤٤١)، طلب القبلم والدواة للبوصيّة (ص ٤٤٣)، التآمر للحيلولة دون تدوين الوصية، نداء النبي الصامت، رأس النبي في حجر علي (ص ٤٤٦)، لم يجب أحد سوى على (ص ٤٩٠)، عصبة أبي بكر (ص ٤٩٣)، أبو ذر (ص ٤٩٥)، على وأبو ذر (ص ٥٨١)... لأدرك مدى

استقلالي عن كتب أهل السّنة ومدى نجاحي في استلال مباديء الشيعة من لسان وقلم أهل السنة ومصادرهم الرئيسية، ولأدرك السبب الذي جعلني أكتب أحد فصول الكتاب تحت عنوان «موت النبي» وأشـرح أحداث السنة الأخيرة من حياته في هذا الفصل وكيف انّــى سـعيت بشكل مباشر او غير مباشر الى عرض ملامح عليّ في وجه النبي (ص) وحاولت ان اعرض حقيقة اهتمام النبي بعليّ وعنايته بــه فــي كـــلامه وعمله وجميع حالاته وتصرفاته وحتى قراراته السياسية والعسكريّة، خصوصاً في السنة الأخيرة من عمره، وسيرى القاريء ايضاً انّ قلمي واسلوبي يتغيّر عندما يكون الحديث عن على (ع) وان كلماتي تكاد ان تطير شوقاً عند وصفه وتوشك ان تلتف حول نفسها ألماً عند بيان آلامه واحزانه وسوف يرى ان الذين حاولوا ايهام الناس بانّ هـذا الكـتاب يتنافى مع الفكر الشيعي هم بعيدون كل البعد عن الانصاف مهما كان دافعهم وهدفهم.

س: هناك شائعة تقول أنّكم لا تؤمنون بخلافة الامام على (ع) طبقاً لحديث غدير خم المروي عن النبي (ص) غير انّ كتابكم «معرفة الاسلام» يفند هذه الشائعة. الرجاء الافصاح عن رأيكم في هذا المجال بشكل صريح وبدون أي ابهام:

ج: أعوذ بالله! فكتاب «معرفة الاسلام» موجود وقصة الغدير مذكورة فيه بوضوح وقد أثبتُّ في الكتاب عدم كفاءة اي شخص كان يحتمل ان يلتف الناس حوله بعد وفاة النبي (ص) مشيراً الى ان علياً (ع) هو الشخص الوحيد الذي يليق به ان يحرز هذا المنصب وذكرت في الكتاب قصة الغدير بحذافيرها.

ان شخصاً مثلي اذا اراد الافصاح عن رأيه وافكاره في الله والغدير والنبي والقرآن والامام وعلي وعمر وأبي ذر وعبد الرحمن بن عوف والحسين والامام الموعود والدّجال والدعاء والحبج والامامة والعدل و... فليس امامه سوى «الحديث» و«الكتابة» ولكن كيف به لوكان الناس في مجتمعه لم يعودوا انفسهم على «الاستماع» و «القراءة»؟!

مثلاً انهم يقولون: انك لم تطرح مسألة الولاية بشكل واضح وصريح ولم تتحدث عن حق علي (ع) بشكل واف عندما تحدثت عن الشورى في فصل «قواعد الاسلام» في كتاب «معرفة الاسلام» وهذا كلام صحيح غير انّي ذكرت في مقدمة الكتاب أني أخذت هذه «القواعد» من «فريد وجدي» وانما تشكّل مجموعة دروسي الاكاديميّة في تاريخ الاسلام في النصف الأول للسنة الدارسية وقد خصصت النصف الثاني من السنة الدراسية للبحث في الولاية والامامة وموضوع السقيفة. وقد طبع هذا البحث ونشر في الأسواق.

صحيح اني لم اذكر شيئاً عن الولاية والامامة في هـذا الفـصل الذي نقلته عن فردى وجدي غير انى كتبت عشرات الصـفحات فــي نفس الكتاب فى بحث السيرة النبوية وذكرت عشرات المرّات فضيلة

على وحقه وامامته وعرّضت بضعف الخلفاء وعصبة أبى بكر وضرورة العمل بوصية النبي (ص) ونقلت قصة الغدير بتفصيل واستنكرت مـبدأ البيعة والشورى والنظام الديمقراطي في الحكم. ثمّ اني كتبت بعد كتاب «معرفة الاسلام» أكثر من ألف صفحة عن امامة أهـل البـيت وعـقائد الشيعة وتاريخهم وقد طبعت هذه الكتب أكثر من مرّة وبأعداد غفيرة جدّاً، كما سجّلت لي محاضرات عديدة في هذا الموضوع قد يـتجاوز عدد ساعاتها عن الخمسين ساعة ووزّعت آلاف الاشرطة المسجّلة في انحاء هذا البلد بحيث يعرف كل اطفال المدارس ــممّن ألقي السمع وهو شهيد ولم يكن له اي غرض او مرض ـ شيئاً عن آرائي وافكاري في المذهب الشيعي كما ألقيت في السنوات الستّ الماضية في حسينية «الارشاد» أكثر من مئتى محاضرة حول الشيعة والولاية واهل البيت (ع) وقد سجّلت كل هذه المحاضرات ووزّعت في الاسواق ويمكن الحصول عليها أو تسجيلها بكـلّ سـهولة. كـما كـانت جـميع الفعاليات المسرحية التي اجراها الطلبة الفنّانون في الارشاد بـدون استثناء تختص بالمذهب الشيعي من قبيل: أبي ذر الغفاري، الحسين وارث آدم، ثورة المعدومين الشيعة (سربداران)، ثورة التوابين و...

وأما في موضوع مسألة الولاية فانّ الكتاب الوحيد الذي كـتب بلغة علميّةٍ وبأسلوب سلس وارتكزت مضامينه على اساس الدراسات التاريخية والقرآن والسنة النبوية الشريفة، (لا عـلى اسـاس التـهريج والسب والشتم والافتراء والاستناد الى امور تتنافى مع روح الاسلام والتشيّع والعقل السليم وتسبّب الاساءة للشيعة وهـتك حـرمتهم) هـو كتاب (الخلافة والولاية من وجهة نظر القرآن والسّنة) والذي نشــرته حسينية الارشاد حيث يضمّ هذا الكتاب بين دفّـتيه مـوجزاً مـلخصاً للدراسات العميقة التي قام بها الاستاذ محمد تقى شريعتي والتي تشتمل على أقوى الدفاعيّات العلمية عند الشبيعة وأكثرها منطقاً، فـقد ردّ الاستاذ في هذا الكتاب جميع الاتهامات والشبهات التي طرحها المخالفون خلال القرون الاربعة عشر الماضية مراعياً بذلك الانـصاف العلمي وأدب الجدل ومستنداً الى القاعدتين الرئيستين اللتين تـتّفق عليها جميع المذاهب الاسلامية. وقد اثبت الاستاذ للأخوة السنّة ولمفكرينا الشيعة ممن تأثّر منهم بأبواق العدؤ وإعلامه أو حمل افكاراً سلبية ازاء مباديء التشيع العلوي بسبب الانحراف والتخلّف الاجتماعي والفكري والاعلامي الذي يعاني منه بعض دعاة الدفاع عن هذا المذهب ... اثبت لهم انّ المذهب الشيعي هو الروح الحقيقية والمنهج القويم للاسلام وان المثقّف الحرّ الذي جعل من القرآن والسنّة قدوة له وتعرّف على روح الاسلام والعدالة في التاريخ واستطاع ان يـخلّص نفسه من شتى القيود سواءاً خلافة بني امية وبني العباس أو الحكومات التى ورثتها أو الخطط والمؤامرات الاستعماريّة التي زرعت بذور الفتنة والتفرقة بين المسلمين، سيأخذ طريقه شاء أم أبى الى بيت فاطمة وسيسمع الاسلام من لسان علي تاركاً وراءه قصور الظلم في دمشق وبغداد ومساجد الضرار والمصاحف المرفوعة على الرّماح.

إلا ان هذه الجماعة المبتلاة بداء التحجّر والانغلاق لاتزال تنهال علينا بأنواع التهم والافتراء وتعكّر الاجواء خدمةً للاعداء رغم كل الجهود العظيمة التي بذلت في هذه المدّة القصيرة ورغم ان هذه النهضة الاسلاميّة التقدمية المرتكزة على رؤية شيعيّة علويّة تحرريّة قد لاقت اقبال المفكرين وأصحاب القلم وخصوصاً الشباب المثقف والطلبة الجامعيين داخل القطر وخارجه، ورغم جميع الأدلّة والقرائن والمحاضرات والأعمال المسرحية والاجتماعات وملتقيات البحث والنقد والدروس والمعالم الواضحة والنجاحات الباهرة التي أذعن لها العدوّ والصديق.

اذن ليس بوسعنا إلّا ان نتحدث ونكتب ونرد على اشاعات الأعداء والمغرضين والأنانيين والانتهازيين واولئك الذين يسمون أنفسهم «مؤمنين» غير انهم لا يجيدون ما يمنعهم من الطّعن والتنكيل بمن وقفوا حياتهم في سبيل «الايمان» بل حتى تكفيرهم قبل قراءة ما كتبوا أو الاستماع الى أحاديثهم مكتفين بالاستناد الى المعلومات والاخبار والتّهم الصادرة عن مصدر مشكوك ومجهول وموهوم اسمه «قالوا»!

أريد أن أقول لهؤلاء الاخوة : اخوتي، نـحن جـميعاً ضحايا

لمؤامرة واحدة فنحن وايّاكم يجمعنا ايمان واحد وألم واحد وطريق واحد، فكلّنا مسلمون وكلّنا نؤمن بكلّ وجودنا واخلاصنا بالعترة الشريفة وكل هذه الاشاعات هي من أجل ان لا نتعرف على بعضنا وأن لا نقف وقفة واحدة في وجه عدونا المشترك.

ولهذا نرى ان تدوين الآلاف من الصفحات والتحدث مئات الساعات في اثبات التشيع والامامة والوصاية لا يغني شيئاً وان كل ما كتبته وتحدثت به في موضوع العترة الشريفة والاخلاص لها وجميع آرائي العلمية والعقائدية والتاريخية الجديدة في موضوع عظمة علي (ع) واصالة مدرسته لا تدلّ بمكان على انتمائي للمذهب الشيعي! حسب ما تراه هذه الجماعة التي تحكم على الناس بدون مطالعة كتبهم والتدقيق في امورهم بل تستند في حكمها على اخبار وكالة (قالوا)!

اذن عليّ أن اقلد استاذي الحبيب أبا ذر الغفاري الذي أخذت منه اسلامي وتشيّعي وهدفي وألمي ومحنتي وشعاري وأشاركه في صرخته التي هزّت المدينة والشام وفي تطرفه الذي لم يراع فيه «المصالح»! فلم يجلس أبو ذر جلوس أهل العلم والتحقيق والنقد ليطرح «الحقائق» في لفيف من العبارات الغامضة وأمام العلماء والخواص فقط رعاية للمصالح بل نراه يحمل عظماً يجده في الزقاق وينذهب الى خليفة رسول الله ويصرخ بوجهه:

«يا عثمان انّك انت السبب في فـقر الفـقراء وغـنى الاغـنياء»

ويصرخ في وجه كعب الاحبار صاحب الجلالة والاحترام والرجل العالم بالدين عند اليهود والاسلام والذي كان مرجعاً للصحابة في تفسير القرآن وفهم الاسلام: «يا ابن اليهودي أتريد ان تعلَّمنا ديننا؟!» ثم يضربه بعظم البعير _سلاحه الوحيد _ويشجّ به رأسه لينفي الى الشام حيث معاوية وقصره الأخضر ليصرخ بوجهه هو الآخر : يا معاوية ان كان هذا القصر من مالك فهو اسراف وان كان من مال الناس فهو خيانة! ويذهب الى المسجد ليقرآ آية ﴿والذين يكنزون ﴾ ويروى الأحاديث التي لم تكن المصالح تقتضي روايتها ويصرّ عــلى قــراءة هــذه الآيــة ورواية تلك الاحاديث ليثير غضب كبار الصحابة واصحاب المراكز القويّة في السلطة من المهاجرين والانصار ممن اشتركوا في غـزوات الرسول وكانت لهم سابقة طويلة في الاسلام. اتّهموه بالكفر والعصيان والتمرد على قوانين الشرع والخروج من الاسلام والسعى الى بث التفرقة بين المؤمنين وزرع بذور الاختلاف بين المسلمين، بقى وحيداً بعد ان نفاه خليفة الاسلام من المدينة وواليه من الشام وسلقه أصحاب المصالح من الشخصيّات الاسلامية بألسنة حداد واتهموه بالارتداد عن الدين والكفر بالله ورسوله والقرآن والمعاد!

قبل سبعة عشر عاماً وعندما كنت أكتب قصة أبي ذر ووصلت الى الوقت الذي نفي فيه من الشام الى المدينة، كنت استغرب من كلامه عند ما خاطب الناس ممّن جاء منهم لتوديعه قائلاً: ايها الناس اتى اشهد ان

لا اله إلَّا الله واشهد انَّ محمداً عبده ورسوله!

ولكننى أعلم الآن لماذا فعل ذلك ؟ لأن أهل الشام كانوا جميعاً ضحايا لإعلام معاوية المضلّل وكانوا قد أخذوا اسلامهم من اجهزته الدعائية والتي كانت تبلّغ للاسلام والشخصيات والحوادث الاسلامية بالشكل الذي تقتضيه مصلحة معاوية ونظامه وطبقته، وهذا هو السبب الذي جعل الناس يتساءلون بدهشة عندما أخبروا بمقتل عملي فسي المسجد، فماذا كان يفعل على في المسجد؟ أكان يصلى؟! ثم اننا نعلم ايضاً انّ الامام السجاد وعمته زينب (ع) عندما دخلا مدينة دمشق وهم يسيرون امام القافلة لم يكن الناس يعرفونهم بل كانوا يشتمونهم للحصول على الثواب لأنهم كانوا يظنّون انهم من الخوارج الذين يريدون زرع بذور الفتنة. ان اسلام أبي ذر وقرآنه كانا يهددان النـظام الأموي من جهة، ويعرّضان للخطر مصالح الخطباء والمفسّرين والفقهاء والصحابة وائمة الجمع والجماعات ممن كانوا ينتمون لهذا النظام من جهة اخرى، وهذا هو السبب الذي جعلهم يتّهمونه بالكفر والارتداد لانها اسهل طريقة للتخلص منه. كما انّ افضل تهمة في المجتمع الشيعي هي ان يتهموا الشخص بـأنّه ليس شيعيّاً بـل هـو مـن السـنّة والوهابيين!

وهذا هو السبب الذي جعل أبا ذر يضطر الى اعلان شهادته بعد خمس وأربعين سنة من القتال والجهاد في ركاب الرسول والخدمة

والتعليم في سبيل الاسلام، والأعجب من ذلك هـو مـا كـتبه الامـام الحسين (ع) في وصيته التي أعطاها الى أخيه محمد بن الحـنفية عـند تركه المديد فكانت هذه الوصية تبتدىء بهذه العـبارة: «انّ الحسـين يشهد أن لا اله إلّا الله ...» فاعتبروا يا أولى الأبصار.

ولذا أرى من الضروري ان اعلن بصراحة عن تشيّعي وعن اصول عقائدي التي كنت عليها طوال عمري وقدّمت في سبيلها شبابي وعشرين سنة من دراستي وكتابتي وكلامي وعملي وان اقول: «انسي المدعو على شريعتي المتّهم بجميع الاتهامات التي يقدر اللسان أن ينطق بها، اعتقد اعتقاداً كاملاً ب:

١ _وحدانية الله .

٢ _حقانية جميع الانبياء من آدم (ع) حتى محمد (ص).

٣_رسالة النبي محمد (ص) وخاتمية نبوته .

٤_ولاية الامام علي (ع) وامامته ووصايته .

٥ ـ العترة الطاهرة بصفتها باب العصمة الوحيد للوصول الى القرآن والسنة .

٦-ان اعلان النبي (ص) عن امامة علي (ع) ووصايته لم يتم في غدير خم فحسب، بل في واحد وعشرين مكاناً آخر استخرجتها ودر ستها جميعاً.

٧ ـ ان الشوري (البيعة والاجماع والديمقراطية) هو مبدأ اسلامي

الا انّه لا يعمل به إلّا في حالة عدم وجود المبدأ الأهمّ وهو الوصاية المستندة الى كلام الوحي ، وان التمسّك بهذا المبدأ في شورى السقيفة هو تعسّف باستعمال مبدأ من اجل سحق مبدأ آخر ذي اهمية اكبر وهو وصيّة النبي (ص) وحق علي (ع).

٨ ـ انّ النبي (ص) كانت له رسالتان: احداه ما ابلاغ الوحي (النبوة)، والثانية : بناء الامة (الامامة). وقد ختمت رسالته الأولى في زمن حياته (ص) إلّا ان رسالته الثانية كان عليها ان تستمر لعدة اجيال متوالية (لثلاثة قرون) تحت قيادته هو وأوصيائه الاثني عشر. بعبارة أخرى ان النبي (ص) كان خاتماً لرسالة «نبوّته» وانّ الائمة (ع) كانوا خاتمين لرسالة «امامته».

9 - لم يجر التاريخ حسب ارادة النبي (ص) وتنبؤه بـل اخذ ينحرف بعد السقيفة بالتدريج فانشعب الاسلام الى شعبتين رئيسيّتين: التسنن وهو الاسلام الذي سيّرته الطبقة الحاكمة وترعرع على يد الحكام والأئمة التابعين لهم، والتشيع وهو الاسلام الذي أخذ مجراه بين الأوساط المحرومة والناس المظلومين الناشدين للعدالة. فأصبح الأول اسلام الخلافة والتمييز والاستبداد والاستغلال، وظل الثاني اسلام الامامة والعدالة والحرية والمساواة.

١٠ ـ ان الخلافة هي التي انتصرت في التاريخ، ولم تتحقق الامامة على الصّعيد الاجتماعي فحصلت الغيبة .

الله الثاني عشر حتى الغيبة (ابتداءاً من غيبة الامام الثاني عشر حتى ظهوره في آخر الزمان) هو عصر مسؤولية الناس في القيادة الاجتماعية وهو العصر الذي يختار الناس فيه قائداً لهم تحت عنوان «نائب الامام».

١٢ ـ ان مبدأ «انتظار الفرج بعد الشدة» هو الايمان بدين الاعتراض والايمان ب «الفلسفة الجبرية للتاريخ» وزوال النظام الاجتماعي الظالم والتمييز الطبقي الجائر زوالاً نهائياً. فمعنى الانتظار هو ان قائم آل محمد (عج) ينتظر ثورة الناس على الظلم المهيمن على العالم وان الامام الموعود المنتظر المسلّح القائم الصمصام المنتقم الذي سيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً هو الذي ينتظر في الحقيقة ثورتنا.

17 _ ان القول بأن اصول المذهب الشيعي هما «الامامة» و «العدل» وان التوحيد والنبوة والمعاد هي اصول الدين الاسلامي، قول غير صحيح لأنه يستبطن اتهام الشيعة بأن مذهبهم هو الاسلام ومعه شيء آخر، بل اعتقد ان التوحيد والنبوة والمعاد هي الاصول الثلاثة للدين بمعناه الأعم لأن الدين الذي يفتقد احد هذه الاصول ليس دينا وان للأسلام أصولاً أخرى وهي «الإمامة» و «العدل» وان التشيع لا يعني شيئاً سوى الاسلام أي القرآن والسنة وان هذه المعادلة هي المعادلة الصحيحة:

التشيع العلوي = التسنن المحمّدي = الاسلام - (الخلافة السياسيّة + أنواع التمييز العرقي والقومي والطبقي).

١٤ ـكما اؤمن بالتقليد (بمعنى تقليد الناس للفقيه المتخصص في الفروع العلمية والاحكام الفقهية أو التقليد الفني والتخصّصي والعلمي لا التقليد العقلي والفكري ولا التقليد في اصول الدين).

10 ـ كما اؤمن بالتقيّة لا بسبب الخوف، بل حفظاً للإيمان ولا تشبّها بالبطّالين الذين لا يشعرون بأيّ مسؤولية بل تشبّها بالمؤمنين الذين يجاهدون سرّاً من أجل انتصار الحق والعدل والإمامة (مبدأ الكتمان في النضال) واؤمن أيضاً بتقيّة الشيعة في المجتمع الإسلامي الكبير تجاه المسلمين من أهل السنة كفاً للتطرف المذهبي والنعرات الطائفية وسعياً الى توثيق أواصر الودّ والمحبة وتحقيق الوحدة بين المسلمين ضد عدوّهم المشترك.

17 ـ وأؤمن بالاجتهاد بمعنى الجهد العلمي الحرّ الذي يبذله المتخصصون الواعون في البحث الدائم عن الحقائق الاسلامية والتكامل في فهم الاسلام والاجابة على المسائل المستجدّة والمطالب الاجتماعية الملحّة والمشاكل التي يواجهها الناس في كل عصر ومصر.

۱۷ ـ واؤمن بالمرجعية العلمية ونيابة الإمام لتصدي القيادة
 الفكرية والاجتماعية وتعبئة الطاقات وتوظيف القوى والامكانيات من

أجل نصر الدين والاهتمام بحياة الناس وتأصيل ثقافتهم الدينية والتاريخية.

۱۸ _كما اؤمن بدفع الزكاة وسهم الامام لتأمين الميزانية الاقتصادية من اجل ادارة المؤسسات العلمية والاجتماعية وتنفيذ البرامج والأهداف العلمية للمجتمع الشيعى (لا مجتمع الشيعة).

۱۹ ـ واؤمن باقامة مراسيم العزاء في شهر محرم وعاشوراء واحياء ذكر الائمة (ع) وتأسيس الصفوف والمجالس الدينية وحتى البكاء بمعناه الصحيح، وهو توعية الناس وتثقيف المجتمع واحياء رسالة الشهداء لا بمعنى كونه عادة وراثية سنويّة، لأنّ الشهيد حيّ يرزق ولا يحتاج لمن يبكيه، بل يحتاج الى من يسير على دربه، فالشيعي هو السائر على درب عليّ والحسين وزينب والعترة الشريفة، والتشيع هو عمل حقيقي، فهو لا يعني العبودية التي تتنافى مع التوحيد ولا يعنى أيضاً الحب لائه أمر عاطفى يفتقد الى المعرفة والعمل.

٢٠ _ كما اؤمن بشفاعة النبيّ والائمة الأطهار (ع) واؤمن حتى بتراب شهيد الحرية العظيم الامام الحسين (ع) كعوامل مهمّة في نيل «الأهليّة اللّازمة للنجاة»، لأنّه لا ينال الشفاعة في يوم القيامة الا من كان أهلاً لها(١).

٢١ ـ واؤمن بالدّعاء لا بوصفه وسيلة للـتحدير وبـديلاً للـعمل

⁽١) راجع الآية (٢٣) من سورة الرعد والآية (٨) من سورة غافر.

والمسؤولية وطريقاً للنجاة الفردية أو طريقاً فردياً للنجاة بل عكس ذلك أي بوصفه عاملاً قوياً في تنمية القيم الانسانية المتعالية وطرح المطاليب الرفيعة وتلطيف الأرواح من الصدأ والرّجس، ونرى الدعاء في أكمل أشكاله في مدرسة الامام السجاد (ع) يتجلى فيه «الحب والافتقار والوعى والنضال».

٢٢ ـ واخيراً اؤمن بالتشيّع العلوي تشيع الشهادة الأحمر لا تشيع العزاء الأسود .

س: لقد ذكرتم في كتاب «معرفة الاسلام» (طبع مشهد ص ٤٤٥) ان النبي (ص) ابتسم ابتسامة تدل على الرضا عندما رأى الناس يصلون مع أبي بكر وطلب منه ان يواصل امامته بل حتى انه ائتم به وصلى الى جانبه وهو جالس. هناك سؤالان في هذا المجال، اولاً: طبقاً لما ذكرتموه في هامش الصفحة (٦١٥) والرواية التي رويتموها في الصفحة ٢٤٥، كان النبي (ص) قد رشّح علياً (ع) للصلاة بالناس فهل تعتقدون حقاً ان النبي (ص) ينسى حساسيّة هذه الصلاة ويغضّ النظر عن احتمال التعسّف الذي ينجم عنها ويسمح لأبي بكر _رغم ارادته _ان يهيّيء نفسه لخلافة المسلمين وادارة امورهم ؟

ثانياً: هل تعتقدون أنتم (لو فرضنا صحة هذه الرواية) أنها دليل على موافقة النبي (ص) على امامة أبي بكر للصلاة أو خلافته في المستقبل؟

ج : هذا هو نصّ العبارة التي وردت في كتاب «معرفة الاسلام»:

«في صباح يوم الاثنين...اعانته صحوة الموت على النهوض من فراشه...رفع السّتار فشاهد الناس يصلّون مع ابي بكر...غَمَرَته الفرحة لأنّه شاهد المسجد والناس مرّة أخرى وألفى المسلمين وهم يحافظون على وحدتهم وعظمتهم رغم غيابه عنهم».

_كما تلاحظون _ان السبب في ابتسامة النبي وفرحته هو اتحاد المسلمين وعظمة صلاتهم ورؤية المسجد والناس بعد مرض طويل ألم به لا صلاة أبي بكر. إلّا ان افتعال كل هذه الضجّة والتهم والسبب الذي صيّر صلاة أبي بكر في هذا الكتاب كقميص عثمان هو قضيّة تاريخيّة وليست عقائدية.

فالمسلمون من أهل السنّة يقولون: ان أبا بكر كان اماماً للجماعة في ذلك اليوم بينما ينكر الشيعة هذا الأمر.

ان اهميّة هذه الصلاة هي بسبب تشبّث أهل السنة بها لفقدهم للأدلّة والبراهين الكافية تبعاً للمثل القائل «الغريق يتشبّث بقشة»، فهم يستندون الى حديث شخص ما (عمر او شخص آخر) اذ قال آنذاك:

«سنختار لدنيانا من اختاره النبي لديننا».

هنا يمكننا الاحتجاج مع اهل السنة بطريقين: الأوّل هو انّ أبا بكر لم يصلّ بالناس في ذلك اليوم، بل انّ النبي (ص) هو الذي وقـف للصلاة بنفسه. إلّا أنّ هذا الاحتجاج لا ينتهي إلى أي نتيجة لأنّ طرفي النزاع سيستند كل منهما الى كتبه واسانيده الخاصّة ولن يقتنع بما يحتج له خصمه.

امّا الطريق الثاني فهو ان نفترض _ مماشاة للخصم _ انّ أبا بكر صلّى بالناس فعلاً ثم نتساءل: أوّلاً: هل يحقّ للناس الذين اقتدوا بصلاة أبي بكر ان يختاروا الخليفة؟ وقد اثبتنا بأدلّة واضحة انّ العربي الذي كان يعيش قبل أربعة عشر قرناً من الزمن كان يفتقد البلوغ والنضج الكافي لتأسيس حكومة ديمقراطية ترتكز على حق الانتخاب والشورى.

ثانياً: هل تصح الشورى التي لم يحضر فيها بنو هاشم والكثير من الصحابة الكرام من أمثال سلمان وأبي ذر وعمّار والمقداد وسعد بسن عبادة والكثير من الانصار؟ ولذا نرى أمير المؤمنين (ع) يستقد هذه الشورى في احد أشعاره المشهورة.

وثالثاً: هل كان أبو بكر أهلاً للخلافة ولم يكن في الأُمّـة الاسلامية من هو اولى منه بها؟ لقد اثبتنا عدم اهليّة أبي بكر وجـميع اصحابه (سوى على (ع)) لهذا الأمر.

وقد صرّح الامام علي (ع) كراراً ومراراً في كتاب نهج البلاغة بأهليته لهذا الأمر وعدم اهلية غيره: «لقد تقمّصها فلان وهـو يـعلم انّ محلّي منها محل القطب من الرّحى». رابعاً: هل تتساوى الشروط التي يجب ان يحرزها امام الجماعة مع الشروط التي يجب ان يحرزها خليفة المسلمين؟ لا شك ان شروط امامة الصلاة تختلف كثيراً عن شروط زعامة المسلمين وان هذا الاختلاف هو بدرجة من الوضوح تعنينا عن الخوض فيه. اذن فالمقارنة بين امام الجماعة وامام المسلمين هي _ من الأساس _ مقارنة خاطئة وان الاستدلال بهذه الطريقة هو دليل واضح على فقدان الخصم للأدلة المقنعة وعجزه عن إقامة الدليل والبرهان.

وفي الختام أودّ ان اذكّر انّ البعض أرادوا ان يثبتوا عدالة أبي بكر استناداً الى هذه الرواية فنقول في جواب هؤلاء:

أولاً: حتى لو فرضنا انّ النبي (ص) أقرّ بعدالة أبي بكر فانّ ذلك لا يدلّ على أهليّته للخلافة لأنه ليس من حقّ كلّ عادل ان يكون خليفة. ثانياً: ان الشيعة لا يقرّون بصحة صلاة ابي بكر وانّ السنة لا يوجبون العدالة لإمام الجماعة أي انّ العدالة ليست شرطاً من شروط امام الجماعة عند اهل السنة، اذن ما هو الداعي للبحث والجدل مع الاخوة أهل السنة في الاقرار بصلاة أبي بكر وانكارها.

س: ان اسلوبكم في نقد الشعائر المذهبية الدارجة والدعاة اليها هو اسلوب لاذع، أليس من الأفضل أن تتخذوا طريقة المحقّقين المعتدلين وتكتفوا بالتحليل والنقد وتكفوا عن النكت اللاذعة التي لا تطابق الحق أحياناً؟

ج: لقد اشرتم الى موضوعين مختلفين في هذا السؤال: الأول هو ان اسلوبي في نقد الشعائر الدارجة والدعاة لها هـو اسـلوب لاذع، والآخر هو انّ نكتي اللاذعة لا تطابق الحق أحياناً.

(والظاهر من كلامكم هو ان نكتي اللاذعة تطابق الحق «غالباً» أو «بشكل عام» أو أحياناً على الأقلّ).

أما بالنسبة للشق الثاني من السؤال أي «النكت اللاذعة التي لا تطابق الحق» فانها ليست قابلة للدفاع لأن الشخص الذي يـقوم بـهذا العمل اما ان يكون عالماً بقيامه بعمل لا يطابق الحق واما ان يكون جاهلاً بذلك، اي اما ان يكون مغرضاً أو جاهلاً وأعوذ بالله من أن أكون من المغرضين أو الجاهلين والويل كل الويل لي ان لم اميّز الحق عـن الباطل أو أن تكون حياتي عرضة للأغراض والأمراض بعد ان قضيتها كما أظن _ بالبحث عن الحق والحقيقة . إلّا انّكم لم تشيروا على الأقل الى نموذج واحد طعنته _ بغير حق بنكتة لاذعة ، لكي أعرف ما هو ذنبي وبماذا علي أن أقرّ وعن أي شيء علي ان ادافع؟ انه اتهام لم تذكروا فيه مورد التهمة . اذن هل سيكون الحديث عن هذه التهمة نافعاً ؟

أما الشق الأوّل من السؤال فهو استفسار عن سبب استخدامي لهذا الاسلوب اللاذع في نقد العادات والتقاليد الباطلة _وهـو انـتقاد صحيح _ فعليّ ان أتساءل: ألا يبرّر «بطلان» هذه العـادات والتـقاليد السلوبي الحادّ واللاذع في النقد؟

بالطبع انني اعلم ان هذه الطريقة لا تتناسب مع كل زمان ومكان وهناك مجالات علميّة كثيرة يجب على الباحث ان يتّبع فيها طريقة علميّة محضة بعيداً عن الضجة والتطرف والعواطف.

فلو كنت فيلسوفاً مثلاً وتباحثت مع فيلسوف آخر في موضوع تقدم الوجود على الماهية أو موضوع حدوث العالم وقدمه، ولو كنت صوفياً يبدي رأياً جديداً في موضوع النزاع القديم بين المشائين والاشراقيين في تعارض العقل والعشق، ولو كنت فقيهاً وحاولت مثلاً اصدار فتوى جديدة في عدم حرمة الخمور، ولو كنت اديباً وكتبت في موضوع وجوه الافتراق بين الفنّ والأدب، ولو كنت شاعراً ونـقدت الشعر القديم وطريقة شعرائنا المعاصرين (القدماء!) الذين لا يدركون عصرهم ومجتمعهم، ولو كنت مفسّراً للقرآن وأشكلت على أكبر المفسرين من الفريقين، ولو كنت واعظاً وصرحت ان الموعظة يجب ان تتبع اليوم الطريقة العلمية في التعليم والتربية وعلى الواعظ أن يكون مملماً بعلم النفس والاجتماع والأدب وفئ الاعلام والعلاقات الاجتماعية وعليه ان يترك الطريقة القديمة المملّة في الوعظ، ولو كنت مهندساً معماراً أو مؤرخاً أو غير ذلك ، بطبيعة الحال كان على ان اتّخذ الطريقة العلميّة في التحقيق كي لا يحترق القدر والحساء ولا تـمسّ كلماتي احداً بسوء فيعظم قدري بين العلماء!

ولكن ما عليّ أن أفعل! فأنا لست محققاً علمياً بل كائن ضعيف

يرهقني ثقل التعذيب والشهادة لمئات السنين من التاريخ كحبة قسم صغيرة بين مطرقة الاستعمار الخارجي وسندان الاستحمار الداخلي القاسيين. فكيف يا أخي تريد منّي ان اكون محقّقاً فاضلاً محترماً مؤدّباً موقرّاً؟!

عندما ذهبت الى مصر لمشاهدة الاهرام لم أذهب الى قبو الفراعنة _كما يفعل المحققون المحترمون _بل ذهبت الى قبو الآلاف من العبيد الأفارقة الذين ماتوا تحت السياط وهم ينقلون الصخور العظيمة من اسوان الى القاهرة فكان يموت منهم يوميّاً العشرات والمئات ويدفنون في هذه القبور الجماعية. عندما جلست على قبور هؤلاء الأخوة شعرت انني اتحدث معهم. فكنت اتلو على قبورهم مأساة خمسة آلاف عام من الجوع والظلم والخوف والمشقّة وكانوا ينحبون معى مأساة حياتهم السّوداء...

قلت لهم: اخوتي مضى خمسة آلاف عام وانتم نائمون في هذه القبور إلا انّي كنت طوال هذه المدة اعيش هذا التاريخ الأسود مع الفراعنة والقياصرة والأكاسرة وامثال قارون وبلعم بن باعوراء. واليوم لجأت الى بيت فاطمة المهجور هرباً من اولئك الطواغيت وتلك القصور والمعابد والخزائن فوضعت رأسي على جدار هذا البيت ولم يخدعني منذ الف واربعمئة أي كافر ومسلم فان في هذا البيت فاطمة وعلي والحسين وزينب..

إلّا انّي أرى قوماً جعلوا من هذا البيت حانوتاً لمصالحهم وجعلوا من هذه الكعبة _القبلة التي حرّرتني قبل خمسة آلاف عام من الرّق والجور والجهل عمّ تأتي انت وتطلب منّي انتهج الطريقة العلمية الهادئة اللطيفة الناعمة المترفة في تحقيقي ؟!

ان منطق انسان شيعي مثلي هو ليس منطق ابن سينا والغزالي والمحقق والمستشرق بل هو منطق أبي ذر الذي شج بعظم البعير رأس كعب الأحبار في محضر عثمان! ان النزاع يا أخي ليس على «نظرية علمية» بل على ميراث عبد الرحمن بن عوف.

س: لقد اشدتم في الكثير من كتبكم من قبيل: «معرفة الاسلام» و «فاطمة هي فاطمة» و «التشيع العلوي» و ... بدور علماء الشيعة (الروحانيين) واشرتم الى فلسفة وجودهم والخدمات التي قدّموها إلا انكم انتقدتم في الوقت ذاته وفي مواضع اخرى النظام السائد في المجتمع العلمائي وتحدثتم في هذا المجال بشكل مطلق ولم تستثنوا بعض العلماء والمدرسين والفضلاء والطلاب من انتقاداتكم الحادة. لماذا هذا التناقض؟ الاشادة والمدح احياناً واللّوم والذّم احياناً اخرى؟

ج: يجب ان نتّفق على معنى كلمة «الروحانيّة» ونعيّن مصاديقها في البداية ثمّ نتطرق الى الآراء والانتقادات الواردة في هذا المجال. اني اعتقد ان كلمة «الروحانية» ليست مصطلحاً اسلامياً ولا شيعيّاً بله هو مصطلح مسيحي دخل اخيراً في مفرداتنا اللغوية، فلم تسرد في

نصوصنا الاسلامية كلمة بهذا المعنى بل ان المصطلحين اللذين يستخدمهما المسلمون بدل «روحاني» و «جسماني» هما «العالم» و «المتعلم». اذن علينا ان نستخدم كلمة «العالم الاسلامي» بدلاً من كلمة «الروحاني»، من هو العالم الاسلامي؟

انه _حسب رأيي _الشخص الذي يعرف القرآن في الدرجة الأُولَى ويعرف النبيّ (السيرة والحديث والسنّة) في الدرجة الثانية ويعرف أهل البيت وسيرة الائمة والصحابة وشخصيتهم فمي الدرجة الثالثة ويعرف الثقافة الاسلامية في الدرجة الرابعة ويكون متخصصاً في احدى العلوم الاسلاميّة: الفلسفة الاسلامية، تاريخ الاسلام، علم الحديث، علم الرجال، علم الاصول، الفقه وغيرها في الدرجة الخامسة (وان كان الترتيب الحاليّ شيئاً آخر). اما الشخصيات «الروحانية» المحروسة المدلّلة المقدّسة التي تشعّ نوراً لكنها لا تعرف شيئاً ولا تحيط علماً بايّ شيء، فاني عاجز عن معرفتها ولا جدوي من أن ألوم نفسي على ذلك. فما بوسعى ان افعل؟ انّ الله تعالى لم يعطني هذه القابلية لأفهم فائدة هؤلاء وإن كان عوام الناس يقدّرونهم ويقدسونهم اكثر من اولئك الذين ذكرتهم في مستهلّ حديثي. انني اسمّي هـذا النـوع مـن رجال الدين «الروحانيين» (لأنّه لا يوجد اسم محترم آخر ليس له دلالة على ايّ معنى). أرجـو ان لا تـلوموني عـلى هـذا الرأي لأنّـني ضغطت على نفسي وحاولت كثيراً ان اعتقد بهذه الشخصيات المحترمة

لكنّي لم انجح في ذلك فيأست من نفسي، اما بالنسبة لعلماء الاسلام فأريد ان ادّعي وهناك العشرات من الدلائل والقرائن على اثبات هذا الادّعاء بأني فخور بكوني دافعت بجدّ وبشكل فكري وعلميّ مؤثّر وأكثر من أي شخص آخر من العلماء والخطباء والكتّاب المعاصرين عن هذه الجماعة العزيزة التي تعدّ أملاً كبيراً ورأسمالاً عزيزاً لنا . وأما الأدلّة على ذلك :

١ ـ عندما تحدثت في سلسلة دورس «معرفة الاسلام» عـن حذف الوسيط في ارتباط الانسان مع ربّه في الاسلام، سألنبي بـعض الطُّلبة عن دور علماء الدين في المجتمعات الاسلامية فقلت ان علينا ان نميّز بين الأمر الرسمي القانوني والضرورة التي تقتضيها الحاجة، ثـم أجبت على هذا السؤال قائلاً: ان الفاصل الزمني الذي فصل المسلمين عن صدر السلام والتطور والتعقيد في العلوم والمعارف وخصوصاً علم الفقه والتشعب فمي الفرق والمذاهب الاسلامية واختلاط عقائد المسلمين مع عقائد وتقاليد الشعوب الاخرى وتعدّد الفروع والحقول العلمية في المجتمعات الاسلامية المتطورة، جمعل من الضروري ان يكرّس البعض انفسهم للدراسة والتحقيق في شتّى مجالات العلوم والمعارف الاسلامية لكي يتسنّى للآخرين (الذين شغلتهم مجالات العلم والحياة الاخرى عن درك الحقائق والحصول عليها من مصدرها الرئيسي أي النبي والائمة (ع) أو لم يكن لهم الكثير من الوقت للتفرغ لتعلم الدين كما كان يفعل ذلك المسلمون الأوائل في صدر الاسلام) ان يتعلّموا العقائد وأحكام الدين من هؤلاء المتخصصين، وقلت ان هذا الأمر هو ضرورة اجتماعية وعلميّة ثم قارنت بين المنصب الرسمي والمنصب الضروري وشبّهتهما بالحرّاس الذين يختارهم الناس في بعض الحارات لحراسة منازلهم شعوراً منهم بضرورة ذلك والحراس الذين تعيّنهم الدّولة وتعطيهم صلاحيّات خاصة بزيّ خاص ودرجة رسميّة معيّنة. وهذا هو الفرق بين العالم الاسلامي والقس المسيحى.

٢_ذكرت في كتاب «الانتظار» نقلاً عن (ونسان مونته) ان طالب العلوم الدينية هو بروليتاري فكري، وقلت ان هؤلاء المجاهدين السائرين في درب العلم والايمان الذين لا تتجاوز نفقاتهم عن نفقة طير امريكي كرسوا حياتهم وشبابهم لتعلم الدين في الوقت الذي يختار فيه طلبة الجامعات حقولهم الدراسية على اساس الدّخل المستقبليّ المتوقع لهذا القسم الدراسي أو ذاك .

ان طالب العلوم الدينيّة يقضي عـمره الدراسـي بـزهد لا يكـاد يصدّق ولا يوجد اي ضمان لتأمين حياته بعد اتمام الدراسة والتخرّج ولا يشمله اي امتياز من الامتيازات الطلابيّة العاديّة الاانّه وبالرغم من كلّ ذلك ينتهج هذا الطريق بصبر وايمان ووفاء لا يوصف.

٣ ـ قلت في احدى المحاضرات الطلابية العامّة في حسينية
 الارشاد مخاطباً الطلبة الجامعيين: ان أملى بطلبة العلوم الدينية هو أكثر

منكم بالنسبة لمستقبل هذه النهضة الفكريّة وتوعية الناس واحياء روح الاسلام الأصيل وبعث روح الرفض والعدالة التي تتجلّى في التشيّع العلوي لأنّ حياتكم الفكريّة قصيرة جداً ولا تتجاوز الأربع أو السبع سنوات، بعدها سيشغلكم روتين الحياة وستكونون بشكل لا ارادي في مخالب الطبقة البرجوازية. أما طالب العلوم الدينية فانّ عمر مسؤوليته الاجتماعيّة يساوي كل حياته فهو يشعر بالمسوؤلية حتى الموت تجاه عقائد الناس ومصيرهم.

٤ ـ لقد أثبت في دراستي للجذور الطبقية في «الحوزة» و«الجامعة» ان اكثر من ثمانين بالمئة من الجامعيين (الطلبة، الموظفين والاساتذة) ينتسبون الى الطبقة البرجوازية الساكنة في المدن وخمسة بالمئة منهم ينتسبون الى طبقة الاقطاعيين القرويين. اما الحوزيون (العلماء المراجع، المدرسون والطلبة) فينتمي خمسة بالمئة منهم فقط الى الطبقة المتوسطة الساكنة في المدينة (البرجوازية الصغيرة والكسبة الصغار) وينتسب اكثر من تسعين بالمئة منهم الى الجماهير القروية المحرومة وأبناء الفلاحين والملالي القرويين. ويتضمّن هذا التحليل المحرومة وأبناء الفلاحين والملالي القرويين. ويتضمّن هذا التحليل نتائج اجتماعية وفق تقييم اجتماعي مفصل وشامل.

٥ ـ لقد أحصيت في رسالة تحقيقية كتبتها لوزارة العلوم وفي مقالة «الصحراء = كوير» أيضاً الموارد التالية لرجحان الطريقة التعليمية التربوية الحوزوية على الطرق الأكاديمية:

١) اختيار الاختصاص العلمي على اساس القيمة الفكريّة لا
 الدخل الاقتصادي.

٢) الشعور بالمسؤولية الاجتماعية التي تتناسب مع الاختصاص
 الدراسي منذ اللحظة الأولى من الدراسة.

٣) اختيار الأستاذ بحريّة تامّة على اساس لياقته وقيمته العلمية.

- ٤) ضرورة احتفاظ الاستاذ بوجهته العلمية والاخلاقية.
 - ٥) وجود علاقة المريد والمراد بين التلميذ والاستاذ.
 - ٦) الطريقة التعليمية المدرجة.
 - ٧) رواج «المباحثة» بين الطلبة بعد كل درس.
- ٨) حرية الحضور في الصفوف وعدم التقيد بالمظاهر والشكليات المعقدة والادارية الجافة التي تشكل عائقاً هامّاً في طريق كسب العلم.
 - ٩) مجانية التعليم.
- ۱۰) امكانية مواصلة الدراسة لعموم الناس بـجميع اعـمارهم وطبقاتهم وظروفهم.
- ۱۱) اعطاء المنح الدراسية وتأمين السكن والامكانيات الدراسية لكل طالب.
 - ١٢) اندماج الاخلاق مع العلم بشكل طبيعي.

- ١٣) الاتصال الدائمي بالجماهير.
- ١٤) قبول مسؤولية القيادة الفكريّة والهداية الاجتماعية للناس.
 ١٥) العلاقة الوحيدة بين الايديولوجية والعلم.
- ۱٦) وجود «ثقافة مشتركة عامة» و«جهة واحدة» و«تنسيق كامل» بين الفروع والاقسام العلمية المختلفة رغم تعددها ووجود التخصص فيها.
- ۱۷) الاتصال بالماضي التاريخي والثقافي والعقائدي (الشيء الذي لا نراه في الثقافة الجديدة).
- ۱۸) عدم وجود اي شكل او قالب ظاهري في تقييم الدرجة العلمية للطلبة والاساتذة وتفويض هذا الامر للناس والاعتماد على كفاءة الشخص الذاتية وقيمته الفكرية وكماله العلمي بدلاً من دوائر التوظيف وقوانين الترفيع التلقائي (التي شبهتها في كتاب الصحراء (۱) بأجاص بُخارى الذي ينقع في الماء، فيصبح مساعد المدرس بعد اربع سنوات وبشكل اتوماتيكي مدرساً ويصبح المدرس الجامعي بعد خمس سنوات استاذاً!..).

٦ ــ ذكرت في كتاب «التشيع العلوي والتشيع الصفوي» ان علماء الشيعة رفعوا دائماً وعلى مدى ألف عام من التاريخ الاسلامي رايات

⁽١) كوير .

النورة على الظلم وكانوا من المدافعين عن الحركات المطالبة بالعدالة والحرية الاجتماعية وحاكمية العلم والتقوى، وقد حرّض علماء الشيعة الناس دائماً على مواجهة انظمة الخلافة الاستبدادية الارستقراطية والحكومات التابعة لها وكانوا دائماً في طليعة الحركات الجماهيرية الثورية، وخير شاهد على ذلك حركة المعدومين (١) في القرن الشامن الهجرى.

٧ ـ ذكرت في كتاب «تاريخ الأديان» انَّ علماء الشيعة هم أنزه فئة أو طبقة روحانيَّة بـين جـميع الأديـان والمـذاهب فـي المـاضي والحاضر.

٨-ان التقوى والورع والاتصال الدائم بالجماهير والوقوف بوجه القوى الحاكمة او الابتعاد عنها على الاقل هي من الخصائص الطبيعية التي يمتاز بها علماء الشيعة على رجال الدين في المذاهب والأديان الأخرى لأنهم يعتمدون من الناحية الاقتصادية والاجتماعية على الجماهير لا على الحكومات.

9 ـ ذكرت في كتاب «الانتظار ومذهب الرفض» ان هناك اشخاصاً ينتحلون الزيّ العلمائي بتخطيط وتآمر القوى المعادية للناس مستغلّين بذلك عصر الغيبة وأصل نيابة الامام (ع). ان هؤلاء

⁽۱) سربداران.

الانتحاليين قد يحصلون بمساعدة تلك الأيادي الأثيمة السرية والعلنية على مقام روحاني أو وجهة مصطنعة أو مرجعية كاذبة بغية الإساءة الى الوجوه العلمائية الحقّة والتقليل من شأنها ودورها المحوري في المجتمع.

۱۰ ـ نص الحديث الذي تحدثت به في بداية الدرس السابع عشر من سلسلة دروس «معرفة الاسلام» ردّاً على نقد غير لائق أورده السيد (مكارم) في مجلة «في رسالة الاسلام» (۱). في البداية لم أكن ارغب في الرد إلّا اني شعرت ان الطلبة الذين يعرفون دروسي وآرائي جيداً استغربوا كثيراً من الاسلوب والاخلاق وادب الكتابة في هذه المجلة الدينية المنسوبة الى علماء الدين فرأيت من الضروري أن ادافع عن الحوزة العلمية قبل أن أدافع عن نفسى فقلت آنذاك:

أولاً: ان طريقة التفكير واسلوب الكلام في تلك المقالة يخص صاحب المقال وليس له أي علاقة بعلماء الدين (وهذا ما أقوله دائماً عندما أواجه أي تهمة أو شتيمة من الملبّسين بالزيّ العلمائي المقدس لاني أعرف جيداً أثرها السلبي بين المفكرين لذا أسعى دائماً الى تبرئة علماء الدين من هذا الانتساب).

ثانياً: انّ اي معترك ومعمعة في هـذا المـجال تـوجب صـرف

⁽۱) در مکتب اسلام.

الأذهان عن الحقائق، لذا ان واجبنا هنا هو الصّمت والصبر تجاه هذه الشتائم والتهم. من هنا اضطررت آنذاك الى التذكير ببعض الأمور، وأود ان يتلقّى الجميع هذه التذكرة كرد أرد به على كل تهجّم من هذا القبيل وكرأي خاص بي تجاه علماء الدين والحوزة العلمية الدينية. امّا نص المقدمة فهو كما يلى:

«...المسألة الثانية التي تعتبر مسألة مهمة للغاية هي انّ البعض يحاول بشتى الاساليب ان يصوّرنا للآخـرين بأنـنا فـئة او اشـخاص مناوئون لعلماء الدين فيتهجّمون علينا تحت هذا الغطاء، والغاية من ذلك هي اثارتنا للتهجّم على العلماء دفاعاً عن انفسنا لكي يستغلُّوا هذا التهجّم ويشيعوا بين الناس ان هنالك فئة او جماعة من المفكرين تخالف علماء الدين. هذه هي غايتهم، وعلينا ان نصبر تجاه هذه الاستفزازات والتهم الواهية ونضع الأمر امام الآخرين ليحكموا عليه لكي تحبط هذه المؤامرة القذرة. من هنا اريد ان اقول انّ شخصاً مثلي (يتحدث بهذا الكلام ويحمل هذه الآراء ويفكّر بهذه الطريقة) قد لا يتفق مع عالم ديني في بعض المسائل وينتقد طريقته في التبليغ الديني او طريقته في تحليل بعض القضايا ويختلف معه في الكثير من الامـور ــ وان كان ذلك العالم عالماً دينياً حقيقياً _الا ان هذا الخلاف هو خلاف الأب والابن في الاسرة الواحدة. ولهذا اسعى ان لا أجرّ هذا الخلاف العائلي بين جيلنا والجيل السالف الى الأزقة والأسواق لكي لا يستغلّ العدو _عدوّ هذا الجيل والجيل السالف _هذا الخلاف لصالح اغراضه وأطماعه.

۱۱ _ ذكرت في سلسلة دروس «معرفة الاسلام _ حسينية الارشاد» ان رابطة الطلبة الايرانيين المقيمين في فرنسا _ التي كانت تديرها بعض الأيدي آنذاك _ نظمت ذات مرة اجتماعاً حضره السيد جهانگير تفضلي. وقد تحدّث في هذا الاجتماع السيد رزم آرا و تهجّم خلال حديثه على علماء الدين بألفاظ من هذا القبيل: «في ايران، عندما امر من امام مسجد أو أسمع صوت واعظ يتحدّث تتدهور حالتي الصحية ويستاء مزاجي، اني اكره هذا الدين و تشمئز نفسي من رجاله، ان هؤلاء الملالي هم السبب في شقاء البلاد وبؤسها وهم القاعدة الرئيسية التي يرتكز عليها الاستعمار...».

أردت ان اتحدّث الا انهم منعوني من الحديث. انتظرت وصول الدّور لي لأتحدث لكنهم لم يراعوا الدور، فما كان بوسعي إلاّ أن أفرض نفسي على المجلس برفع صوتي فقلت: انبي استغرب من حديث السيد... لاننا لو راجعنا اليوم القبائل الافريقيّة البدوية لرأينا جميع افرادها يعرفون هذا المبدأ الاخلاقي الحضاري المسلم الذي يفرض علينا احترام عقائد الآخرين وآرائهم. اني استغرب من كونكم تعيشون في عاصمة الحضارة وحريّة الرأي واحترام عقائد الآخرين ولم تتأثروا بهذه الحضارة اى تأثير؟!

انّ الدعوة للحضور في هذا الاجتماع هي دعوة عامّة، اذن انتم تحتملون حضور اشخاص مثلى لم يتثقفوا بعد الى درجة تجعلهم بتحمّلون كلامكم، فكيف تسمحون لأنفسكم بالاساءة الى عقائد اشخاص مثلى؟ ثانياً انّ الدين ليس قطعة من الحلوى كي تتحدثوا عنه كما تتحدّث الوحمي المغناج الى زوجها فما معنى قولكم «نحن لا نحب الدين»! ثالثاً: انَّكم تقولون ان الملالي كانوا قاعدة للاستعمار، لكنَّ هذا الكلام هو مسألة واقعة وتاريخ وليست مسألة ذوق كي يـتسني لكـم التحدث عنها كيفما تشاؤون، بل عليكم أن تأتوا بما يبرهن على ذلك. فحسب ما تفيد معلوماتي ان جميع الاتفاقيات الاستعمارية الموجودة وقعت على يد الدكاترة والمهندسين واصحاب الشهادات العليا الذين اكملوا دراساتهم في الجامعات الغربيّة. فان استطعتم ان تأتوني بتوقيع احد هؤلاء الملالي الذين تخرجوا في حوزة النجف لاتفقت معكم في الكلام وشاطر تكم هذه المقولة، إلّا اني أرى العكس هو الصحيح لأنّنا نرى وجوهاً لبعض هؤلاء الملالي أو على الأقل وجهاً واحداً لهم فــي طليعة كل نهضة مناوئة للاستعمار وفي مقدّمة كل حركة ثورية تقدميّة تطالب بالاستقلال ابتداءأ بسيد جمال والميرزا حسن الشيرازي وحتى رجال ثورة الدستور و...

١٢ ـ لقد دافعت بكل وجـودي عـن عـلماء الديـن ودورهـم الاجتماعي خلال فترة تواجدي في أوربا (من عام ١٩٥٩ حتى عـام ١٩٦٤) وتصدّيت لجميع التهم الموجّهة لهم وكان هذا متزامناً مع اتفاق أغلب الفئات المتنازعة على النيل من منزلتهم ودورهم الاجتماعي فقد دافعت عن علماء الدين في الأوساط الفكرية الاوروبية وفي أوساط الطلبة الايرانيين بشكل مؤثر مستخدماً بذلك شتى الأساليب والطرق كالمحاضرات والتقارير والدراسات العلمية في علم الاجتماع الديني، وهذه هي حقيقة لم أتحدث عنها أبداً لأنّ الخوض فيها يستبطن نوعاً من العجب ومدح الذات وما ذكرتها هنا الا اثباتاً لتأييدي لهذه الجبهة ووقوفي بجانبها وهذا ما يعرفه كلّ مطّلع على الأوضاع في خارج البلد.

هذا هو رأيي في علماء الدين وذلك هو رأيي في «الروحانيين» (بالمعنى الآخر)!

أوّلاً: انّ القاسطين يخططون لبذر التفرقة والنفاق والتشاؤم بين المثقف والمتديّن، والحوزة والجامعة، والطالب الجامعي والطالب الحوزوي، والخواص والعوام، وانّ الشيء الوحيد الذي من شأنه أن يبطل هذه الخطة هو عمل «جماعة من المثقفين المتدينيين» على بناء جسر يسدّ هذه الفجوة الكبيرة.

فاليوم يجلس الطلبة الجامعيون والحوزويون جنباً الى جنب في حسينية الارشاد ويرجع المثقفون ـ ولأول مرة ـ الى علماء الدين ويقفون الى جانب الجماهير وهذا أمر لا يروق للقاسطين، لذا نراهم يخططون دائماً لإثارة الضجة وزرع الفتنة بين الفريقين بشتى الوسائل والأساليب كالزور والتزوير والشتم والافتراء والتهجم والاشاعة وحتى الكلام الفاحش والطعن بالأعراض.

ثانياً: عندما قرّروا التهجم عليّ وعلى حسينية الارشاد رفعوا شعاراً فجاً وغير مدروس في باديء الأمر. فالقميص الذي رفعوه ليوحوا للناس انه قميص علي سرعان ما ظهرت حقيقة كونه قميصاً لعثمان فقد اختاروا في البداية ومن بين التهم الموجودة كالانتساب الى النصرانية واليهودية والبابيّة والشيوعية والوجودية والشيخية والصوفية وغيرها . اختاروا أكثر هذه التهم تأثيراً في عواطف الشيعة في ايران فاتهموني بالانتماء الى اسوء المذاهب السنيّة أي المذهب الوهابي، وكان هذا الاختيار صائباً من هذه الناحية إلّا انّ الشيء الوحيد الذي لم يكن في حسبانهم هو عدم التصاق هذه التهمة رغم استخدام الأطنان من صمغ الدجل والسفسطة.

عمّموا بلاغاتهم على جميع الشعب والفروع وشرع عملاؤهم بإشاعة هذه التهمة، ولكن ولحسن الحظ وبمساعدة حسينية الارشاد واهتمام جماعة من الزملاء تمّ استنساخ وطبع الدروس والمحاضرات

وحتى اشرطة الكاسيت التي سجّلت عليها محاضراتي، وقام الطلبة في كل المدن والكليات باستنساخ هذه النتاجات وتوزيعها على قدر المستطاع شعوراً منهم بالمسؤولية تجاه ذلك وهكذا عرضت افكاري (عن التشيع واهل البيت والائمة ولا سيما علي و فاطمة والحسين والامام الموعود (ع) على اصحاب الفكر والقلم وخاب أمل الأعداء وأصبح طرح هذه التهمة في أقصى المساجد والحسينيات وحتى في مجالس العزاء التي تعدّها النساء في البيوت امراً لا يجلب لصاحبه إلا الخزي والعار أو لطمة على الأسنان. لكنّهم لم يكتفوا بهذه التهمة فاستبدلوها بتهمة أخرى ورفعوا هذه المرّة شعار مخالفتنا لعلماء الدين. فالمهم هو استفزاز العلماء وتحريكهم وتحريضهم ضدّنا سواءاً بتهمة المخالفة للتشيع أو المخالفة لعلماء الدين!

بيد انهم أخطأوا في حساباتهم مرة اخرى فكيف يمكن للتهمة التي لم تؤثر في عوام الناس ان تؤثر في علمائنا المفكرين الذين يراعون في حكمهم على الأمور، المعايير العلمية والشروط الفقهية والعقل والمنطق؟

وهكذا باءت خطتهم الثانية بالفشل ايضاً ليشرعوا بالبحث عن قميص عثمان آخر، الاان علماءنا الاعلام ووعّاظنا الأفاضل وطلبتنا الواعين انتبهوا ولحسن الحظ وخصوصاً بعد اشاعة التهمة الثانية الى فلسفة هذه المؤامرة وغرض الأعداء منها. ونحن ايضاً شعرنا بخطورة

الموقف اكثر من ذي قبل فأخذنا نخطو خطواتنا بحيطة وحذر وكان هذا الشعور المشترك هو السبب في تقاربنا والتعرف على بعضنا فتعلمنا من خلال هذه المعرفة دروساً كثيرة، فما أكثر العلماء والفضلاء والخطباء والمتدينين الذين كانوا يشككون بإخلاصنا وصحة رؤيتنا او طريقتنا في التفكير والعمل متأثرين بالدعايات المشبوهة والأجواء السامة وحملات التزوير والاتهام وما اكثر المفكرين والمثقفين الذين كانت لهم مشاعر سلبيّة تجاه علماء الدين تحت تأثير ابواق الدعاية المشبوهة. لكنّنا نرى اليوم مشاهد مثيرة ومفعمة بالعواطف والاخلاص من الانتباه الى انفسنا والايمان ببعضنا وازاحة الغبار والصدأ عن قلوبنا وتوطيد أواصر اخوّتنا.

س: ان طريقتكم في الكتابة والتعبير تسبّب الغموض والابهام للبعض فيما يستغلّها البعض الآخر ممن يحمل افكاراً خاصة لصالح ترويج افكاره كما يستغلّ طريقتكم هذه بعض المغرضين الذين يتربصون الفرص دائماً كي يشوّشوا أذهان العوام من الناس بل الخواص منهم ممن لم يتعوّدوا على المراجعة والتحقيق في المسائل التي يسمعونها. فهل لكم ان تبدّلوا طريقة تعبيركم هذه بشكل تسلبون فيه امكانيّة الإساءة في تفسيرها وتأويلها؟

ج: أعتقد انّ من المستحيل ان يبلغ خطيب أو كاتب _مهما كانت مهارته وثقافته وادبه واحاطته بعلم اللغة _هذه الذروة من الأدب بأن لا

يكون في كلامه أي ابهام لأي قارىء أو مستمع مهما كان مستواه أو نوع تفكيره وثقافته ويسد الطريق على أي مغرض كي لا يحرّف عبارة من عباراته. ففي الوقت الذي نرى فيه القرآن وهو كلام الله تعالى يـؤوّل لمقاصد وأغراض عديدة ويختلف العلماء المفكرون البارزون في فهمه وتأويله ويستنبط كلّ فريق وفئة وطائفة من كل آية من آياته ما لا يستنبطه الآخرون، كيف يمكن لكاتب او خطيب عادي ان يتحدث او يكتب بطريقة لا يمكن تأويلها وتحريفها؟

من هنا اريد ان اقول انه كلما ازدادت الفكرة عظمة وكلما ازدادت المعاني ظرافة وكلما ازدادت المساعر سمّواً وكلما ازداد الكلام جمالاً وبداعة، سيزداد معه ايضاً احتمال سوء الفهم والابهام والاتهام، والاختلاف في درك المفاهيم، والتناقض في الاستنباط وانواع الأغراض والأمراض.



الطالب: لقد انعكس تصويركم في الاذهان كتصوير «مفكّر ديني» فهل انتم راضون عن هذا التصوير؟

شريعتي: لو عرّفكم أحد بكلمتين مجهولتين، فهل سيرضيكم هذا التعريف؟!

الطالب: ان معنى هاتين الكلمتين بسيط وواضح بالنسبة لنا. فالمفكّر: هو الشخص الواعي الذي يخوض في مجال الفكر، والدّيني:

هو الذي يؤمن بما وراء الطبيعة كالايمان بالله مثلاً... شريعتي: لو امتهن احد عملاً فكرياً (كالمحاسبة مثلاً) لكنه لم

يكن واعياً فهل سيكون مفكّراً؟ ولو كان واعياً ولم يحترف عملاً فكرياً فهل سيكون «غير مفكّر»؟ وان كان يـؤمن بـالله ولا يـؤمن بـما وراء

الطبيعه فهل سيكون «غير ديني» وان كان يؤمن بما وراء الطبيعة ولا يؤمن بالله (مثل بوذا وهيجل) فهل سيكون دينياً؟

شريعتي: كما تلاحظون ان المسألة ليست بهذه البساطة. فغالباً

الطالب : يبدو انّ المسألة ازدادت صعوبة...

ما يحصل سوء الفهم بسبب مرورنا على المسائل مـرّ الكـرام، فــاتّنا

نتزحلق على الحقائق وكأننا نلعب في سيرنا المنطقي في العملية الفكرية. فالكلمات التي نستخدمها لاستيعاب مقاصدنا ونقل ما في اذهاننا، غالباً ما تكون مبهمة لنا ولمخاطبينا، أو غير متفق عليها من قبل طرفي الحوار على الاقل. لكننا على الرغم من ذلك نـرى ان الحـوار يجري بشكل طبيعي بدون ان يشعر اي طـرف مـن الاطـراف بـعدم الاتفاق على الكلمات التي يستخدمونها، والأغرب من ذلك هـو انـنا نرى في بعض الأحيان ان المفاوضات والمباحثات تجري على ما يرام وتسفر عن نتائج متفق عليها في ظاهر الأمر ولكننا لو امعنّا النظر فــي هذا الاتفاق لرأينا ان الجانبين قد اتفقا على كلام لم يتفقُّوا على معناه، والسبب في ذلك هو ان جانبي الحوار لم يقفا وقوفاً كاملاً على معنى الكلمات الاساسية التي تبادلوها في حوارهم بل اكتفيا بالمعنى الاجمالي لتلك الكلمات. هاتان الكلمتان (المفكر والديني) هي من هذا النوع من الكلمات.

الطالب: ألا تعتقدون انكم انتقلتم الى مبحث الألفاظ؟

شريعتي: بلى لأن الألفاظ هي الأدوات الوحيدة لبيان الافكار وقبل كل شيء علينا ان نتأكد من دقة وصحة أدوات عملنا.

الطالب: على اي حال، ماذا تعني هاتان الكلمتان (المفكر الديني) بالنسبة لكم؟

شريعتي : اني اعتقد ان الدين هو بمعنى «المعرفة بـالذات =

consience خلافاً لما تعنيه «الفلسفة» أو «العلوم» أو «الصناعة» التي تعتبر نوعاً من العلم (science». والمفكر هو الشخص الذي يعي الزمان والمجتمع والتقدير التاريخي والعلاقات الاجتماعية والمواجهات والجهات والمصير الاجتماعي الخاص به، وبعبارة أوجز: المفكر هو الشخص الذي يعي «الوضع» او «الحيثيّة» الاجتماعية الخاصة به الشخص الذي يعي «الوضع» او «الحيثيّة» الاجتماعية الخاصة به يقصدها افلاطون عندما يعرّف الانسان بانّه «حيوان سياسيّ»(۱).

نعم، بهذا المعنى انا راض عن عبارة «المفكر الديني» واشكركم عليها! ولكن علي أن أقول اني لست مفكراً دينياً بـل اتـمنّى واسـعى لأكون مفكراً دينياً. فانّي ما زلت اسير في بداية هذا الطريق. اقول هذا كي لا يتهمونى بالعجب والتغطرس.

⁽۱) لمزيد من الاطلاع يرجى مراجعة كتابي «الطريق الشالث» و «معرفة الذات والاستحمار» للمؤلف.

⁽۲) لقد ترجم هذا التعريف (الانسان حيوان سياسي) بالمعنى الاعتيادي (الانسان حيوان اجتماعياً) في حين تعتبر النحلة حيواناً اجتماعياً ايـضاً. ان الحـيوان السياسي هو الحيوان الذي يعي المجتمع الذي يعيش فيه ويشعر _ بـوعي _ بالمصير المشترك وأواصر الاشتراك التي تربطه بمجتمعه ولذا عرّفنا الانسان بانّه «حيوان متعصّب». ولا ننسى انّ السبب الذي جعلنا نرسم للتعصب تصويراً سيئاً في اذهاننا هو اننا نرى غالباً التعصبات السيئة فالتعصّب في حد ذاته ليس أمراً سيئاً. التعصّب _ كالتحزب _ هو الانتماء الى العصبة بمعنى الجماعة وهـو الشعور بالانتماء والارتباط بالجماعة.

الطالب: لقد ذكرتم في العبارة الأولى من مقدمة سلسلة دروس «معرفة الاسلام» ان الدولة العثمانية هي رمز للاقتدار الاسلامي (معرفة الاسلام ص ١٢) في حين يعلم الجميع انّ هذه الدولة هي دولة فاسدة ولا يليق بها ان تسمّى دولة اسلامية.

شريعتي: ولهذا السبب كتبت في العبارة الثانية وفي الصفحة نفسها: «ان الهزيمة العثمانية لم تكن هزيمة سياسية وعسكرية فحسب بل كانت بمثابة سقوط الثقافة الاسلامية واستهلاك لقوى المسلمين الروحية والفكرية، فقد جعلت الدولة العثمانية من الدين مادة افيونية تخدّر بها الجماهير وجعلت من الاسلام طلسماً يحافظ على الارستقراطية وقاعدة عريضة يرتكز عليها سلطان العنصر التركي. (معرفة الاسلام ص ١٢)

الطالب: لقد علّق احد السادة اخيراً على عنوان كتابكم «مسؤولية الانتماء الى مذهب التشيع» بان اختيار هذا العنوان يكشف عن مدى حقدكم على المذهب الشيعي، فما هو تعليقكم على ذلك؟ شريعتى: انّا لله وانّا إليه راجعون.

الطالب: قد يشعر البعض من خلال مطالعته لكتابي الصحراء (كوير) ودرس (بوذا) الذي نشر تموه ضمن مجموعة دروس «تاريخ الاديان» ومن خلال رواية بعض الطلبة الجامعيين الذين حضروا دروسكم في جامعة مشهد واقرارهم بانهم كانوا ينجذبون بشدة

وينسون أنفسهم اثناء تدريسكم لموضوع «بوذا»... قد يشعر البعض انكم معجبون جداً بالدين البوذي؟

شريعتي : نعم فأنا «سنّي المذهب» «صوفي المشرب» «بوذي ذو نزعة وجوديّة» «شيوعي ذو نزعة دينية» «مغترب ذو نزعة رجعية» «واقعي ذو نزعة خيالية» «شيعي ذو نزعة وهابيّة» وغير ذلك (اللهمّ زدوبارك).

الطالب: لماذا لم تردّوا لحد الآن على الانتقادات والتهجمات التي استهدفت كتبكم ومحاضراتكم؟

شريعتي: لقد شوّشوا اذهان شعبنا دائماً بهذا الضجيج وهذا العراك الفارغ ليعكّروا صفو الماء ويتصيّدوا فيه، لذا لم احاول افتعال اي ضجّة لأشوّش بها الأذهان أبداً.

بيد ان بعض الزملاء الذين يؤمنون هم أيضاً بهذا المبدأ ارتأوا اقامة ندوة سؤال وجواب ونشرها على شكل ملزمة لتبيين بعض الحقائق لمن لا يعرف شيئاً عن برامج حسينية الارشاد الدراسية والاعلامية والتحقيقية وكتبها المطبوعة ولأولئك الذين أحدثت الأشاعات المتواصلة في أذهانهم انطباعاً خاصاً أو شبهةً أو ابهاماً في مسألة ما.

الطالب: اليوم وبعد مرور خمسة أعوام على نشر سلسلة دروس

«معرفة الاسلام» هل لديكم أي نقد على هذا الكتاب؟

شريعتي: لقد كانت لديّ بعض الاتنقادات على هذا الكتاب منذ اللحظات الأولى لنشره لأن هذا الكتاب هو مجموعة دروسي الشفهية التي أمليتها على الطلبة. وقد طبع هذا الكتاب تحت اشراف الطلبة بدلاً من استنساخه ومن الطبيعي أن لا يكون المعلم راضياً عن دروسه الشفهية لو تمّ تدوينها على شكل كتاب، واليوم وبعد مرور أكثر من خمسة أعوام على نشر هذا الكتاب اذكر كلام استاذي غورويش الذي خاطبنى معترضاً ذات مرة: «أين كنت نائماً في لحد أم ثلاجة؟!».

الطالب: كيف يعرف الناس رأيكم الموجود في كتاب «معرفة الاسلام» في عام ١٩٧٢ وذلك بعد مرور خمسة اعوام على نشره؟

شريعتي: الأمر بسيط جداً ولا يكلّف سوى عشرين ريالاً فقط: ملزمة «معرفة الاسلام»، الجزء الأول والثاني (طبعة حسينية الارشاد عام ١٩٧٢).

الطالب: ما هي انتقاداتكم الخاصة في خصوص مضامين ملزمة «معرفة الاسلام» القديمة؟

شريعتي: الف) كان علي أن أطرح موضوع الامامة في مبحث الشورى (ص ٣٨) كي أمنع بذلك امكانية اساءة التصرف أو سوء الفهم. فقد اعربت في هذا الكتاب عن مخالفتي لمبدأ «الشورى» و «البيعة» (لا

بشكل مطلق بل في موضوع الامام علي (ع) وبعد وفاة الرسول (ص) وقد استعرضت براهين عقلية ونقلية كثيرة في اثبات مسألة «الوصاية» بعد النبي ورجحانها على «البيعة» ونقلت قصة الغدير وولاية الامام علي (من ص ٤٢٣ وحتى ص ٤٣٣)، ولكن وقوع هذا الفاصل بين هذين العنوانين صار سبباً لأن يتهمني البعض بالمخالفة لمسألة الوصاية والغدير رغم اني تحدثت عن مسألة الشورى صفحة واحدة وعن مسألة الغدير عشر صفحات.

ب) في الصفحة (٥٢٩) ابديت رأيي في موضوع تعدد الزوجات مستشهداً بإعلان جبهة التحرير الجزائرية وأزمة النساء في المانيا بعد الحرب العالمية وغير ذلك من الشواهد، فتطرقت الى جواز تعدد الزوجات في الاسلام (بالطبع مع الأخذ بنظر الاعتبار الفلسفة الخاصة والظروف والأوضاع الاستثنائية الفردية والاجتماعية) حتى اني وصفت تعدد الزوجات بأنه من الخصائص التي تدلّ على «الواقعية» في الاسلام. غير انّ تعبيري الخاص (في هامش الصفحة ١٢٠) أثار نوعاً من الإبهام رغم تصريحاتي المفصّلة في هذا الصدد. ثانياً لم تترجم هذه الآية بشكل صحيح في الكتاب: ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كلّ الميل فتذروها كالمعلّقة ... ﴾.

ج) انتقادي الثالث هو اني اعتقد ان عناوين اصول العقائد الاسلامية التي نقلتها عن فريد وجدي في القسم الأول من الكتاب

(ال ١٢٠ صفحة الأولى منه) هي عناوين سطحيّة من حيث المستوى بحيث أشعر الآن انني قادر على استنباط القواعد الاساسية الاسلامية برؤية ادق واعمق وأبدع مما نقلته في كتاب «معرفة الاسلام». لقد شعرت بهذه «السطحية» قبل خمس سنوات أثناء كتابة الكتاب أيضا (وان لم يكن هذا الشعور بعمق شعوري في هذه اللحظة)، لكني اردت ان اسند الكتاب الى سند علمي شهير فوقع اختياري على سيرة فريد وجدي، مع كلّ ذلك وكما تلاحظون اني نقلت عن فريد وجدي العناوين فقط بينما جميع التفاصيل هي مني حتى اني طرحت مسائل جديدة وعميقة تحت عناوين فريد وجدي البسيطة وكان من الجدير أن تطرح في عناوين مستقلة.

ثم ان فريد وجدي لم يأت بالتوحيد كقاعدة اساسية من قواعد الاسلام ولعل السبب في ذلك هو اعتقاده بان التوحيد ليس مختصا بالاسلام، غير اني قلت ان التوحيد في الاسلام يختلف تماماً عن التوحيد في الاديان السابقة نظراً لعمقه ودائرة شموله ولهذا طرحت التوحيد تحت عنوان مستقل. والإشكال الذي أراه وارداً علي هنا هو اني طرحت التوحيد في أبعاده الانسانية والاخلاقية فقط بينما تلاحظون اليوم في سلسلة دروس «معرفة الاسلام» الجديدة (طبعة الارشاد) اني وسعت دائرة البحث الي أربعة أبعاد:

١ ـ الرؤية الكونية.

- ٢_فلسفة التاريخ.
- ٣_علم الاجتماع.
- ٤_فلسفة الاخلاق.

والاشكال الثاني الذي اعتبره اشكالاً اساسياً هو انسي وضعت التوحيد في مستوى أصول الدين الاسلامي الأخرى متبعاً بذلك الطريقة التقليدية بينما اعتقد اليوم ان للإسلام أصلاً واحداً لا غير وهو التوحيد، فهو بمنزلة الجذر للشجرة ولا يمكن ان يتعدد (لأن التعدد هو في الأغصان وليس في الجذر). واما سائر الفروع الاخرى كالنبوة والمعاد والإمامة والعدل والجهاد والحج والاخلاق و ... فهي فروع تنفرع من هذا الجذر وتنشأ عن هذا الأساس.

الطالب: لا يخفى على احد ان والدكم الاستاذ محمد تقي شريعتي مؤسس «مركز نشر الحقائق الاسلامية» هو من روّاد النهضة الفكرية الاسلامية ومن الوجوه البارزة التي قدّمت خدمات علمية جليلة في سبيل تبليغ الدين والمذهب لا يسع المجال لتفصيلها، وهذا هو الحال بالنسبة اليكم ايضاً فالجميع يعرفون ما بذلتموه من جهود عظيمة في سبيل احياء الفكر الديني والدعوة الى الاسلام على اساس الرؤية الكونية للمذهب الشيعي وتأثيركم العميق والسريع على عقول المفكرين والطلبة الجامعيين داخل البلد وخارجه وكلّنا نعلم ايضاً بان النشريات والدروس والمحاضرات (العلمية والتبليغية) والمؤتمرات

والمهرجانات وحفلات التأبين والبرامج الخاصة بشهري محرم ورمضان التي اقامتها حسينية الارشاد منذ بداية تأسيسها الى يومنا هذا وخصوصاً في السنتين الماضيتين قد اختص معظمها بالدفاع عن المذهب الشيعي ونشر معارف اهل البيت والتعريف بشخصيتهم (عليهم السلام) غير اننا وبالرغم من كل ذلك نلاحظ اليوم حملة دعائية مدروسة ومنسقة تصاحبها أنواع الته م والاكاذيب والاشاعات قد استهدفت حسينية الارشاد وشخصكم الكريم، بل استطالت لتشمل والدكم (الاستاذ محمد تقي شريعتي) الذي كرس عمره الشريف لخدمة الاسلام والمذهب. وسؤالنا هو: اولاً من الذي يقف وراء هذه الحملة الدعائية؟ وثانياً: ما هو الهدف من هذه المؤامرة؟

شريعتي: في الحقيقة، لا استطيع الاجابة على الشق الأول من السؤال لسببين: أولاً: لأنني أعتقد ان الجواب أوضح من الشمس، وثانياً لأنني أخاف! فلا يسعني إلا أن أقول بحذر _كي لا يسمعني الجدار _ان هذه الجماعة لا تؤمن أساساً بالشيء الذي تتظاهر بالدفاع عنه!

وأما أهداف هذه المؤامرة والنتائج التي يريدون الحصول عليها فهي:

۱ ـ السعي الى تشويه سمعة حسينية الارشاد بين الجماهير
 وابعادهم عنها.

٢ ـ السعي الى تشويه سمعة حسينية الارشاد بين المتدينين
 لعزلها عن المجتمع وتهيئة الأرضية اللازمة لتعطيلها.

٣_الدفاع عن موقع السادة الديني والاجتماعي والمحافظة على الوضع الموجود وحكر الأفكار الدينية في أطر مغلقة لا تكون مفاتيحها إلّا بأيديهم.

٤ ـ الذمّ بما يشبه المدح لأنّهم يدافعون عن رجال الدين بمنطق سقيم ولسان متفحش وافعال مستهجنة كالتزوير والتحريف والكذب والشتم والبهتان ويحرّضون العوام بأنواع الطرق الرجعيّة العمياء والتصرفات الهمجيّة التي تمجّها الانسانية والاخلاق ويرفضها العقل السليم، فالمستهدف هنا هم «رجال الدين» وليس أنا المعلم البسيط المتواضع الضائع. انهم يقومون بهذه الاعمال تحقيراً للعلماء لأنّ التجارب جعلت هؤلاء الأعداء الواعين الذين يخافون اسلام الغد أن يعوا حقيقة ان أفضل طريقة لطمس الحقائق ليست مهاجمتها بقوة، بل الدفاع عنها بضعف.

وقد عشنا هذه التجربة مراراً عديدة في الاسلام وفي الجامعة الاسلامية العلمية وخصوصاً في الحوزة العلمية الشيعية ورأينا انّ نتائج الهجوم المباشرة كانت معكوسة دائماً .

٥ ـ التبليغ «للمذهب الوهابي» الجديد وتضخيم هذه الفرقة التي لم يسمع أحد في ايران باسمها من قبل ونسب كلّ ذي فهم وشعور الى

۲۲۰ الدین ضد الدین

هذه الفرقة الضالّة .

7 ـ عزل المجتمع الشيعي عن كيان الامّة الاسلامية واثارة النعرات الطائفية والاحقاد السالفة من جديد وتبديل الخلافات المنطقية الموجودة بيننا وبين الاخوة اهل السنّة الى نزاع وخصام عميق وهذه هي الخطة التي عمل بها الاستعمار منذ القرن التاسع عشر لتمزيق وحدة المسلمين.

٧ ـ اثارة العواطف وافتعال الفتن واختلاق النزاعات السديدة لصرف الأذهان عن العدو واخطاره ومؤامراته. فلم يكن امراً عفوياً ان يعلن احدهم من على منبر الاسلام: «ان اسرائيل هي خير لنا _نحن الشيعة _من فلسطين فإن اسرائيل ليست عدوة لأهل البيت وانما العدو هم الفلسطينيون لأن اليهود أعطوا «فدك» لأهل البيت وسلبها هولاء منهم!!».

٨ ـ تنفيذ الخطة الاستعمارية القديمة التي رسمها علماء الاجتماع للمستعمرين: «حافظوا على الدين للعوام وروّجوا الإلحاد بين المفكرين».

9_تجنّب رواج الاسلام القرآني والتشيّع العلوي والحيلولة دون تعرّف الناس على الائمة والمجاهدين الشيعة خشية تحقق الاسلام الأصيل وتبديل «ولاية المشايخ» الى «ولاية تقدمية تحرريّة تصارع الجور والجهل والجوع».

١٠ ــ الشعور بخطر جفاف ينابيع الرزق والشرف اعني: الجهل،
 الطائفيّة، التقليد!

۱۱ _ شلّ اقوى قاعدة للدعوة الاسلامية العالمية وأحد المركزين الرئيسيين لإنتاج الفكر والثقافة الاسلامية (ايران) والتي كان المسلمون في شرق ووسط آسيا (مسلمو القفقاز والهند وافغانستان وباكستان واندونيسيا وماليزيا وحتى الصين) يستضيئون بنور ثـقافتهم الساطع ويغترفون من معين علمائها وادبائها وشعرائها.

١٢ ـ قطع العلاقة وزرع بذور النفاق بـين المـفكر والجـماهير والحوزة والجامعة والحديث والقديم والجامعي والحوزوي والمـثقف والعامي و... لأنهم يريدون الإلحاد للمفكر والتعصب للعامي والملاهي للشباب والمساجد للشيوخ الطاعنين في السن.

17 _ كلّ حركة فكرية اسلامية تحاول طرح مبادى، «معرفة الذات» بشكل اسلامي تقدمي لابدّ لها ان تموت قبل ولادتها، فان ولدت، لابدّ لها أن تشلّ، وان لم تشل لابدّ لها ان تشوّه وتلوّث وتطرد وإلّا سيتغيّر كلّ شيء ... ولابدّ أن لا يتغيّر أي شيّ!

* * *

س: مع انكم دعوتم أصحاب الرأي والقلم الى نقد آرائكم وأبديتم بذلك حسن نيتكم إلا أنكم لم تعدلوا لحد الآن عن آرائكم حتى

لمرّة واحدة. هل يعني هذا انّ جميع آرائكم هي في غاية الاتقان وعارية من أيّ اشكال؟

ج: انّ الذي يجري حولي هو مؤامرة متعمّدة ومتقنة وواسعة النطاق وليست قضية نقد علمي أو عقائدي.

فالذى يقرأ قصة الغدير وقصة وفاة النبى ودراساتي لشخصيّات الصحابة وعلاقاتهم الخاصة وقصة عصبة أبى بكر ووقوفها بوجه على وكلماتي الخاصّة التي تعبّر عن حبّى واخلاصي ومدى حيرتي أمام عظمة على ثم يقوم بعد ذلك بتحريض السذَّج من الناس بأنواع الضجيج والعراك والسبّ والشتم والبهتان ويتّهمني بالعداء للتشيّع والاسلام، لا يقوم بهذا عفوياً وانّما هي مؤامرة مدروسة متقنة. فكل من قـرأ كـتبي المنتشرة في كل مكان _ يعلم انني بدأت الكتابة باسم «أبي ذر الغفاري» وكان عنوان آخر ما كتبته حتى الآن «التشيّع الاحمر والتشيّع الاسود»، فقد كرّست حياتي الفكرية وكلّ ايماني للدفاع عن مدرسة على والولاء للعترة الطاهرة والشعور بالمسؤولية تجاه النهضة الشيعية التحررية الثورية العادلة. فاتّى لا أنظر الى حوادث ما بعد النبي من منطلق شيعي فحسب، بل أنظر الى مسيرة التاريخ البشري ككل من هذا المنطلق (الحسين وارث آدم) وأعدّ فاطمة (س) حلقة الوصل بـين سـلسلتي النبوة والامامة أي المرحلتين الأساسيتين في القدر التاريخي للـعدالة والخلاص _كتاب (فاطمة هي فاطمة). فالذي لم يقرأ كتبي فإنّه سمع

بعناوينها على الأقل فقد نشر لي في السنتين الماضيتين فقط الكتب التالية:

«الحسين وارث آدم» ، «الانتظار ومذهب الرفض» ، «التشيع العلوي والتشيع الصفوي» «الامة والامامة في علم الاجتماع »، «الدعاء مدرسة السجادة والاحتياج والوعي والجهاد» ، «الشيعة حزب كامل »، «التشيع الأحمر »، «علي: ثلاث وعشرون سنة جهاد من أجل الرسالة، خمس وعشرون سنة سكوت من أجل الوحدة وخمس سنوات صراع من أجل العدالة»، «على، الانسان الكامل »، «وحدة علي »، «لو قال علي: نعم »، «علي حقيقة تشبه الأساطير »، «ما هي الحاجة الى علي؟ »، «عصرنا يبحث عن علي »، «حياة علي بعد الموت »، «علي روح واحدة ذات عدة أبعاد »، «فاطمة هي فاطمة»، «مسؤولية الشيعي»، «أبو ذر في المواجهة مع عثمان »، «نعم، هكذا كان يا أخي»، «الشهادة = الحسين، ما بعد الشهادة = زينب»، «القاسطون، المارقون والناكثون » و....

وقد كتب غيري في حسينية الارشاد:

«الخلافة والولاية من وجهة نظر القرآن والسنة»، «علي شاهد الرسالة » و «موعود الأديان » للاستاذ محمد تقي شريعتي و «جاذبة ودافعة علي » و «الولاء والولاية » للاستاذ مرتضى مطهري و ... وأكثر من مئتي محاضرة خاصة بمواضيع مدرسة اهل البيت (ع) ألقاها

مشاهير الخطباء في حسينية الارشاد ومع كل ذلك تلاحظون ان هذه الجماعة تصرّ على افتعال الإشاعات واثارة الضجّة واختلاق أنواع التهم والشتائم رغم كلّ هذه الخدمات والنتاجات العلمية.

فكلّ ما كتب وقيل لم يكن نقداً علمياً، لا اريد ان اقول انّ كل ما كتبته ليس قابلاً للنقد ولكنّي أقول انّ كلّ ما سمعته لم يكن نقداً علمياً.

فإذا كنتم تقصدون انني اصرّ على كلامي ولا أقبل كلام غـيرى فإنكم مخطئون لأنّ كل من قرأ كتبي أو حضر دروسي يعلم جيداً بأني أنقد نفسي قبل أيّ شخص آخر وأكثر من أيّ شخص آخـر وعـندما أتوصّل الى مسألة جديدة تصحّح آرائي السابقة فاني أبادر بإعلانها والاعتراف بها فور التوصّل اليها وحتى أثناء الحصة الدراسية التــى لا ترتبط بها. أمّا بالنسبة للاهتمام بآراء الآخرين فانّي أعطى ما أكتب دائماً الى طلبتي ليدلوا بآرائهم حولها واني اقبل هذه الآراء في غـالب الأحيان، كما يعلم كل الذين تعاملوا معى ان لى اذناً صـاغية وصـدراً رحباً ازاء أيّ رأي اصلاحي أو أي نقد بنّاء بل حتى أترجّى الآخرين ان ينقدوا آرائي. أما أنا فأصحّح دائماً وفي كل درس او محاضرة تقريباً رأياً من آرائي واعلن دائماً انّ ما اقوله هو مجرد رأي ليس إلّا وأضع الميكرفون بين يدي كل من يريد التحدث في جلسة عامّة بعد كـل ساعتين دراسيتين ليتحدث ثـلاث أو أربع سـاعات، وقـد جـاؤوا وتحدثوا وحتى تفضَّلوا علينا بالاهانة! وما كان منى ومن طلبتي ومن الحسينية إلّا أن نسمع ونصبر ونشكر!

أما اذا كنتم تقصدون ردّ فعلى ازاء سيل التهم والتهجمات والإشاعات الواسعة النطاق التي أثاروها بشكل متزامن وجمابهتها بأذنين أصمّين ولسان أبكم فلكم الحق في ذلك ولكي لا تـخطأ هـذه الجماعة في تفسير هذا الكلام علىّ أن أقول انني سوف لا اسكت ابدأً عن اولئك الذين لا يألون جهداً في خداع الناس وطمس كـل فكـرة وحركة تسعى لإحياء الايمان وتبوعية الافكار وعبن اولئك الذيبن يصوّرون إمام الشيعة بصورة مرتزق يسترحم الخليفة، ويمصوّرون الحسين العظيم بصورة مضطرّ يسترحم الشمر، وسنوف لا اساوم ولا اضحّى بالحقيقة من أجل مصلحتي الخاصة حتى لو صلبوني وسحقوني وكفّروني ... ورجائي وتوقّعي من كل من يشعر بالمسؤولية تجاه الدين والناس وخصوصاً علماء الشيعة الحقيقيين أن يعينوني في هذا الطريق. واما اولئك القوم فانّهم قد يستطيعون أن يصلبوني كما صلبوا «عـين القضاة» أو يحرقوني كما حرقوا «جرنادو» لكنهم لن يقدروا أن يسمعوا منى صوت «آه» واحدة ، وكما قال أبو ذر : لو ضغط غلمان عثمان وعبد الرحمن وكعب الاحبار (مثلث السلطة والذهب والتزوير) السيف على نحري ولم يبقى منى إلّا نفس واحد فسألفظ ذلك النفس بقول كلمة حق، من أجل التشيع العلوي الذي اؤمن به بكل وجودي حتّى لو لم تكن هذه الكلمة لا تصبّ في صالح التشيع الصفوي!



الشهيد علي شريعتي

عشن دون نغوا عن عقر داره م کا نعم قرو حبول ما لعی میشعند. این آدع رتهم ۶۰ ترادهٔ جادان کست د جمین پرکره ۰ در کادن حد کم جاز و می تا وهمان و کارت و پهرون میشان در کادن حد کم جاز و کارت و پهرون میشان در کادن حد کم جاز و کارت و پهرون میشان در کادن حد کم جاز و کارت و پهرون میشان در کادن حد کم جاز و کارت و پهرون میشان در کادن حد کم جاز و کارت و پهرون میشان در کادن حد کم جاز و کارت المنده لا تروده مونل تعيدهم كديد و مون مان كو امرك مودن مر و الا مكسدمل ١٠ ١٠ ١١ مرم : حرى كم دراد • معييد وام • جلاد ونميد • درك . يه م دعِ ركمن أك ان • فاركا • ولايملار ملفان لدمن طمك " وج مميل فيصسيفيه فيم وطبين مهت

Fire la e ...

0 1/2 8

د کورگ کار مقره علیم !

دمع سعلق د حرص انام ، دران رعار عمين محطيم! هارول د. ورط و ۱۱م درک. . مین ترکم ۱۱م · کرنگ محطی قرمین دفتوگی اندو

رسته وحمق حرمانام اع اد اطعی کر انام را به کفور مموض جریانی کود! عمار د بن ۱۰ تاکه میراند کرمیند. باشد و المی کسده !

الرد ، ا. ، طمعه می کا ۳ کی لگومد و درگا ریمن ، محلی خوا، ایمنی فلیوف باشد وغیق ا

عواعافط ، ترمهادات

قبل في مدس : حبالنا مي كلهم و مومنهم ؟ هذا مِن العِمرِ!

در طری ، دوقرهت : قرمیزی مردم ، فرمیزی مردم ، وای عربی کت ! ما ینغو المریجسی من قرب الزلی مما علی الن کی گفتهب و کیجسی من خربی

و مال ار هوار مایال ، رمای می مرمد . نایک از جدار ماک کودی میرد

خيهات ، كل أمر ، معن بما كسبت له يواه ، فعذ ما شئت أو مذر

لا اصعاب الله من الرهر إن صعلت وآل احد معلومون قرمهم رمعه هرکز از جوء حرکی ال له ، درکره درک کردد موی که ...

اً ردرای معطعه کندد ، حرک خدا میش را رحده مل یه که نادال احد قرونی ظلم کند و ککت اور!

Yr .1.7 2

3-167

وعبار و دار د در مولک د مونیار ... ا کی می اید می در ، همه ، در . اموی ۱ اله هراک مور - ته د کرید . می آخران عام دهرمد کر درکدر طاهرگوید: ای د درحمتان محایی کر درجیس کیرومند ۳۰ ۱۱ ایان کی دمس مرارس آخل کمیا می مدر برگ کلصصند کفیرارید داده کورجواء نول و گری کیرد کیر در در کشتن ، در بهاد کارتی از مومان خیکند عموده ودر بامیان لذاك ولي من داك دازالي دلمنالي. الدلين علا خيك ولوجة الموري واتي مر ناکدر وطوطی بر ، بردهد ، کو در کرمت ل مز مرسمان ، د کاملی ، بدار مرکل که دادار ، یا مرفان هزامان د که اکسار ، وهمهٔ رج كري درابكور ، لدرك الدرك المريشة ، ودرموران مياطنية وسلعه عملية= rather is it is if dans on ائن الكر مرديد الحر وقاق بمست اي الدحمقال بيماك وهموركا كم-عمرتم كور- كالحار 12 yes in 14 7= !

« روتین ، و ، مراد خاک برادس ، میرانسد ، و مردش ، فیعت بر دمتون موخته ، ما جمره کی روال ، ومن الي مين مرده! كونكا وكان مكور متوارب ، حيمه دا ودر كوند تا داری و صل وافون واف ز ، مربی ره آب مراب ، ملت ، ز از آدامی ، لز هراس ، و هوا آلفاک برهم مر مورا درکار ار مجمور ما وره وزمن افته ای که کیاه فر از

که و کودی بر محده ماک برانوال میم شد و آبان را تیره میولده و دوکمتا؟ دا بر میاکموید و حول ووکس مور منید ، میشد ک میشد ، مواند که میراند

مور : همل درم به ساماء مردم کر ووران ومرطامه وماهی و مرحان مرکه درور مال و کن مور، آنه که خواره طرفان حر مهت و خواره آدام ، خست دردگعك مول بهت و هیم جر دارلیل مكيد ، لذ لين آن ، مارم الحرم كور . من الم المعاد

ماندند • وانتظارشان مسرگسز پاسخس نم يافست• که باهمی جنگید نسد بدون اینکه همرایشناسنسند ۴ وسرای کسایی که باهم نمي جنگيدند ، اماهم رامي شناختند" ، ومارامي بردند ، نابود وقتل عام پىدران ومادران ما ، وروستاهاى متروك ومزارع خسراب ما تحمل مى كرد ، واگسر مي كرديم • نابود وقتل عام مي شديسم الرشكست مي خورديم. داغ ودردش را پیسروز میشدیم افتخار وتسدرت نمیب کسانس دیگرمی شد وماهرگز در فخسر "اين جنگها – بقول دانشمندي – مارت بود (۱) ازجنگ دوگروهسي

٢- دقت كنيد كه اين سخن توجيه كننده معه تاريخ است .

کوام ! محب اگر محط عی عدمود . کمرله .

بسرادر فه بعد ارتسو ، تحولی بزرگ پدید آمد • فرعن ها ، قد رتمنسد ا ن

وغنيمتش سابيم نبوريم.

نماذج مصوّ

44

وحتس كسانس كه هميزاد وهمطبقه وهم مرنوشت مابودنت •

مارامی برد نسد وماد ران ویسد ران پهرو شکسته مان چشم انتظارمان می ــ

و شعشیر کشیدن بروی کسانسی که نسبت به آنها هیچ کینه ای نمیورزید یم •

درینا می نشستیم واگر می توانستیم کار رابیایان بیریم و شکوه و خشمت وافتخار کریات را بریات کرفط کررگیت کرر و که کری کر رای کا کرد ایری میدکان که بریاب کرد ایری میدکان کرد و میدکان کردی کسیمات را بریات ب بنا و بنام کسی معطیمو ثبت میشد و وازماحتی نامسی درخاطره ای نعی مانسد و ملعم کیجهزار سالس که اوتیسوده است و امایردگسی وبسوده - در گزار دار المسى مارابه جنگ مىبردند ، جنگ عليه كسالسىكه نمى شناختهم كه اكسر درضمن كارتحملهان پايان مي گرفت ، حسون سنگسسي جبار پایانمان می گرفتند ومیبرد ند وبکار ساختنگورهاشان می گماشتنمان نمایان وافتخارات عظیم بودیم و به دهات و روستاهایمسان می آمدند و چون تورفتسی و وماهمچنان درکارساختسن تعدن های بزرگ و فتعهسای شکلهای مغتلفش کین ده است ه . پرادم! نشستم ویرایسش نوشتم که : پرادم!

من ميردي : الراد دان دهي عن اميد مناقي ؟ منصف اللالام عدد ميدد من المه المه عيون من مستر مستحد من تقت من مترمت لامنه م المرد الله لام عدد ميد د من المه المه عيون الله المه عيد المرد المرد المرد المرد المراد المرد ا ار مدرئ می حرم الدام برم الت سنمه ما توجیمه خررت میرسی کدلی ارت دری تو بی دارد همه سے توع اردے ہے جا ولدوسے آنین کر مک مرح کون حدی و میر رکینگر کرمالمیت و پوریش کی لیند جان ممین می میشم بایدحریت ا بودهدی مسیدن ایمام مین ن ایر دهدیت درج کیت نزاخد تودوک دار ماکند . فن پرت مین درم کهالی گرتر میر کیمیلرده دربار جد و کخت تا نیر دهجه شدوهه رهند کرمی می وادی و و میتاید دیمارین دربان لايسين دكمي انه وآزا على سكى اند وکست کرموند می لیزیر یا بهمانی که محد درگ ختم کهردید درشت نیت میان اعزار کودده دمودم ای نهای کردان مدر ر . اجاز بره. می من برگفه خورا دربل با دفالات معصد لین که دم عن « واقعی را مونی نیدنر میسه دارای الما من كدلار كوات انان بعك

من می و تون مرسب

ا ارد به ا مرد کم امر المع به درا علی مرسه نمی دی مر بوان رجو مور مرد منان منا ا در به مرد کم امر الم مرد درا علی مرب ندیم من د من بوان رجو مور برد برد کم مناز می دور در الم مورد در الم مرد در در مرد مرد در الم مورد در المرد در المرد مورد در المرد مورد در المرد مورد در المرد در کنورا میرف ملاحرف مسارهن مراراتان مهمرارد ، ذرب تران با مخف مراراتان مهمرارد ، ذرب تران با مخف مرامین مرامی مرامی کراه می راه دی دهن می مران مخطر در مران می در دخود در قربان در مران می مران اع درم کرے ، کی عمر برمن رراض عمر صامی فعد کمیں عم برحروری کردیل معرو تمید مید لازم واجد کرت الارفيم، جبي صري کي کندار ک= ايرا ررجال مردرا صلي حدا و کري ادام او لارمي ميزاند و درجي صري مرم حت اطه رط واستا ری لاے عاد راسارند کے رعم ارحان حمد، کمنای حمد رعم مدامز : عمدار احد روحان کرتے وعمارين رباعت. راى درط ولهدي فهدرم عادل نم عام غرممنك يت واي عدد مميزاد وأحداري ولله بدرن صورا ب رناس مزا سوار عوان رال رمهر هم معط بمد و خسد مورن مع در فرن مرد مع در فرن ترد

- سارك بلارى زك المذوقاك على عميده كميده للمعالمي نيرا (وقال 1)

كن درك بحسام الميد مند الميصة را قالم عدول درائ و درنان دوست الملاء ودونائها، ملطی کمی امت: کمی ایلته و رکامری ، کف به میستنی این اعتراص نوک اصاب م میان کم کردان ماکا مود که درج می میس محرمده میمان میموم معرمه کفر تحد درست لزم کشیان اولد باخ مهتر تر خوریم کرد ادمیری میک دی و داید کردک ایم محموم میم میم میم دی در درای ایم میل من در به نے دراطری میں نے در اوری می ن روشت کر دادمی ترمیانی محافقت کسیلید کمی می و کنداد و کردید می افتی محمو دی در به نے کہ در میں بان روشت کر نیز کردی کست مزاید کمیرورید. orga redigs اول سدر سر صور مد من مید ، معرمد مرحی رئری مرا کو دران کورت کرسی ، صل معی (درمان) منا دار کی درمی را رئیال میشد درمدت بعر مدرت معی فنی معرب درون مول کرمی موجه ملات را لدو عالمصر در یا علی آن تا ترداد ۱۱ داردمد وری لزار در ار بسته ل موادی موصی لدی عمد دی منون

الملاحق

* فهرس الآيات القرآنية

* فهرس الأعلام

* فهرس أسماء الفرق والأقوام والطوائف

* فهرس الأماكن والبلدان

* فهرس الكتب والمصادر

* فهرس الموضوعات

فعرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
أتعبدون ما تنحتون	90	الصافات	۲۳، ۲۲۱
ان تقرضوا الله قرضاً حسناً	۱۷	التغابن	٥٣
فمثله كمثل الكلب	171	الأعراف	٧ ٩
قل يا ايها الكافرون ولي دين	٥ _ ١	الكافرون	٥٩
والذين يكنزون	37	التوبة	148
ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء	179	النساء	717
و نريدُ أَن نَمُنَّ عِلى الذين استضعفو ا	٤	القصيص	1.1

فعرس الأعلام

آدم (ع): ۸۳، ۸۰، ۸۷۱

الآراكي: ١٦٥

آلبرماله: ٦٧

آهورا مزدا: ۲۹، ۷۰

ابراهیم (ع) : ۳۰، ۳۲، ۳۳، ۸۳، ۹۰

ابن الاسكافي : ٦٨

ابن سینا : ۱۹۰

ابن هشام: ۱۲۸

ابس بکس : ۱۲۰، ۱۲۹، ۱۷۲، ۱۸۳

ابو جهل: ٧٤

ابو ذر: ۲۲، ۸۳، ۸۶، ۱۰۶، ۱۰۵، ۱۲۸، ۱۷۱، ۲۷۲، ۱۷۵، ۲۷۲، ۷۷۱، ۱۸۸،

۱۹۰، ۲۲۲، ۲۲۰

ابو سعید: ۱۲۹

ابو سفیان : ۷۶

ابو القاسم الكركاني: ١٤١

اردشیر : ۱۰۰

ارسطو: ۷۱، ۱۰۳

اسامة : ۱۲۹

افشین : ۱۳۹

افلاطون: ۷۱، ۲۱۱

الاميني: ١٦٥، ١٦٥

الانصارى: ١٦٥، ١٦٦

انوشیروان : ۱۳۵

اهريمن: ۷۰

البابا: ۲۰، ۱۵۵، ۱۵۹، ۱۵۱، ۲۰۲،

101

بایر : ۱۲۹

بایسنقر: ۱۲۹

برودن: ۸٤

بلال الحبشى : ١٠٥، ١٠٥

بلعم بن باعورا: ٣٥، ٣٦، ٤١، ٤٨،

٠٨، ١٨٩

بسوذا: ۷۰، ۱۰۰، ۸۰۸، ۲۰۲، ۲۱۲،

717

بوسویه: ۱۰۹

البهائی: ۱۳۰

بهرام بن هرمز : ۱۰۰

تولى: ١٣١

توينبي: ۱۱۹

جمال الدين: ٢٠١

جنكيز: ١٣١

جنکیزخان: ۱۳۱

جوهر شاد: ۱۲۹

جهانگیر تفضلی: ۲۰۰

حسن الشيرازي: ٢٠١

الحسن (ع) : ۱۸۹

الحسين (ع): ۱۷۱، ۱۷۸، ۱۸۲، ۱۸۹

3 . 7. 777. 077

حميد بن قحطبة: ١٢٧

خديجة (ع): ١٠٤

داستايوفسكي: ٨٤

الدجال: ۱۷۱

دموستنس: ۱۰۹

دوركايم: ٣٤

رادها کریشنان : ۲۸

رزم آرا: ۲۰۰

رستم فرخزاد : ۲۸

زردشت: ۱۰۰

زينب (ع): ۱۷۷، ۱۸۲، ۱۸۹، ۲۲۳

سالم: ١٠٤

سامان: ۱۳۹

السامرى: ٤٩

سبارتاكوس: ۱۰۹

السجاد (ع) : ۱۸۲، ۱۸۳

سعد بن ابی وقاص: ۱۳۸

سعد بن عبادة : ۱۸۵

سقراط: ۱۰۹

سلمان: ۱۸۵، ۱۸۵

سنجر السلجوقي: ١٢٩

سوريا: ۱۲۱

شابور الملك: ١٠١

شاهرخ: ۱۲۹

شاه عباس: ۱۲۹، ۱۳۰

شرف الدين : ١٦٢

شمر: ۲۲٥

شوارتز: ۹۳

شوپنهاور: ۳٦

صفّار : ١٣٩

طاغور: ١٣٣

طاهر : ۱۳۹

طبران : ۱٤۱

الطبري : ١٦٧، ١٦٨

عائشه : ١٦٥

عبد الرحمن بن عـوف : ١٥٥، ١٧١،

140 .19.

عثمان : ۱۹۰، ۱۲۰، ۱۷۰، ۱۸۲، ۱۹۰،

7.7.3.7.077

على الرضا (ع): ١٣٠

علي شريعتي : ۱۷، ۲۰، ۱۷۸، ۲۰۹،

17, 717, 717, 317, 317

علي (ع) : ٤٧، ٧٣، ٧٤، ٥٥، ٩٩، ١٠٧،

۱۹۰۰ ، ۱۰۰ ۳۲۱، ۱۲۱، ۱۲۰ ۱۲۰

PV1، ۲۸۱، ۵۸۱، ۹۸۱، ۳۰۲، ۲۰۲

۱۲۰، ۲۲۲، ۲۲۲

عمّار: ۱۸۵

عمر: ۱۷۱، ۱۸۶

عمر: ١٦٥

عیسی = المسیح (ع) : ۲۰، ۳۰، ۳۷،

101,189,100,000,001,83,101

الغزالي: ١٩٠

غفار : ۸٤

غورویش: ۸۱

فاطمة (س) : ۱۲۵، ۱۷۳، ۱۸۹، ۱۹۰،

3 - 7, 777, 777

فرانسیس بیکون: ۵۲

فردوسىي: ٦٨، ١١٠، ١٣٤، ١٣٨

فرعون: ۲۱، ۲۲، ۹۳، ۹۲، ۹۷، ۹۷، ۱۰۲

فريد وجدي: ۱۷۱، ۲۱۵، ۲۱۲

فریدون: ۱۱۱

فكتور هيجو: ۱۲۲

قارون: ۲۱، ۱۰۲، ۱۸۹

القمّي: ١٦٥

قیصىر: ۸۵، ۵۵

کارل: ۲٤

كاوة الحداد: ١١٠

كسىر*ى* : ەە

کشتاسب: ۱۰۱

كعب الاحبار: ١٧٦، ١٩٠، ٢٢٥

كنفشيوس: ٥٥، ١٠٠

لائتسه : ٥٧

مارکس : ۲۰، ۱٤۵، ۱۲۷، ۱۶۸، ۱۶۹،

.01, 101, 701, 701

مانا: ٤٨

مانی: ۱۰۱، ۱۰۰

مترلینغ: ۳٦

محمد الصدر: ١٦٢

محمد بن الحنفية : ١٧٨

محمد تـقي شـريعتى : ۱۷۳، ۲۱۷،

177,777

محمد (ص): ۲۸، ۵۵، ۲۵، ۷۵، ۷۵،

VV 171, 301, .VV, 1V1, YV1,

٧٧١، ٨٧١، ٩٧١، ٥١٧

محمود الغزنوي: ١٤١، ١٤٩

مرتضى مطهري: ٢٢٣

معاوية: ۲۲، ۷۷، ۲۲، ۲۷۱، ۱۷۷

المقداد : ۱۸۵

المقفّع : ١٣٩

مكارم (الشيرازي) : ۱۹۸

موسىي (ع): ٣٠، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ١٤، ٨٤،

101,171,09,0.18

المهدي (ع): ۱۲۲، ۱۷۱، ۱۸۰، ۲۰۶

نادر شاه: ۱۲۹

ناصر الدين شاه: ١٣١

نمرود: ٦٤

نوبخت: ۱۳۹

ونسان مونته: ۱۹۳

هیجل: ۲۰۹

فمرس الفرق والطوائف

آل برمك: ۱۳۹

آل النبي: ٣٨

احد: ۲۷، ۱۲۹

الاستاط: ١٤

الاشكانيون: ١٠٠

الاقباط: ١ ٤

الأكاسرة: ١٨٩، ١٨٩

البابيّة: ۲۰۳

بدر : ۳۷

بني هاشم: ۱۱۱

بنی اسرائیل: ۳۱، ۵۵، ۷۷

بني امية: ٣٨، ٤٢، ١٧٣

بني العباس: ۳۸، ۵۰، ۱۷۳

بني النجار: ١٠٩

الترك: ١٣٩

جبهة التحرير الجزائرية: ٢١٥

الخوارج: ١٧٧

الدهريون: ٣٧، ٥٨

الزردشتيين: ۱۰۰

الزنادقة: ۲۷، ۸۵، ۲۳

الساسانيون: ٥٤، ٦٧، ٨٨، ٦٩

السنَّة: ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٩،

27.

الشيخية : ٢٠٣

الشيعة: ٥٤، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤،

۹۲۱، ۷۷۱، ۲۷۱، ۲۷۲، ۱۸۱، ۱۸۱،

7.7. .77. 777. 077

الشيوعية : ٢٠٣

الصوفية: ٢٠٣

العبيد: ٩١، ٩٣، ١٠٤، ١٠٤

العرب: ٣٨، ١٣٩

غدیر خم: ۱۲۹، ۱۷۰، ۱۷۸

القراعنة: ١٨٩

الفريسيون : ٣٧، ٤٨، ٤٩

قریش: ۳۸، ۵۰، ۷۶، ۵۷

القياصرة: ١٨٩، ١٨٩

الكهنة: ١٠٥

الماديون : ۲۷، ۲۳، ۲۲، ۸۷

المانوية: ٤٨

المجوس: ٥٥، ٧٠

المرجئة: ٤٧

معركة القادسية، ٦٨

الموبدان: ٦٧

النبلاء: ۲۷، ۱۰۵، ۱۶۹

النصارى: ١٠٠

النصرانية : ٢٠٣

النواصب: ١٦٣

هوازن، ۳۷

الوجوديون : ٦٣، ٢٠٣

الوهابية: ١٧٧، ٢٠٣

اليهود: ۱۰۰، ۲۷۲، ۲۰۳، ۲۲۰

فمرس البلدان والأماكن

آذربیجان: ۲۹، ۷۰، ۱۰۱

آسیا: ۹۰، ۲۲۱

اثینا: ۵۷، ۷۱

ارمینیا : ۱۳۳

اسبانیا: ۱۲۱

استخر: ٦٩

استرالياً: ٥٤

اسرائيل: ۲۲۰

اسوان: ۹۱، ۹۲، ۹۷، ۱۸۹

اصفهان: ۱۳۰

افریقیا : ۶۵، ۷۳، ۹۰، ۹۱، ۹۳

افغانستان: ۲۲۱

امریکا : ۱۲۳

انجلترا: ١٤٧

اندونیسیا: ۲۲۱

اوربا: ۲۸، ۵۵، ۸۰، ۸۱، ۸۶، ۹۰،

TP. 771. 031. V31. P31. 301.

7.1.100

ایران : ۲۲، ۹۶، ۹۲، ۱۰۲، ۱۰۲، ۲۰۰، ۲۰۰

771, 817, 177

بابل: ۱۰۰

باریس : ۷۷

باکستان: ۲۲۱

بخاری: ۲۱، ۱۹۲

برزین مهر: ۲۹، ۷۰

بغداد : ۲۰۱، ۱۲۱، ۱۳۵، ۱۷۶

بلخ : ۲۲، ۱۰۱

بنارس: ۱۰۱

بوابة رزان : ۱٤١

بوابة رودبار: ۱٤١

جامع البزازين: ١٦٥

جامعة مشهد: ۲۱۲

حسينية الارشاد : ۱۹، ۲۰، ۱۷۲،

711 711 . . . 7 . 7 . 7 . 7 . 7 . 3 . 7

17. PIT. 777. 377

حنین: ۱۲۹

خراسان : ۱۲۹

دلفی (معبد) : ۵۷

دمشق: ۲۰۱، ۱۷۷، ۱۷۷

الروم: ٤٨، ١٠٢، ١٤٩

روما: ۹۰

سېزوار: ۲۹، ۷۰

سرندیب: ۱۰۱

سور الصين: ٩٥

الشام: ١٧٥، ٢٧١

شیراز: ۹۹

الصين : ۹۰، ۹۰، ۱۰۲، ۱۰۲، ۲۲۱

الطائف: ٣٧

طوس: ۱۲۷، ۱۳۰، ۱۳۱، ۱۶۱

طهران: ۱۹، ۲۵

عالى قابو: ١٣٠

غزنین: ۱٤١

فارس: ۲۹، ۷۰

فدك: ۲۲۰

فرنسا: ۱٤٧، ۲۰۰

فلسطين: ۲۲۰، ۲۲۰

فیتنام : ۹۰

القاهرة : ۹۱، ۹۲، ۹۷، ۱۸۹

القصر الأخضر: ١٠٦

القفقاز: ۲۲۱

قم: ۲٥

کشنسب (نار): ۲۹

كمبوديا: ٩٠

الكنيسة الكاثوليكية: ١٤٩

ماليزيا: ۲۲۱

المانيا: ١٤٧، ٢١٥

المدائن : ۱۳۸

المدينة المنورة : ٦٤، ٢٥، ١٦٧، ١٧٥،

۲۷۱، ۸۷۱

مسجد دمشق : ۱۰٦

مشهد: ۲۰: ۱۳۰

مصد: ۹۱، ۱۰۲

مکة : ۲۷ : ۲۸

النجف: ۲۰۱

نیروانا: ۱۰۸،۱۰۱

نیسابور: ۲۲

النيل: ٩١

الهند: ۱۸، ۲۰، ۲۰، ۱۰۱، ۱۰۱، ۱۰۲

771,177

یزد: ۲۸

اليمن: ١٦٩

اليونان: ٩٠

فهرس الهصادر والكتب

القرآن الكريم : ٣١ ، ٣٠ ، ٥٠، ٥٠، ٥٠ ، ٦٠ ، ٦١، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ١٥٠، ١٥٠،

ابو ذر الغفاري: ١٧٢، ٢٢٣

الاستبصار: ١٦٨

الامة والامامة في علم الاجتماع: ٢٢٣

الانتظار ومذهب الرفض: ١٩٣، ١٩٧، ٢٢٣

الانجيل: ٥٣

تاريخ الاديان : ١٩٧، ٢١٢

تاریخ بخاری: ۲۹

تاريخ الطبري : ١٦٨، ١٦٨

تاریخ قم: ۲۵

تاریخ نیسابور: ۲۸

تاریخ یزد : ۲٦

تحليل شخصية محمد: ١٦٨

التشيع الأحمر: ٢٢٣

التشيع العلوي والتشيع الصفوي : ١٩٠، ١٩٦، ٢٢٣

التوراة: ٣٥، ٥٣

٢٥٢ ـــــــــــــ الدين ضد الدين

التهذيب: ١٦٨

جاذبة ودافعة على: ٢٢٣

الحسين وارث آدم : ۱۷۲، ۲۲۲، ۲۲۳

حياة على بعد الموت: ٢٢٣

الخلافة والولاية من وجهة نظر القرآن والسنة: ١٧٣، ٢٢٣

الدعاء مدرسة السجادة: ٢٢٣

السامرى: ٣٥

سیرة ابن هشام : ۱۲۸، ۱۲۸

الشاهنامة : ١١٠

الشهادة : ۲۲۳

الشيعة حزب كامل: ٢٢٣

مىحيح البخاري: ١٦٥

عصرنا يبحث عن على: ٢٢٣

على الانسان الكامل: ٢٢٣

على ثلاثة وعشرون سنة جهاد: ٢٢٣

على حقيقة تشبه الأساطير : ٢٢٣

علي روح واحدة ذات عدة أبعاد: ٢٢٣

علي شاهد الرسالة : ٢٢٣

الغدير: ١٦٢، ١٦٥

فاطمة هي فاطمة : ١٩٠، ٢٢٣

فضائل بلخ: ٢٦

القاسطون والمارقون والناكثون: ٢٢٣

الكافي : ١٦٨

لوقال علي: نعم: ٢٢٣

ما بعد الشهادة : ۲۲۳

ما هي الحاجة إلى على: ٢٢٣

محمد خاتم الأنبياء: ١٦١

المراجعات: ١٦٢

مسؤولية الشيعي: ٢٢٣

معرفة الاسلام: ١٦١، ١٦٢، ١٦٧، ١٦٩، ١٧١، ١٧١، ١٨٢، ١٨٨، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٢،

۸*₽١*، • • **٢**، **٢**/**٢**، **3**/**٢**, *۲*/**٢**

ملامح محمد: ۱۲۸

من لا يحضره الفقيه: ١٦٨

من الهجرة الى الوفاة : ١٦١

من هو محمد: ١٦٨

موسوعة المهدي: ١٦٢

موعود الأديان: ٢٢٣

نعم هكذا كان يا أخي: ١٩، ٧٧، ٢٢٣

نهج البلاغة : ۱۱۱، ۱۲۹، ۱۸۵

وحدة على: ٢٢٣

الولاء والولاية: ٢٢٣

فعرس الموضوعات

\V	مقدمة الطبعة الفارسية
١٨	ملاحظات الناشر
Y1	كلمة بخصوص الترجمة
۲۳	لدين ضد الدين
Y9	الكفر
٣٠	الشـرك
	عبادة الأوثان
٣٢	خصائص دين الشرك
٣٣	التوحيد
٣٦	السامري
٣٦	بلعم بن باعورا
٣٧	الفريسيّون
٣٧	مشـركو مكة
٤٠	ماهية الدين الثوري
 	والمرة الدروالة والتروي

Y00	فهرس الموضوعات
٤٣	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٣	استمرار دين الشرك
٤٤	قاعدة حماة دين الشرك الاجتماعية
٤٦	العامل الرئيسي في دين الشرك
٤٦	الدين الافيوني
٤٧	المرجئة في التاريخ
٤٧	حركة دين الشرك
۰۳	الله والناس
٥٤	اتباع الطاغوت
٥٩	دين الكفر ودين الاسلام
٦٠	هيمنة دين الكفر على التاريخ
71	المال مال الناس
٦٣	عيال الله
٦٣	دعم التمييز الطبقي والعرقي
٠٤3٢	الربّ والخالق
3537	المدينة المنورة رمز المجتمع المثالي.
٧٧٧٢	الدين في ايران
٠٧٠٧٢	الطبقة الأولى والطبقة الثانية
٦٨	الطبقة الثالثة
طبقي	رجال الدين المجوس وتبرير التمييز ال
VY	أنبياء دين التوحيد

الدين ضد الدين	To7
YY	دين الشرك الجليّ والخفيّ
vv	خطأ المفكّرين
vv	رسالة العلماء والمفكرين
AV	نعم، هكذا كان يا أخي
11V	توينبي ، الحضارة ـ الدّين
119	حوار مع توينبي
١٢٥	وداعاً يا مدينة الشهادة
188	لولا البابا وماركس
١٥٩	ندوة للاجابة على الاسئلة والانتقادات
۲۰۷	مقتطف من حوار مع أحد الطلبة الجامعيين
YYV	نماذج مصوّرة من كتابات الشهيد شريعتي
٢٣٩	الملاحقا
781	فهرس الآيات القرآنية
788	فهرس الأعلام
YEV	فهرس الطوائف
YE9	فهرس البلدان والأماكن
YoY	فهرس المصادر والكتب
Y00	فعر س الموضوعات